

الأزهر في ألف عام

دكتور محمد عبد المنعم خفاجي

دكتور علي علي صبح

الطبعة الثالثة

مزيدة ومحققة ومنقحة

الجزء الخامس

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

(٩) درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر الشريف - ت: ٢٥١٢٠٨٤٧



بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

الحمد لله الذى أنزل الكتاب على رسوله بلسان عربى مبين ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٢، ٣]، فتميزت لغته العربية من بين اللغات بالشرف والحفظ والخلود والسمو: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٧، ٢٨].

والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ الذى خصه ربه بجوامع الكلم فكان أفصح العرب قاطبة، اللهم صل على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وأتباعه رضى الله عنهم أجمعين وبعد..

فهذا هو الجزء الخامس من كتاب «الأزهر فى ألف عام» فى طبعته الثالثة المزيدة والمحققة والمنقحة، اشتمل على أعلام من رجال الأزهر الذين حافظوا على لغة القرآن الكريم وعلومه وآدابه وعلى المؤسسات والمجامع للبحوث العربية والإسلامية، وعلى المراكز التعليمية والجامعية المتنوعة، التى كانت حصنًا للغة العربية، فكان الأزهر وعلومها وآدابها، تحطمت على أعتابه حملات الغزو الأجنبى والأعجمى والفكرى المسموم والعامى، فحطم حملات التغريب والتنزيل واللاتينية والعامية لتكون لغة القرآن الكريم خالدة بخلوده ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢]، وسيظل الأزهر الشريف حصنا حصينًا للعلوم الإسلامية العربية والإسلامية،

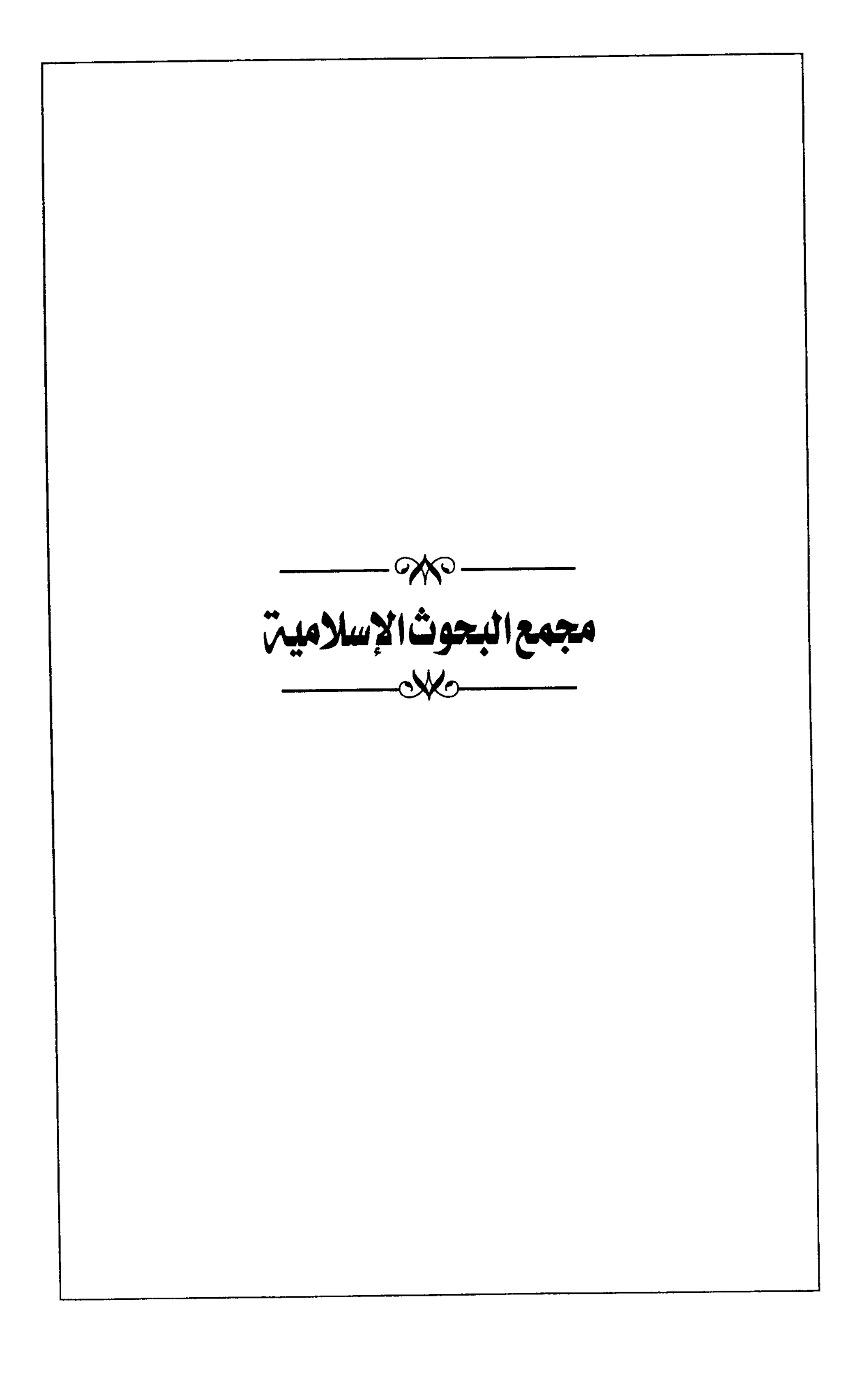
ولازال شامخًا تتهادى دونه تيارات التغريب والحقد والكراهية: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ (٧٨) لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الواقعة: ٧٧ - ٨٠].

هذا وبالله تعالى التوفيق

أد. على صبيح

١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م

❁❁❁



مجمع البحوث الإسلامية

مجمع البحوث الإسلامية

مجمع البحوث الإسلامية، هو الهيئة العليا للبحوث الإسلامية؛ وشيخ الأزهر هو رئيس المجمع. وللمجمع أمانة عامة تتكون من الأمين العام، وأمناء مساعدين، وعدد من الموظفين. وقبل أن نتحدث عن المجمع وأعماله وأجهزته، نود أن نشير إلى هيئة كبار العلماء، التى يعد المجمع امتدادا لها؛ فقد كانت الهيئة مقصورة على العلماء المصريين، وصدر القانون رقم (١٠) لسنة ١٩١١م متضمنا إنشاء هيئة كبار العلماء برياسة شيخ الأزهر.

يشترط لعضوية هذه الهيئة الشروط التالية:

١- أن تكون سن العضو خمسًا وأربعين سنة على الأقل.

٢- أن يكون معروفًا بالورع والتقوى، وليس له ماض يشينه.

٣- أن يكون حائزا لشهادة العالمية مع لقب أستاذ منذ خمس سنوات على الأقل.

٤- أن يكون قد اشتغل بالتدريس فى إحدى الكليات، أو شغل إحدى وظائف الإفتاء أو القضاء الشرعى من درجة رئيس محكمة، أو أن يكون قد تولى وظيفة علمية بإدارة الجامع الأزهر والمعاهد الدينية من درجة شيخ معهد ثانوى، أو شغل منصبًا من مناصب الرؤساء الدينيين المسلمين المشار إليهم فى المادة ١٤٢ من الدستور.

٥- أن يكون قد ألف كتابا قيما فى مادة من المواد المقررة فى إحدى الكليات، أقرته لجنة مشكلة من عشرة أعضاء على الأقل، تندبها هيئة كبار العلماء لمباحثة مؤلف الكتاب فيما جاء فيه.

٦- أن تقرر هيئة كبار العلماء قبول ترشيحه بالأغلبية المطلقة للأعضاء الذين تتألف منهم الهيئة وقت الترشيح.

يعين كبار العلماء على النحو الآتى:

يضع مجلس الأزهر الأعلى لائحة داخلية لهيئة كبار العلماء، ويقرر فى هذه

اللائحة توزيع الكراسى علـى المواد المختلفة، مع مـراعاة حكم المادة ٨٣ بمنح كل عالم المكافأة التى تقرر لأعضاء هيئة كبار العلماء.

تجتـمع هيئة كـبار العلماء بدعـوة من شيخ الجامع الأزهر، ويكون اجـتماعـها صحيـحًا متى حضره أكثـر من نصف الأعضاء الذين تتألف منهم الهيـئة، وتصدر قراراتها بالأغلبية المطـلقة للأعضاء الحاضرين، فيما عـدا الأحوال المنصوص عليها فى القانون.

وقد خولت الهيئة إذا وقع من أحد العلمـاء، موظفًا كان أو غير موظف، ما لا يناسب وصف العالمية محـاكمته بناء على طلب شيخ الجامع الأزهر. ولهـذه الهيئة أن تحكم بإجماع عـشرين عضوا منها، من بينهم شيخ الجـامع الأزهر بإخراجه من العلماء؛ ويكون حكمهـا غير قابل للطعن فيـه، ويترتب على الحكم بالإخراج من العلماء محو اسم المحكوم عليه من سجلات الجامع الأزهر والمعاهد الدينية، وطرده من كل وظيفة، وقطع مرتبـاته فى أية جهة كانت، وعدم أهليته للقـيام بأية وظيفة عمـومية، دينية كـانت أو غير دينيـة. ويتبع فى المحاكم الإجـراءات التى تبين فى لائحة يضـعها مـجلس الأزهر الأعلى؛ فإذا كـان المحكوم عليه مـوظفا وجب أن يحال أمره بعـد ذلك إلى الجهة التى هو تابع لها، لتـثبت الهيئة المخـتصة الحكم، وتحدد الأثر المتـرتب عليه من الوجـهة الإدارية، سواء فـيما يخـتص بالفصل، أو بضياع الحق فى المكافأة أو المعاش.

ويجوز لمن صدر الحكم بإخراجه من العلمـاء، بمقتضى المادة السابقة، أن يطلب -بعد مضى عـشر سنين من تاريخ هذا الحكم- إعادة النظر فى أمـره. ومتى أثبت أنه سلك سلوكـا يتفق وكـرامة رجـال الدين، وعدل عـما صـدر الحكم لأجله، وكانت إعادته لا تتنافى مع هذه الكرامة، جاز إعادته إلى صفوف العلماء بقرار من هيئة كبار العلماء، على الصفة المبينة فى المادة السابقة.

ويجب أن تكون الأعمـال العلمية التى تقـوم بها هيئـة كبار العلمـاء فى حدود المواد المقـررة للكليـات الثلاث بالجـامع الأزهر (الشـريعة -أصـول الدين- اللغـة العربية)؛ وتكون على نوعين:

النوع الأول: تدريبى، يعنى فيه بتربية الملكات، ومعرفة طرق استنباط الأحكام من أدلتها، وتحقيق المسائل العلمية.

النوع الثانى: عمل أبحاث علمية فى الموضوعات المهمة من المواد المذكورة فى شكل رسائل.

وتختار الهيئة الكتب والأوقات التى تلائم حال الأعضاء فيما يتعلق بالنوع الأول؛ ولها أن تعين موضوعات الأبحاث فيما يتعلق بالنوع الثانى.

وفيما يتعلق بكراسى الأستاذية تقسم مواد الدراسة فى الكليات إلى المجموعات الأربع الآتية:

أ- الفقه وأصول الفقه، مع حكمة التشريع وتاريخ التشريع الإسلامى.

ب- التفسير والحديث، متنا ورجالا ومصطلحا.

جـ- التوحيد والمنطق والمناظرة والفلسفة (مع الرد على ما يكون منافيا للدين منها)، والتاريخ والسيرة النبوية والأخلاق الدينية وعلم النفس.

د- علوم اللغة العربية.

ويجب أن تمثل كل مجموعة من هذه المجموعات فى هيئة كبار العلماء، بحيث لا يقل عدد كراسى المجموعة الأولى عن ثمانية كراسى (ثلاثة للحنفية، واثنين للشافعية، واثنين للمالكية، وواحد للحنابلة).

ولا يقل عدد كراسى المجموعة الثانية عن اثنين، وكراسى كل من المجموعتين الثالثة والرابعة عن ثلاثة. وإذا لم يقم العضو بما تفرضه عليه الهيئة من الأعمال العلمية بغير عذر مقبول، عرض أمره على الهيئة؛ ويجوز لها أن تحرمه من راتبه عن المدة التى لم يقم فيها بما فرضته عليه.

أنشئ المجمع فى سنة ١٣٨١هـ (١٩٦١م) بمقتضى القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١؛ وجاء فى هذا القانون: «إن مجمع البحوث الإسلامية هو الهيئة العليا للبحوث الإسلامية، ويقوم بالدراسة فى كل ما يتصل بهذه البحوث، ويعمل على تجديد الثقافة الإسلامية، وتجريدها من الفضول والشوائب، وتجليتها فى جوهرها

الأصيل، والعمل على نشر الدعوة الإسلامية، وتنظيم بعوث الأزهر من وإلى العالم الإسلامى».

وقد استهل المجمع نشاطه بعقد مؤتمراته التى بدأت فى عام ١٩٦٤م، وقدم فيها مجموعة من البحوث، تناولت مختلف أوجه نواحى الفكر الإسلامى والحياة الإسلامية. وحرص المجمع على إصدار بحوثه تلك باللغتين العربية والإنجليزية؛ ونص قانونه على أن يتألف من خمسين عضوا، من بينهم عدد من الخارج لا يزيد على العشرين. وكانت جماعة كبار العلماء بالأزهر قبل التطوير قد آلت عضويتها إلى ستة أشخاص، فى وقت أصبحت فيه الأبحاث الإسلامية مطلوبة، والرغبة إليها ملحة، لتساير التطور العلمى والفكرى فى بلادنا؛ فكانت الحاجة ماسة إلى مجمع البحوث الإسلامية، ليجد العالم الإسلامى فى أعضائه ضالته المنشودة للحفاظ على دينهم وتراثهم. وفى رحابه اجتهد علماؤه، وقدموا مجموعات من الأبحاث ألحّت ظروف العالم الإسلامى على إنتاجها وظهورها، ليتعرف المسلمون حكم الله فيما استجد من الأمور.

وتستهدف رسالة مجمع البحوث الربط الفكرى بين علماء المسلمين وروح العصر الذى يعيشون فيه. ولقد كان من أصداء المؤتمرات التى عقدت بالقاهرة لعلماء المسلمين، والتى دعا إليها مجمع البحوث الإسلامية -أن أخذت الشعوب والحكومات الإسلامية بمقرراتها التى تناولت النواحى المختلفة لحياة المسلمين فى عصرنا، فاهتدوا بها وعملوا بما جاء فيها. ومجمع البحوث الإسلامية يجمع بين أعضائه علماء من أنحاء العالم الإسلامى؛ وهؤلاء العلماء لهم مكانتهم العلمية والدينية. وقد توافرت لهم كل أسباب البحث والنشر والإعلان لآرائهم عن طريق المجمع.

ويعد مجمع البحوث الإسلامية ركيزة للفكر الأكاديمى بين علماء المسلمين، وتوحيدا لاتجاهاتهم فى رحاب العقيدة الإسلامية، حتى لا تخرج اجتهادات فردية قد تضر بروح الإسلام أو تشذ عنه. فهو (صمام الأمان) بالنسبة للفكر الإسلامى المعاصر؛ تصب فيه كل الآراء المتعلقة بالعقيدة الإسلامية، وتنبع منه آراء إسلامية لا شائبة فيها، حماية للدين، وصونا لأبعاد الاجتهاد، وصيانة لسلوك المسلمين.

وقد أسهمت الدولة فى الأخذ بيد هذا المجمع، ليكون محطا لكل الاتجاهات الدينية الإسلامية فى كل أنحاء الدنيا؛ وتكفلت بكل ما يتطلبه المجمع لتأدية رسالته المنشودة، وتهيئة الجو العلمى لعلمائه، ليبحثوا ما شاء لهم فكرهم، وليقننوا بالشريعة الإسلامية ما تدفعهم الحاجة الملحة إليه تطبيقا للمبدأ الخالد: الإسلام لكل زمان ومكان.

انبثق عن المجلس وفقًا للقانون لجان مكونة من أعضائه وهى:

١- لجنة بحوث القرآن:

وقد قامت اللجنة بدراسة موضوعات تجويد القرآن، ووضع التفسير الوسيط، ووضع كتاب عن القراءات وجمع القرآن، ووضع القاموس الموسوعى للقرآن الكريم. ويتفرع عن هذه اللجنة لجنتان:

أ- اللجنة الفرعية للتفسير الوسيط:

عهد إلى هذه اللجنة بإعداد تفسير وسيط للقرآن للمثقفين غير المتخصصين؛ وتم طبع تسعة وعشرين حزبا، والباقى قيد الإعداد للطبع.

ب- اللجنة الفرعية لكتاب القراءات وجمع القرآن:

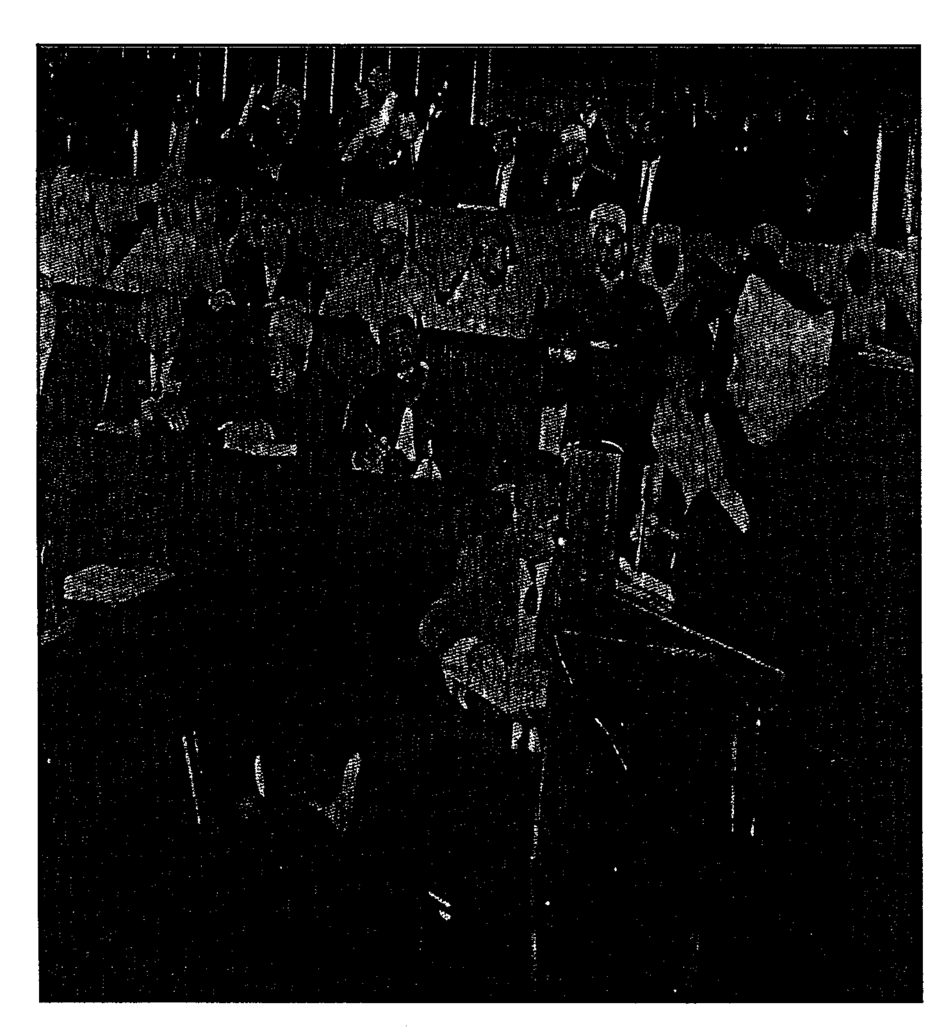
تعمل اللجنة على وضع كتاب عن القراءات وجمع القرآن. وقد انتهت من وضع مشروع للكتاب المذكور، يعرض الآن على لجنة بحوث القرآن لفحصه تمهيدًا لطبعه.

٢- لجنة بحوث السنة النبوية:

تتكون من عدد من أعضاء المجمع، وتعمل وفقًا للخطة المرحلية، وقد خططت لمشروع موسوعة مفهرسة للسنة النبوية.

وهى تشرف على لجنتين: إحداهما تعمل على تحقيق كتاب الجامع الكبير للإمام السيوطى وإخراجه. وقد تم طبع أكثر من ثلاثين جزءا.

واللجنة الثانية تعمل على بحث الأحاديث التى يوهم ظاهرها غير المراد منها، وشرحها، وبيان المقصود منها.



أحد اجتماعات مجمع البحوث الإسلامية



مجمع البحوث الإسلامية بمدينة نصر

٣- لجنة البحوث الفقهية:

تتكون من بين السادة أعضاء المجمع؛ وهى تشرف على عدة لجان فرعية، تقوم بنشاطها فى تقنين الشريعة الإسلامية:

أ- لجنة الأحناف -وقدمت بعض الأجزاء من تقنين الشريعة الإسلامية.

ب- لجنة المالكية -وقدمت بعض الأجزاء من تقنين الشريعة الإسلامية.

جـ- لجنة الشافعية -وقدمت بعض الأجزاء من تقنين الشريعة الإسلامية.

د- لجنة الحنابلة -وقدمت بعض الأجزاء من تقنين الشريعة الإسلامية.

٤- لجنة العقيدة والفلسفة:

وتبحث موضوعات الوجود، ومصطلحات الصوفية، وتجديد علم الكلام.

٥- لجنة إحياء التراث الإسلامى:

وهى تشرف على إخراج كتاب شرح السنة للبغوى؛ وقدمت للطبع الجزء الأول من الكتاب، وهى بصدد إخراج الجزء الثانى منه؛ كما تعمل على تحقيق كتاب الميزان للشعرانى وإخراجه.

وتقوم اللجنة بمشروع نشر الوثائق والعهود التى تشتمل على التوجيهات الرشيدة فى مجال الحكم والحضارة الإسلامية. وقد تم حتى الآن إنجاز الجانب الأكبر من العمل المطلوب.

٦- لجنة دائرة المعارف الإسلامية:

انتهت اللجنة الفرعية من جمع الكلمات التى تتناول أسماء الأعلام والأماكن وغيرها حسب ترتيبها الأبجدى.

أمناء المجمع

وهم على التوالى:

١- الدكتور محمود حب الله.

٢- الدكتور عبد الحليم محمود.

٣- الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار.

٤- الدكتور محمد حسين الذهبى.

٥- الشيخ خلف السيد على عبد الله.

٦- الدكتور عبد الجليل عبده شلبى.

٧- الدكتور الحسينى عبد المجيد هاشم.

٨- الدكتور عبد الجليل شلبى[1].

مجلة الأزهر

رأت مشيخة الأزهر منذ أكثر من نصف قرن أنه لابد -لإتمام رسالة الأزهر- من مجلة تصدر عنه، تحمل كلمته؛ فأصدرت قرارا بإنشاء هذه المجلة. وقد صدر العدد الأول منها فى المحرم سنة ١٣٤٩هـ، يحمل اسم: «نور الإسلام» وبعد بضعة أعداد حملت المجلة اسم «مجلة الأزهر» وما زالت تحمله حتى الآن. وتعد هذه المجلة الوجه الإعلامى الوحيد الذى يصدر بانتظام ليلتقى بالمسلمين كافة فى أول كل شهر عربى.

وقد تولى رئاسة تحريرها أول صدورها فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين، ثم توالى فى رئاسة تحريرها كبار الكتاب والمفكرين، أمثال: محمد فريد وجدى، ومحب الدين الخطيب، وأحمد حسن الزيات.

وعنيت مشيخة الأزهر بمضمون المجلة، ورسمت أهدافها فى خطة أعلنها فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله، وملخصها:

أ- تقدم المجلة المباحث العلمية القيمة، والمباحث الأدبية الرفيعة.

ب- تنشر آداب الإسلام، وتظهر حقائقه نقية من كل لبس، وتكشف عما ألصق بالدين من بدع ومحدثات.

---

(١) ولد فى برج ميغزل برشيد وتعلم فى مراحل الأزهر بالإسكندرية ثم تخرج من كلية اللغة العربية وعمل مدرسًا بمعهد الإسكندرية الدينى وأثناء ذلك حصل على ليسانس كلية الآداب وظل يدرس حتى حصل درجة الدكتوراه فى الأدب والنقد ثم انتقل إلى مجمع البحوث الإسلامية وظل يترقى حتى صار أمينا لمجمع لبحوث الإسلامية وتتلمذت على يديه فى معهد الإسكندرية وكانت له حلقات فى الإذاعة والتليفزيون ومقالات وبحوث ومؤلفات منشورة.

جـ- تعنى بسير عظماء الإسلام.

د- تدفع الشبهات التى يحوم بها مرضى القلوب على أصل من أصول الشريعة.

هـ- تنبه على ما دس فى السنة من أحاديث موضوعة.

و- لا تهاجم دينا بالطعن، ولا تتعرض لرجال الأديان بمكروه من القول.

ز- لا تمس السياسة.

هذا هو منهج المجلة الذى قامت على أساسه، والتزمته فى مسارها. وكلما تقدم الزمن ازدادت أهميتها وفقًا لاتساع مجالات البحث والدراسة فى المجتمعات الإسلامية.

وتتناول المجلة كذلك القضايا الاجتماعية، ومشكلات المسلمين والعرب، على نحو يسهم فى رفع الروح المعنوية، وتعبئة الجهود لمواجهة أخطار الاستعمار والصهيونية. ويلحق بالمجلة قسم باللغة الإنجليزية؛ للتعريف بالإسلام والرد على الشبهات، كما يصدر مع كل عدد منها ملحق شهرى، يعالج المشكلات معالجة موضوعية، وتستكتب له المجلة مشاهير العلماء والكتاب.

سلسلة البحوث الإسلامية

تمشيا مع أهداف المجمع فى نشر الثقافة الإسلامية، وتيسيرها للجميع، ومساعدة عامة المسلمين على تكوين مكتبات إسلامية بقروش زهيدة، قامت الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية بإصدار سلسلة شهرية، تطالع المسلمين مع هلال كل شهر بكتاب جديد، يحمل لونا من ألوان الثقافة الإسلامية.

وقد لقيت هذه السلسلة الإقبال، وألح القراء فى طلب ظهور السلسلة مرتين فى الشهر، فاستجابت «الأمانة العامة»، وأصبح كتاب السلسلة يصدر فى غرة الشهر العربى وفى منتصفه، عندما يستدعى الأمر ذلك. ويراعى أن تكون كتب هذه السلسلة ذات قيمة جوهرية فى الحياة الفكرية والاجتماعية والوطنية والإنسانية.

السكرتارية الفنية

وهى من الإدارات الرئيسية فى مجمع البحوث الإسلامية؛ وتختص بما يلى:

- تنظيم ومتابعة أعمال مجلس مجمع البحوث الإسلامية، الذى يرأسه الإمام الأكبر شيخ الأزهر، من اجتماعات، ومحاضر جلسات، وإعداد أبحاث ودراسات.

- الإشراف على تنظيم لجان وأروقة المجمع، المتمثلة فى عشر لجان رئيسية، ومجموعة من الأروقة، أهمها رواق «التفسير الوسيط»، ورواق «الجامع الكبير».

- الإعداد لإخراج مطبوعات المجمع مثل:

١- التفسير الوسيط.

٢- جمع الجوامع.

٣- أبحاث المؤتمر.

٤- كتاب المؤتمر.

٥- أية مطبوعات أخرى.

ويناط بالسكرتارية الفنية كذلك:

- تنظيم أعمال المؤتمرات، والإشراف على تنفيذها.

- متابعة تنفيذ قرارات المؤتمرات واللجان وتوصياتها.

- تبادل المعلومات والأبحاث مع الهيئات العلمية المماثلة فى الداخل والخارج.

إدارة البعوث الإسلامية

١- تستقبل إدارة البعوث الإسلامية الوافدين من طلائع الشباب المسلم من آسيا وأوربا وأفريقيا وأمريكا للدراسة، وتهيىء فرص الحياة العلمية الكريمة لهم بوصفهم ضيوفًا على جمهورية مصر العربية، وسفراء لها غدا فى دولهم.

٢- تتولى إيفاد أعضاء الإجازات الدراسية إلى الخارج على منح دراسية لاستكمال ثقافتهم فى الدول الأجنبية.

لجنة الفتوى

يعمل فى لجنة الفتوى جهاز متخصص من كبار علماء الأزهر، وتتلقى اللجنة ما يقرب من ستة آلاف استفتاء سنويًا، تنجزها تباعًا. وتستقبل اللجنة طلبات الاستفتاء أحيانًا بالهاتف، وأحيانًا عن طريق المقابلات الشخصية. ويسهم أعضاء اللجنة فى نشاط المجمع الخاص بتقنين الشريعة الإسلامية، ويعهد إليهم أحيانًا بإعداد بحوث خاصة تتعلق بالمشكلات المعاصرة، واقتراح الحلول اللازمة، الموافقة

لتعاليم الإسلام وكذلك تستقبل اللجنة السادة الراغبين فى اعتناق الدين الإسلامى وتقوم بإرشادهم ومساعدتهم.

إدارة الوعظ والإرشاد

١- يمتد دور الوعظ إلى كل مكان فى البلاد من أجل النهوض بالشعب وارتقائه روحيًا وجسمانيًا، على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع؛ وذلك عن طريق المحاضرات الدينية والثقافية والتوجيهية للرجال والسيدات، والفتية والفتيات، فى المدارس والمعاهد والمساجد والجامعات والجمعيات والمؤسسات الاجتماعية المختلفة.

٢- يقوم رجال الوعظ فى مناطق الوعظ المختلفة بالمصالحات؛ كما أن لهم دوراً مشهوداً فى مقاومة الجريمة، والإصلاح بين الأسر المتنازعة.

٣- وللوعاظ فى القوات المسلحة أثر واضح فى التعبئة الروحية فى الحرب والسلم.

٤- مواجهة الفكر المنحرف بالتركيز على توضيح المفهومات الإسلامية الصحيحة، وتفنيد المفهومات الخاطئة، عن طريق الندوات والرد على التساؤلات.

٥- قام كثير من رجال الوعظ بجهد مشكور فى الإسهام فى إنشاء المساجد والمعاهد والمدارس ومكاتب تحفيظ القرآن الكريم.

٦- يتعاون الوعظ مع أئمة مساجد وزارة الأوقاف فى توجيه الجماهير إلى الصالح العام، بإلقاء الدروس وخطب الجمعة وإقامة الندوات.

٧- يقوم رجال الوعظ فى الاحتفالات الدينية والمناسبات الوطنية بدور بارز عن طريق الكلمة الهادفة والتوجيه السليم.

٨- وللوعاظ دور مهم فى نشر الثقافة الإسلامية وتوثيق الروابط الأخوية بين أبناء الأمة الإسلامية والعربية، وتوحيد كلمتها.

وسيظل مجمع البحوث بأجهزته المختلفة منارة للعلم والدعوة إلى الله.

مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية

عقد مجمع البحوث الإسلامية منذ إنشائه تسعة مؤتمرات، آخرها المؤتمر التاسع الذى عقد تحت شعار «الاحتفال بالعيد الألفى للأزهر».

وقد صدر عقب كل مؤتمر من المؤتمرات الثمانية السابقة كتاب خاص باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية، يتضمن البحوث المقدمة فى المؤتمر، والمناقشات التى دارت حولها. ويعد الآن الكتاب الخاص بالمؤتمر التاسع، ويضم البحوث التالية:

ما ينتظره المسلمون من الأزهر فضيلة الشيخ عطية صقر.

الأزهر والحضارة العلمية الدكتور جمال الدين الفندى.

تاريخ الأزهر وتطوره فضيلة الشيخ محمد الحسينى شحاته.

الأزهر وأثره فى العالم الإسلامى الدكتور عوض الله حجازى.

الأزهر وتقنين الشريعة المستشار عبد العزيز هندى.

الأزهر فى خدمة المجتمع الإسلامى فضيلة الشيخ صالح شرف.

الأزهر والقيادة الشعبية الأستاذ على عبد العظيم.

الأزهر وعلاج المشكلات الاجتماعية فضيلة الشيخ عطية صقر.

عالمية رسالة الأزهر الدكتور الحسينى هاشم.

الأزهر ونشر رسالة الإسلام فى لبنان الأستاذ وفيق القصار.

الأزهر وتخريج الدعاة فضيلة الشيخ عبد المنصف محمود.

ابن خلدون والأزهر الدكتور على عبد الواحد وافى.

علم الاقتصاد الإسلامى فضيلة الشيخ أحمد فهمى أبو سنة.

نحو مشروع دستور إسلامى المستشار عبد الحليم الجندى.

أهل الذمة فى الفتاوى المقدسية الدكتور إسحق موسى الحسينى.

السنة ومنزلتها -الموسوعة الحديثية- قدسية القرآن فضيلة الشيخ مصطفى الطير.

التحديات أمام اللغة العربية الدكتور محمد السعدى فرهود.

الإسلام هو الحل الوحيد المفكر الفرنسى المسلم رجاء جارودى.

قرارات وتوصيات المؤتمر التاسع

وقد انتهى المؤتمر التاسع لمجمع البحوث الإسلامية إلى التوصيات الآتية:

١- تأييد كلمة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية التى افتتح بها المؤتمر، واعتبارها وثيقة من وثائقه حيث جاء بها الحث على أن يأخذ الأزهر دوره فى التصدى للمشكلات الاجتماعية والاقتصادية التى تواجه المجتمعات الحديثة، وأن يشارك مشاركة نشطة فى بحث قضية الثقافة فى مصر والمجتمع الإسلامى على امتداده وأن يعمل على تأمين الفكر الإسلامى ضد المفاهيم الدخيلة عليه، وعلى تقريب علوم الدين إلى عقول الشباب ولا سيما أولئك الذين لم تتح لهم فرصة الدراسة فى المعاهد الأزهرية، وبالتجديد فمن المفيد أن يعاد النظر فى مناهج الدروس الدينية فى شتى مراحل التعليم وأسلوب تدريسها، لتقريبها إلى عقول الناشئين وقلوبهم.

٢- يوصى المؤتمر الأمة الإسلامية -بكافة شعوبها- أن تجتمع على كلمة الحق، وأن تتواصى بالتراحم والتضامن فيما بينها، وأن ترتفع فوق عوامل الفرقة والشقاق، فذلك فريضة واجبة عليها، كما أشار إلى ذلك خطاب السيد الرئيس محمد حسنى مبارك من أنها فريضة واجبة علينا أن ندعو أبناء الأمة الإسلامية على اختلاف أقطارهم ومشاربهم إلى نبذ الخلافات، وحقن الدماء والالتقاء على كلمة سواء، تتفق مع روح الإخاء الإسلامى وعمق روابط الدين والحياة لوحدة الغاية والهدف والمصير.

وفى هذا الصدد يتطلع سيادته إلى دور أكبر للأزهر فى العالم الإسلامى على امتداده لتعميق الروابط بين شعوبه، باعتبارهم أمة واحدة، وبالوسائل المناسبة، وهو ما نرجو أن يتحقق إن شاء الله.

٣- اعتبار خطاب الرئيس مأمون عبد القيوم رئيس جمهورية المالديف وعضو المؤتمر وثيقة من وثائقه.

٤- يناشد المؤتمر شعوب الأمة الإسلامية التضامن والاتحاد للعمل على دفع العدوان الواقع من القوى الخارجية على بلاد العرب والمسلمين فى أفغانستان ولبنان صيانة لهذه الأرض، وتطهيرا لها من المغتصبين.

وفى هذا المقام يناشد المؤتمر المجاهدين فى أفغانستان ولبنان أن يوحدوا كلمتهم، وأن يرتفعوا فوق الخلافات الشخصية والمذهبية، وأن يجمعوا أمرهم على إجلاء عدوهم عن أرضهم؛ ولن يتم ذلك إلا بوحدتهم واجتماع كلمتهم.

٥- يناشد المؤتمر شعوب الأمة العربية والإسلامية خاصة، وشعوب العالم والمنظمات الدولية عامة، مساندة حق الشعب الفلسطينى فى أرضه ووطنه وإقامة دولته على أرضه؛ كما يناشد الزعماء الفلسطينيين أن يجمعوا أمرهم على استرداد الحق المغتصب بكافة الوسائل المشروعة.

٦- يوصى المؤتمر شعوب الأمة الإسلامية وحكوماتها بالعمل بكافة الطرق على استعادة القدس موحدة كما كانت إلى السيادة العربية الإسلامية.

٧- يدعو المؤتمر حكومتى إيران والعراق إلى النزول على حكم الله الذى حرم قتال المسلمين فيما بينهم وعليهم وقف هذا القتال، حقنا لدماء المسلمين وحفظا لأرواحهم وأموالهم، إذ لا يستفيد من إرهاقها وتبديدها سوى أعداء الأمة الإسلامية.

وعلى حكومات الدول الإسلامية التدخل لإنهاء هذه الحرب بالطرق المناسبة، وقد عهد المؤتمر إلى شيخ الأزهر إبلاغ ذلك إلى كافة الحكومات.

٨- يوصى المؤتمر حكومات الأمة الإسلامية وشعوبها بالعناية بشئون الأقليات الإسلامية فى أوطانها ومساندتها فى الحفاظ على دينها وحقوقها.

٩- يوصى المؤتمر جميع شعوب الأمة الإسلامية وقادتها بالعمل على وقاية المجتمع الإسلامى من الغزو الفكرى والثقافى الذى يستهدف بث الفرقة بين المسلمين والتشكيك فى عقيدتهم وشريعتهم، ويدعوهم إلى الاعتصام بحبل الله جميعًا فى مواجهة التحديات الفكرية والثقافية المناهضة للإسلام.

١٠- يؤكد المؤتمر على ضرورة تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ويدعو حكومات البلاد الإسلامية وشعوبها إلى استمداد قوانينها من الشريعة الإسلامية.

١١- يوصى المؤتمر الجهات المعنية بالتعليم فى الأقطار العربية والإسلامية بالعناية بتحفيظ القرآن الكريم، وبالعناية بدروس الدين الإسلامى، عقيدة وأحكاما وأخلاقًا فى مختلف مراحل التعليم، لتنشأ أجيال المسلمين على خلق القرآن ووصايا الإسلام مع مزيد من العناية بإعداد المعلمين الذين يقومون بهذه الواجبات.

١٢- يطالب المؤتمر حكومات البلاد الإسلامية والهيئات القائمة على وسائل الإعلام فيها بضرورة العناية بما يقدم من مواد ومصنفات فنية، بحيث تكون ملتزمة بالقيم الإسلامية والأخلاقية، وتحث على الفضائل وتحمى النشء من الانحراف.

١٣- يوصى المؤتمر حكومات الدول الإسلامية وهيئاتها بضرورة العناية باللغة العربية فى مناهج التعليم فى مراحله المختلفة، وفى جميع وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية باعتبارها لغة القرآن.

١٤- أناب المؤتمر شيخ الأزهر فى إبلاغ هذه التوصيات إلى كافة حكومات الدول الإسلامية والجهات المعنية.

١٥- يوصى المؤتمر مشيخة الأزهر بالنظر فيما تناولته المناقشات فى شأن ما يجب أن يكون عليه الأزهر وهيئاته تمكينا له من الاضطلاع بالمسئوليات الملقاة عليه فى النواحى العلمية والتعليمية وشئون الدعوة، وبإحالة بحوث المؤتمر، والمؤتمرات السابقة، وتوصياتها، ومحاضر جلساتها إلى مجلس مجمع البحوث الإسلامية لمدارستها، وإعداد تقرير فى شأنها، يعرض على المؤتمر العاشر لمجمع البحوث الإسلامية.

وفى الختام -وقد لمس المؤتمر الجهد المبذول المشرف لإعداده وتنظيمه- يوجه المؤتمر موفور الشكر وعظيم التقدير إلى اللجنة العليا للاحتفال بالعيد الألفى للأزهر، وإلى أمانتها، وسائر المعاونين لها فى هيئات الأزهر وخارجها، وإلى كافة المشاركين بجهودهم فى هذه المناسبة التاريخية العظيمة.

والله الموفق والمستعان والهادى إلى سواء السبيل.

٩ من جمادى الآخرة ١٤٠٣هـ ٢٤ من مارس ١٩٨٣م(١)

---

(١) الدكتور الحسينى هاشم: الأزهر الشريف فى عيده الألفى الهيئة العامة للكتاب ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

الأزهر والدعوة الإسلامية

انفرد الأزهر بالزعامة العلمية، وأصبح مركز الإشعاع للدعوة الإسلامية. وقد صار المسلمون ينظرون إليه نظرة إكبار وإجلال، ويعدونه كعبتهم التى استأثرت بشرف المحافظة على التراث الإسلامى المجيد، والمشعل الذى يضئ ولا يخبو، والملاذ الذى تهوى إليه أفئدة المسلمين من كل مكان.

من أجل ذلك كله قصده طلاب العلوم العربية والثقافات الإسلامية من شتى أنحاء العالم، الراغبون فى الدراسة وطلب العلم.

وذاع صيت الأزهر، وأمه الطلاب من كل صوب وحدب، وجد الأزهر وعلماؤه فى إحياء الثقافة الإسلامية؛ فكان للأزهر جهوده التى وطدت مكانته، ودعمت من كيانه، وسمت بمنزلته العلمية وشخصيته الجامعية. ومن ثم ألقيت مقاليد الثقافة الإسلامية والعربية فى يد الأزهر، فحمل الأمانة، وبذل فى سبيل أداء رسالته كل ما يستطيع من جهد وقوة، على نحو جعل القصد إلى الدراسة فيه غاية، وتلقى العلم فى رحابه شرفًا.

كل هذا والمصريون يكرمون وفادة من يقدم عليهم، عونا له على مهمته، وإسهاما فى نشر دين الله على أيدى أناس هوت قلوبهم إلى الأزهر فنفروا إليه من بلادهم، يبذلون فى ذلك كل مرتخصٍ وغال، مستعذبين الصعاب، ليتفقهوا فى الدين، وليرشدوا قومهم إذا رجعوا إليهم. وأهل مصر -مع ذلك- لم يروا لأنفسهم فضلاً فيما يفعلون، بل كانوا يسارعون إلى البذل والعطاء، طيبة به نفوسهم، مغتبطة به قلوبهم؛ يرونه دينًا فى أعناقهم للإسلام الذى من الله به عليهم، فتنافسوا فى أدائه لأناس ربط الله بينهم بحبله المتين، ونوره المبين.

وكانت أبواب الدراسة مفتوحه أمام كل طالب للعلم، يلتحق بها بلا قيد أو شرط، وله الحرية الكاملة فى أن يختار من أراد من العلماء لتلقى العلم عنه، لا فرق فى ذلك بين مصرى أو وافد، ولا بين طالب أبيض أو أسود؛ ففى رحاب الأزهر الشريف عرفت المساواة وتحققت، وانعدمت الامتيازات بين الطلاب مهما

اختلفت لغاتهم وجنسياتهم وألوانهم؛ فكان الأزهر هو التطبيق العملى لمبادىء الإسلام الرشيدة (كلكم لآدم، وآدم من تراب، لا فضل لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى).

وكان الطالب عندما يفد إلى الأزهر ينضم إلى طلاب بلده الذين يدرسون فى الأزهر، ويقيم معهم فى مكان بالجامع أعد لهم للسكنى والإقامة والمعيشة، أطلق عليه اسم «رواق».

ولقد تعددت الأروقة وكثرت فى داخل الجامع الأزهر وخارجه، تلاصقه أو تواجهه؛ تعددت وكثرت بتعدد الطلاب الوافدين من البلاد الإسلامية المختلفة للالتحاق بالدراسة فيه.

وكفل الأزهر الشريف للطلاب الوافدين -بجانب الاستقرار السكنى- الأمن المعيشى عن طريق الوقفيات التى حبسها حكام مصر والموسرون من أهل الخير على طلبة الأروقة وعلى علماء الأزهر، بالإضافة إلى أن الأثرياء وأصحاب الأموال كانوا يقصدون الجامع الأزهر ويقدمون لطلابه صنوف البر المختلفة من الذهب والفضة والنقود وألوان الطعام؛ وذلك إعانة للمجاورين فيه على عبادة الله تعالى وتلقى العلم.

وبذلك انصرف الطلاب إلى تلقى العلم، وتفرغوا لتحصيله. وكان الطالب يقيم فى الأزهر ما شاء الله له أن يقيم، يتلقى العلم ويحصله، حتى إذا أنس من نفسه علمًا كافيًا، وملكة يتمكن بها من إفادة غيره، ووجد لديه قدرة على التصدر للعلم، أذاع ذلك بين زملائه وشيوخه، فتعقد له فى ديوان الأزهر حلقة من العلماء النابهين، يجلس الطالب أمامهم ويناقشونه نقاشًا جادًا، ويختبرونه ويمتحنونه امتحانًا دقيقًا فيما يتصدى لتدريسه من مواد؛ فإذا أثبت الطالب كفاية وامتيازا، ووثقوا فى علمه وخلقه، أجازوه وأجازه شيخ الأزهر، ومنحه حق التدريس.

بعد حصول الطالب الوافد على الإجازة من شيخ الأزهر، التى تمنحه حق التدريس، كما تمنحه لقب الشيخ أو العالم، يعود إلى بلده مرفوع الرأس، عالى

الهامة، يستقبله أهله وبلده استقبالاً يليق بعالم تخرج فى الأزهر الشريف، وينظر إليه الناس جميعًا نظرة الإكبار والإجلال، ويتصدر حلقات العلم، ويعتلى المنابر؛ كلمته مسموعة، ورأيه مطاع، وقوله فصل.

ولهذا كان تأثير خريجى الأزهر الشريف فى مجتمعاتهم كبيرًا؛ وكان لهم وزنهم العلمى والثقافى فى بلادهم؛ وكثير منهم اعتلى أرقى المناصب، وتولى قيادة الحكم والتوجيه، وصار منهم الحكام والوزراء، ووصل بعضهم إلى منصب الرياسة فى دولته.

وأهم دور للأزهر الشريف هو فى نشر أشعة العلم والعرفان فى أقطار العالم، وتتجلى قيادته الروحية الخالدة فى مقاومته لتيارات الإلحاد والانحراف والمذاهب الهدامة، فضلاً عن إسهام رجاله فى الحروب ضد الغزو الأجنبى بأنفسهم وأموالهم وكلمتهم المسموعة.

والأزهر الشريف لم يقصر فتح أبوابه على استقبال الطلبة الوافدين للدراسة فحسب، بل فتح أبوابه لاستقبال العلماء من شتى الأقطار والأصقاع للتعليم، وتصدر حلقات الدرس، لا فرق فى ذلك بين عالم مصرى وعالم وافد؛ فكلهم فى رحاب الأزهر سواء، وفى صحنه وجنباته أئمة يدعون إلى الهدى.

ولقد وصل بعض هؤلاء العلماء إلى المناصب العليا فى الأزهر الشريف، مثل الشيخ محمد الخضر حسين التونسى، شيخ الأزهر، ومثل الشيخ محمد نور الحسن السودانى، وكيل الأزهر،

والأزهر بهذا وذاك يوطد الأخوة الإسلامية، ويحكم الوشائج بين أبناء الأمة الإسلامية، ويحقق مبدأ تسعى المحافل الدولية للاقتراب منه.

ظل التحاق الطلبة الوافدين بالأزهر يسير على النحو الذى أوضحناه عدة قرون، إلى أن استجدت أمور -وتلك سنة التطور- اقتضت وضع قواعد تنظم طريقة الالتحاق والدراسة فى معاهده وكليات جامعته.

لقد ظل باب التعليم فى الأزهر مفتوحًا لأبناء المسلمين فى كل مكان فى العالم، تتولاه الدولة فى مصر بالرعاية والإنفاق عليه، بتقديم المنح الدراسية لأبناء

المسلمين للدراسة فيه. وتتفاوت القيمة المادية للمنحة تبعًا لمرحلة التعليم التى يلحق بها الطالب الوافد (مرحلة المعاهد الإعدادية والثانوية، ومرحلة الجامعة، ومرحلة الدراسات العليا).

ويضاف إلى هؤلاء أعداد كبيرة من الطلاب يأتون على نفقة حكوماتهم، أو يفدون على نفقة هيئات إسلامية، أو يدرسون ويقيمون على نفقتهم الخاصة. وهؤلاء جميعًا يرحب بهم الأزهر، ويقدم إليهم الرعاية الكاملة، التى تعينهم على تحقيق رسالتهم.

وتيسيرا على كثير من الطلاب الوافدين إلى الأزهر، أعدت لهم دراسات خاصة فى اللغة العربية، يفيد منها طلاب البلاد الناطقة بغير اللغة العربية، تمهيداً لإلحاقهم بعد ذلك بالفرق الدراسية التى تناسبهم. وتعميمًا للفائدة من هذه الدراسات الخاصة، تم تعديلها بحيث تشمل -إلى جانب دراسة اللغة العربية- دراسة العلوم الإسلامية لمن يريد من هؤلاء الوافدين التزود بالثقافة الإسلامية والعربية، دون الانتساب إلى الدراسة النظامية فى معاهد الأزهر وكليات جامعته.

وحرصا من مصر على استمرار توفير الاستقرار السكنى والأمن المعيشى لهؤلاء الطلبة الوافدين، ولا سيما بعد أن تضاعفت أعدادهم، وضاقت الأروقة بهم، وامتد إليها عوادى الأيام فأصبحت صلاحيتها لسكناهم وإقامتهم محدودة، أنشأت حكومة مصر -وهى الحريصة على راحة الوافدين إلى الأزهر طلبًا للعلم- مدينة للبعوث الإسلامية، تجمع شملهم، وترعى شئونهم، وتوفر لهم أسباب الحياة الكريمة، والرعاية الشاملة، صحيًا وغذائيًا وإسكانًا، إلى جانب الرعاية العلمية والاجتماعية.

وتقع هذه المدينة بالعباسية القبلية على امتداد الطريق الموصل من الأزهر إلى الدراسة، على أرض مساحتها حوالى ثلاثين فدانا، أقيمت المبانى على عشرين منها، وترك الباقى حدائق ومتنزهات وشوارع داخلية. وتشتمل المدينة على ٤١ مبنى سكنيًا، يتكون كل مبنى منها من ثلاثة طوابق سكنية، وكل طابق يتكون من جناحين، يتسع كل جناح منهما لإقامة عشرين طالبا. ولكل جناح مرافقة العامة،

وحمامـاته، وغرفه المخصـصة للخدمة. ويفـصل بين كل جناحين حجرة كـبيرة، أعدت للاستذكـار، بها مكتبة صغيـرة للاطلاع. ويشتمل الطابق الأرضى فى كل مبنى على ناد يختلف إليه الطلاب فى أوقات فراغهم.

وقد أقيم بالمدينة مسجد كبير بنى على الطراز الإسلامى، كما أقيمت بها مرافق أخرى لخدمة الطلاب، مثل: المكتبة العامة، والمطابخ، وقاعات الطعام، والمغسل، والمستـشفى العـلاجى، والمحال العـامة، ومـجمـوعة من الملاعب لمزاولة النـشاط الرياضى.

ويتمتع الطالب الوافـد المقيم فى هذه المدينة بهذه الخدمات، إلى جـانب التغذية الكاملة، نظير مبلغ خمسة جنيهات مـصرية، تستقطع من المنحة التى يحصل عليها شهريًا.

والإحـصاءان التـاليان يوضـحـان عدد الطلاب والطالبـات الوافـدين المقيـدين بالدراسة فى الأزهر الشريف فى العام الدراسى ٨٢-١٩٨٣م[1].



(١) الأستاذ عبد المهيمن الفقى والأستاذ فوزى الزفزاف الهيئة العامة للكتاب ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م. أنظر هناك.

كتب صدرت عن الأزهر الشريف

الأزهر:

تأليف عبد الحميد يونس وعثمان توفيق -دار الفكر العربى- ١٩٤٦م.

نشأة الأزهر، وعمارته، وتقاليده، ونهضته بدءًا من عهد الإمام محمد عبده، والمكتبة الأزهرية.

الأزهر بين الخليفة المعز والرئيس جمال عبد الناصر:

تأليف أحمد حسن الباقورى -جامعة الأزهر- ١٩٦٤م.

تاريخ الأزهر منذ تأسيس القاهرة، وعقيدة التوحيد، ومكانة مصر والأزهر، دور الرئيس جمال عبد الناصر فى تطوير الأزهر، تذكرة الأجيال بالأمجاد العلمية للعرب والمسلمين.

الأزهر بين القديم والحديث:

صدر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ملحقًا بمجلة منبر الإسلام -العدد الثامن من السنة الثالثة والعشرين. كتب فيه مجموعة من أعيان الكاتبين، مع تحقيقات عن الجامع، وصلة حاضرة بماضيه، ونظام الحلقات العلمية.

الأزهر بين السياسة وحرية الفكر:

تأليف محمد رجب البيومى: عدد كتاب الهلال -مارس ١٩٨٣م.

يتناول دور الأزهر فى الكفاح الوطنى ومقاومة الاستعمار فى كل بلاد الإسلام، كما يتناول دفاع الأزهر عن حرية الفكر فى ضوء تعاليم الإسلام، مع مقاومة الذين يلبسون الحق بالباطل.

الأزهر بين الماضى والحاضر:

تأليف منصور على رجب -مطبعة المقتطف والمقطم- ١٩٤٦م.

الحركة العلمية بمصر قبل الأزهر، وفى وجود الأزهر، نظام التعليم، الكتب

الدراسية، خطوات الإصلاح فى عهد جمال الدين الأفغانى، الشهادات الأزهرية، ميزانية التعليم، المكتبة، الاتجاه الحديث للأزهر.

الأزهر: تاريخه وتطوره:

صدر عن وزارة الأوقاف وشئون الأزهر، سنة ١٣٨٣هـ، (١٩٦٤م) -دار مطابع الشعب بالقاهرة.

الأطوار التاريخية منذ إنشاء الأزهر فى الدولة الفاطمية، دعوة الفاطميين وأصداؤها فى الشعب المصرى، العهود التالية حتى العصر الحديث ودور الأزهر فى الحركة الوطنية، عمارة الأزهر، مميزات العمارة الفاطمية، المسجد وتصميماته وإصلاحاته وأوقافه، المدارس الملحقة به، مؤسسات الأزهر الثقافية، المكتبة، الأروقة ومكتباتها، مجلة الأزهر، إدارة الوعظ، الأزهر فى عهد ثورة ١٩٥٢م، موازنة بين قانون الأزهر لسنة ١٩٣٦م وقانون الأزهر لسنة ١٩٦١م، هيئات الأزهر واختصاصاتها وأنشطتها، الحركة العلمية بالعالم الإسلامى قبل الأزهر، الحركة العلمية بمصر قبل الأزهر، الأزهر جامعة منذ أواخر عهد المعز لدين الله الفاطمى سنة ٣٦٥هـ، حلقات التدريس، استقطاب الأزهر للأعلام الفكر الإسلامى، دروس الفلسفة والآداب والرياضة والفلك والطب والموسيقى بالأزهر، العهد العثمانى عهد اضمحلال، القوانين الإصلاحية، مراحل الإصلاح من الحلقة إلى المدرج، الكتب الدراسية، الامتحانات والإجازات، البعوث إلى الأزهر، البعوث إلى الخارج، شيوخ الأزهر، كبار العلماء وهيئتهم، نماذج من نابهى الأزهر فى مختلف العهود، إشعاعات الدعوة الإسلامية.

الأزهر جامعًا وجامعة:

تأليف عبد العزيز محمد الشناوى -الأنجلو المصرية- ١٩٨٣م.

يضم الجزء الأول ١٤ فصلا عن: المساجد الجامعة حتى بناء الأزهر، الأزهر فى العصر الفاطمى جامعًا وجامعة، الموارد المالية للأزهر فى العصر الفاطمى، الأزهر فى العصر الأيوبى جامعًا وجامعة، وفى عصر دولتى المماليك البحرية والشراكسة جامعًا وجامعة، وإبان الحكم العثمانى، منصب شيخ الجامع الأزهر فى العصر

العثمانى، الأزهر جامعا وجامعة فى العصر العثمانى، أروقة الأزهر قطعة من تاريخ الأزهر ومظهر لانفتاحه على العالم الإسلامى عبر تاريخه الحافل، الانتفاضات الشعبية التى تزعمها الأزهر فى أواخر الحكم العثمانى، تقويم دور الأزهر إبان الحكم العثمانى.

الأزهر على مسرح السياسة المصرية:

تأليف سعيد إسماعيل على -دار الثقافة للطباعة والنشر- ١٩٧٤م.

دراسة فى تطور العلاقة بين التربية الإسلامية والسياسة.

الأزهر فى اثنى عشر عامًا (١٩٥٢-١٩٦٤م):

صدر عن إدارة الأزهر -نشر الدار القومية للطباعة والنشر.

كلمة تمهيدية عن الأزهر ونشأته ومكانته ودوره فى الكفاح الوطنى وشيوخه، الأزهر قبل ثورة ١٩٥٢، تطور الدراسة فى المعاهد والكليات والبعوث، الأزهر فى ظل قانون التطوير، التعريف بهيئات الأزهر، ونشاطات المعاهد الأزهرية والمجلس الأعلى للأزهر ومجمع البحوث الإسلامية وجامعة الأزهر، أثر التطوير على تمكين الأزهر من تحقيق رسالته.

الأزهر فى ألف عام:

تأليف أحمد محمد عوف -من سلسلة البحوث الإسلامية، التى تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م) -الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م).

عصر بناء الأزهر، الشعائر الدينية بالجامع، شئون الطلاب والدراسة، نظام الحلقات الدراسية، الأزهر فى عصور المماليك والعثمانيين، قوانين الإصلاح فى القرنين التاسع عشر والعشرين، قيادة علماء الأزهر للشعب، مشايخ الأزهر حتى الشيخ محمد محمد الفحام، هيئات الأزهر، التطوير وما بعده. ملحق بمشايخ الأزهر.

الأزهر فى ألف عام:

تأليف محمد عبد المنعم خفاجى -١٩٧٤م.

الأزهر خلال عصور التاريخ، مشاركة الأزهر فى الحياة العقلية والحركة العلمية والنضال الوطنى، القوة الشعبية فى الأزهر من خلال حركة الجهاد الوطنى بمصر، قوانين الأزهر والحركات الإصلاحية، نوابغ من الأزهر، شيوخ الأزهر، أعلام من الأزهر سجل التاريخ مواقفهم، أوقاف الأزهر القديمة، الإجازات العلمية، المكفوفون فى الأزهر، لجنة الفتوى، مجلس الأزهر الأعلى، الأزهر والحركات الفكرية، البعوث، مناهج الدراسة، جماعة كبار العلماء، الدراسات العليا فى الأزهر الجامعى. الصلات العلمية للأزهر بالجامعات، مكتبة الأزهر، كلية اللغة العربية والصحافة فى ثلاثة أجزاء دار بيروت ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

الأزهر ماضيه وحاضره:

تأليف محب الدين الخطيب -المطبعة السلفية ١٣٤٥هـ.

يتناول ماضى الأزهر وحاضره والحاجة إلى إصلاحه وذكر مشايخه فى الآونة الأخيرة بدءا من القرن الحادى عشر الهجرى.

الأزهر والإسلام:

صدر عن وزارة الأوقاف بمصر سنة ١٩٨٣م.

عرض تلخيصى للأزهر جامعا وجامعة، ومشاركات الأزهر فى حفظ اللغة العربية، ومقاومة الاحتلال، ونصرة المجتمع، والنهضة الأدبية، مع نماذج من إسهامات العلماء الأزهريين.

الأزهر وأثره فى النهضة الأدبية الحديثة:

تأليف محمد كامل الفقى -الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ (١٩٦٥م)- مكتبة نهضة مصر بالفجالة. الأزهر والثقافة، اعتماد النهضة الحديثة على الأزهر والأزهريين، دار العلوم كفرع من دوحة الأزهر، مدرسة القضاء الشرعى، الأزهر والبعوث، الترجمة والتأليف والتحرير والتصحيح والصحافة وكيف نهض بها الأزهر، رفاعة الطهطاوى وتلامذته من الأزهريين، الأزهر والخطابة، وطنية الأزهريين أيام الغزو الفرنسى والثورة العرابية وثورة ١٩١٩م، أشهر الخطباء والكتاب والشعراء مع تراجم لهم وشرح لدور كل منهم فى النهضة الأدبية.

الأزهر والفكر المعاصر:

تأليف د. محمد البهى -مطبعة مخيمر- ١٩٥٥م. عرض لوجهة نظر المؤلف فى علاقة الأزهر بالفكر فى العالم المعاصر، وفيما يجب أن يأخذ به الأزهر نفسه أمام التيارات الوافدة.

أزهريات:

تأليف محمد على غريب -من سلسلة كتب قومية- العدد ١٦١.

مجموعة ذكريات من خلال نشأة المؤلف وأفراد أسرته فى محيط التعليم الأزهرى، ومن صادفهم من مشايخ الأزهر فى صعيد مصر والقاهرة.

أعمال مجلس إدارة الأزهر:

صدر عن مشيخة الأزهر سنة ١٣٢٣هـ.

عرض لأعمال مجلس إدارة الأزهر من ابتداء إنشائه فى سنة ١٣١٢هـ إلى سنة ١٣٢٢هـ. يتناول تشكيل المجلس، قانون المرتبات، إلحاق التعليم بالجامع الأحمدى ومسجد الدسوقى ودمياط بالأزهر، كساوى التشريف، العطلة الدراسية، مكافآت الامتحان، مشايخ الأروقة والحارات والملاحظين، دار الكتب بالأزهر، إصلاح التعليم، نظام الجراية، نظام التدريس، زاوية العميان، مواد التعليم، إلحاق الإسكندرية فى التعليم والنظام بالأزهر، مرتبات أولاد العلماء، الحالة الصحية للطلاب.

البعثة الأزهرية إلى الهند:

تقرير صدر عن الأزهر -مطبعة حجازى ١٩٣٧م.

يتناول دراسة الأحوال والطوائف والهيئات الإسلامية بالقارة الهندية لدى زيارة بعثة الأزهر إلى الهند.

تاريخ الأزهر فى ألف عام:

تأليف سنية قراعة -مكتب الصحافة الدولى.

القاهرة والإمام الفاطمى، الأزهر مسجد ودولة، رسالة الأزهر الخطيرة، الأزهر والرأى العام، عمر مكرم زعيم أزهرى للشعب، الأزهر وتنصيب محمد على الكبير واليًا لمصر، الإصلاحات، مكانة العلماء، التطوير الأخير، شيوخ الأزهر، المستقبل للأزهر.

تاريخ الإصلاح فى الأزهر وصفحات من الجهاد:

تأليف عبد المتعال الصعيدى -جزءان فى مجلد واحد- مطبعة الاعتماد- ١٣٦٢هـ (١٩٤٣م). نهوض مصر بعد سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ، الأزهر فى عهد الدولة العثمانية التركية، وأيام الحملة الفرنسية، وفى عهد محمد على باشا، إصلاحات إسماعيل، خلاف توفيق وتلامذة الأفغانى، التدرج فى الإصلاح على رأى الشيخ محمد عبده، قوانين الأزهر من ١٢٨٨هـ إلى ١٣١٤هـ، الثورة على نظام ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م)، شيوخ الأزهر من عهد الشيخ حسونة النواوى إلى عهد الشيخ عبد الرحمن تاج.

تاريخ الجامع الأزهر:

تأليف محمد عبد الله عنان -الطبعة الثانية ١٩٥٨م.

القاهرة والجامع، الأزهر ودار الحكمة، المناسبات الدينية فى العصر الفاطمى، الحلقات الدراسية، العصر الذهبى للأزهر فى عهد السلاطين، إدارة الجامع ومشيخته، الجامع والحياة العامة، سنوات التطور والإصلاح. مع وثيقة بوقفية الحاكم بأمر الله على الجامع ودار الحكمة، ووثيقة أخرى بالإجازات العلمية، ومع إحصاءات وملاحق عن شيوخ الأزهر والمكتبة والأروقة والحارات ومدينة البعوث الإسلامية.

تقويم جامعة الأزهر فى أربع سنوات ١٣٨٨-١٣٩٢هـ (١٩٦٨-١٩٧٢م):

صدر عن جامعة الأزهر، ونشرته دار المعارف بمصر.

تنظيم جامعة الأزهر، رسالتها، إداراتها، مجلس الجامعة، رئيس الجامعة، نوابه، الأمين العام، إدارة الكليات، نظم الدراسة، فرع الجامعة بأسيوط، هيئة التدريس، أسماؤهم، مؤهلاتهم، أنشطتهم العلمية، شئون الطلاب، السياسة

التعليمية، الطلاب الوافدون، الخريجون، الدراسات العليا، البعثات التعليمية، رسائل العالمية (الدكتوراه) والتخصص (الماجستير)، النشاط الثقافى، العلاقات الثقافية، رعاية الطلاب، المكتبات، المنشآت، المدن الطلابية.

الجامع الأزهر -نبذة فى تاريخه:

تأليف محمود أبو العيون -مطبعة الأزهر ١٣٦٨هـ (١٩٤٩م).

الهدف من إنشاء الأزهر، مواد الدراسة قديمًا وحديثًا، شيوخ الأزهر، قانون ٤٩ لسنة ١٩٣٠ وقانون ٢١ لسنة ١٩٣٦. المعاهد الدينية التابعة للأزهر، الشهادات، إدارة الأزهر، مجلس الأزهر الأعلى، جنسيات الطلاب، علماء الأزهر، البعوث، العناية بالمكفوفين، دور الكتب الأزهرية، الوعظ، مجلة الأزهر، لجنة الفتوى، النشاط الرياضى، مكتب البحوث والثقافة، وقفية الحاكم بأمر الله، ميزانية الجامع الأزهر والمعاهد الدينية، تطلعات الأزهريين للمستقبل.

الدراسات العليا فى عشر سنوات:

صدر عن جامعة الأزهر -إدارة البحوث العلمية.

مصنف إحصائى لعشر سنوات من سنة ١٩٦١ إلى سنة ١٩٧١م عن الحاصلين على درجة العالمية (الدكتوراه) والتخصص (الماجستير) والشهادة العليا (الدبلوم) فى كليات أصول الدين، والشريعة والقانون، واللغة العربية، والطب، والهندسة، والزراعة، والعلوم. مع بيان موضوعات رسائلهم والمشرفين عليها والتقديرات الممنوحة لهم، ومذيلة بعدة فهارس هجائية.

دور الأزهر فى الحفاظ على الطابع العربى لمصر إبان الحكم العثمانى:

تأليف عبد العزيز محمد الشناوى -من بحوث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة - مارس وأبريل ١٩٦٩م- مطبعة دار الكتب ١٩٧٢م.

عرض ملخص للعوامل التس أسهمت فى نجاح الأزهر فى الحفاظ على الطابع العربى لمصر إبان الحكم العثمانى، وعلى رأسها: موقف العثمانيين من عدم التدخل فى شئون الأزهر، واستقلال الأزهر ماليًا، والتحامه بالجماهير وقيام

الزعامة الشعبية فى علمائه، ودور الأزهر فى دعم الترابط العربى، واستقلال الأزهر بإدارة أوقافه دون تدخل من جانب الحاكم.

رواق الشوام بالأزهر إبان العصر العثمانى:

تأليف مصطفى محمد رمضان -مقدم إلى المؤتمر الدولى الثامن لتاريخ بلاد الشام -جامعة دمشق- نوفمبر وديسمبر ١٩٧٨م.

دراسة وثيقية للإجازات والوقفيات والتنظيمات الخاصة برواق الشوام فى العصر العثمانى، مع إحصاءات عن أعداد الطلاب ومشيخة الرواق، ومكتبته، وشهرته فى تخريج علماء الأحناف.

شيخ الإسلام عبد الحليم محمود -سيرته وأعماله:

تأليف رؤوف شلبى -دار القلم بالكويت.

ترجمة شاملة للشيخ وأعماله وأستاذيته وجهاده للنهوض بالأزهر، مدة توليه المشيخة، وآثارها الحاضرة.

على طريق الأزهر فى ألف عام:

تأليف إبراهيم عوضين -مطبعة السعادة ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م).

ترجمات لمجموعة من الأزهريين من أعلام القرنين التاسع عشر والعشرين: الشيخ عبد الرحمن الجبرتى -الشيخ حسن العطار- الشيخ حسين المرصفى- عبد الله باشا فكرى- الشيخ محمد عبده- سعد زغلول باشا.

القاهرة القديمة وأحياؤها:

تأليف سعاد ماهر -المكتبة الثقافية- العدد رقم ٧٠- أكتوبر ١٩٦٢م.

جولة سريعة فى أحياء القاهرة وضواحيها، خاصة قاهرة المعز منها الصفحات من ٢٠-٣٣، وفيما تناولته «الأزهر».

مشيخة الأزهر منذ إنشائها حتى الآن:

تأليف على عبد العظيم.

تراجم لمشايخ الأزهر منذ إنشاء منصب المشيخة فى القرن الحادى عشر الهجرى. يضم الجزء الأول ترجمات لسبعة وعشرين شيخًا من الإمام الشيخ محمد عبد الله الخراشى حتى الإمام الشيخ عبد الرحمن محمد الشربينى. ويضم الجزء الثانى ترجمات لأربعة عشر شيخًا من الإمام الثامن والعشرين الشيخ أبو الفضل الجيزاوى حتى الإمام الحادى والأربعين الشيخ محمد عبد الرحمن بيصار.

وفى بداية الكتاب مقدمة عن تاريخ الأزهر ومنصب المشيخة. ومن رأى المؤلف أن المنصب كان معروفًا قبل الشيخ الخراشى، ولكن ليس بأيدينا دليل مادى عليه.

وثائق الأزهر:

مصطفى محمد رمضان -بحث مقدم إلى ندوة وثائق تاريخ العرب الحديث بحلقة الدراسات العليا للتاريخ الحديث -كلية الآداب بجامعة عين شمس- مايو ١٩٧٧م.

دليل لمجموعة من الوثائق «الأرشيفية وغير الأرشيفية» عن نظام الدراسة بالأزهر، والأروقة، والوقفيات، والامتحانات والإجازات، والقرعة العسكرية، والأحكام التأديبية، والمنشورات مع نماذج من بعضها.

ودخلت الخيل الأزهر:

تأليف محمد جلال كشك -الدار العلمية- بيروت.

عرض لعلاقة مصر بتركيا، ونظرة على المجتمع المصرى، ودور أصحاب العمائم فى المجتمع، ونابليون فى مصر، وحركة المقاومة، والثورة، والتفكير الاستعمارى لتمزيق الوحدة الوطنية، ويوميات الجبرتى، وانتهاء عهد الفرنسيس.

أدباء الأزهر:

مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، العدد الثالث ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م) عدد خاص بمناسبة العيد الألفى.

بحوث وتراجم عن الشيخ مصطفى عبد الرازق، مصطفى لطفى المنفلوطى- محمد الأسمر- الشيخ عبد العزيز البشرى، الشيخ محمد متولى الشعراوى،

الشيخ حسين المرصفى، صالح على الشرنوبى، أحمد الزين، عبد الحكيم مصطفى.

الجبرتى وكفاح الشعب:

كتاب الهلال، عدد ربيع الأول ١٣٨٦هـ (يوليو ١٩٦٦م).

بقلم عبد الرحمن الشرقاوى، وفيه حدديث عن مشاركات الأزهر والأزهريين للشعب المصرى فى كفاحه الوطنى أيام الحملة الفرنسية وبعدها.

قصة الأزهر:

كتاب الهلال، عدد يناير ١٩٧٣م -ذى القعدة ١٣٩٢هـ.

مجموعة مقالات بأقلام كبار الكاتبين المعاصرين عن الأزهر وعمارته ورسالته ودوره فى الفكر وشيوخه ومؤلفاتهم وإسهام الأزهريين فى الأدب والفن والقيادة الوطنية.

منبر الإسلام:

مجلة تصدر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة -عدد مارس ١٩٨٣م.

عدد تاريخى صدر فى مناسبة العيد الألفى للأزهر. يضم مجموعة من المقالات بأقلام كبار رجال الدولة والمفكرين والباحثين عن تاريخ الأزهر، ورسالته، ودوره فى حماية العروبة، والحفاظ على الشخصية المصرية، ومكتبة الأزهر، والرؤى التاريخية للحياة الفكرية فى رحاب الأزهر، والتقاليد الأزهرية، والإسلام فى العالم ومناهج الدعاة، ومشايخ الأزهر، ومدينة البعوث، والأزهر والأقليات الإسلامية، ودور وزارة الأوقاف المصرية فى دعم علاقات الأزهر بالعالم الإسلامى.

الأزهر فى ألف عام: دكتور محمد عبد المنعم خفاجى، ودكتور على على صبح- الطبعة الثالثة المكتبة الأزهرية للتراث ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م وصل فى عدد صفحاته إلى الضعف: ستة أجزاء بدلاً من ثلاثة أجزاء.

الحركة العلمية فى الأزهر فى القرنين التاسع عشر والعشرين:

الطبعة الأولى المكتبة الأزهرية للتراث ثلاثة أجزاء دكتور محمد عبد المنعم، دكتور على على صبح وتحت الطبع الجزء الرابع ٢٠٠٧.

الباب الثالث عشر

شخصيات.. ومواقف

ابن السُّبْكى

عرف تاريخ الثقافة العربية كثيراً من البيوتات العلمية التى استفاض العلم فيها، وكان إرثًا طيبًا يؤول إلى الأبناء فيما يؤول إليهم من عقار وحطام، فكان علم الأبناء امتدادًا ناضجًا لعلم الآباء. وقد صان هؤلاء الأبناء ذلك الموروث العلمى العظيم، وعملوا على إثرائه وإخصابه. ويحسبنا فى هذا المقام أن نذكر الإمام أبا حاتم الرازى، محمد بن إدريس بن المنذر، المتوفى سنة ٢٧٧هـ. وابنه عبد الرحمن بن أبى حاتم، المتوفى سنة ٣٢٧هـ، من أئمة علم الجرح والتعديل. والإمام ضياء الدين خطيب الرى، عمر بن الحسين بن الحسن، وابنه الفخر الرازى، محمد بن عمر، المتوفى سنة ٦٠٦هـ من فرسان علم الكلام.

على أنه لم يستعلن تأثير والد فى ولده كما استعلن فى تاريخ الإمام العلامة تقى الدين على بن عبد الكافى السبكى، المولود فى سنة ٦٨٣هـ والمتوفى فى سنة ٧٥٦هـ. وولده العلامة تاج الدين أبى نصر عبد الوهاب بن على، المولود فى سنة ٧٢٧هـ. والمتوفى فى سنة ٧٧١هـ.

الذهبى- فيما ينقل عنه السبكى:

«القاضى الإمام العلامة الفقيه المحدث الحافظ فخر العلماء، كان صادقًا ثبتًا خيراً دينًا، من أوعية العلم، يدرى الفقه ويقرره، وعلم الحديث ويحرره، والأصول ويقربها، والعربية ويحققها». ويكفى دليلاً على علم هذا الرجل أنه كان الوحيد من علماء عصره الذى تصدى لابن تيمية -على عنفه وشدته- ورد عليه فى مسألتى الطلاق، وزيارة قبر النبى عليه الصلاة والسلام، وهما المسألتان اللتان زعزع بهما ابن تيمية كيان العلماء فى عصره. فرد عليه الإمام السبكى فى مسألة الطلاق برسالتين: رافع الشقاق فى مسألة الطلاق. والتحقيق فى مسألة التعليق. ورد عليه فى الزيارة برسالة: شفاء السقام فى زيارة خير الأنام. أو شن الغارة على من أنكر السفر للزيارة. ويقول فيه ابن تيمية: «لقد برز هذا على أقرانه». وقد نبغ صاحبنا تاج الدين فى منتصف القرن الثامن الهجرى -عصر الموسوعات العلمية،

هذا العصر الذى كان بمثابة الصحوة الفارهة بعد النكسة التى أصابت العالم الإسلامى، والتى كادت تأتى على تراثه الضخم العريض، إبان الغزو التترى الكاسح.

وقد ولد تاج الدين بالقاهرة، ونسب إلى قرية سبك من أعمال المنوفية. ولم ينصرف الفتى فى صباه إلى اللهو واللعب، كما يفعل لداته وأترابه، فقد هدهد سمعه فى سن تفتحه وفود العلماء، تفد إلى بيت أبيه، تنشد العلم وتطلب الفتيا. فأقبل على ألوان المعرفة يحصلها على مهل واتئاد فى الأزهر الشريف حتى اكتملت له أدوات العالم المجتهد. وكان مجلى هذه الثقافة الواسعة العريضة فى نهاية الشوط موسوعة علمية ضخمة، لمت أطراف الثقافة العربية، وجلتها على نحو معجب خلاب، على امتداد سبعة قرون فى كتابه الخالد «طبقات الشافعية الكبرى».

لقد انفسح هذا الكتاب العظيم من خلال ترجمته لرجال المذهب الشافعى - لكثير من المباحث الفقهية والفتاوى الشرعية، والمقالات، والمناظرات، والنوادر والملح، كما حفل بالضوابط اللغوية ومسائل علم الكلام والأصول. كما كان مصدراً أدبيًا لكثير من الكتب التى عالجت شئون الحب.

وكان أيضًا مرجعًا أصيلاً فى جميع أشعار الشعراء. على أن أهميته الكبرى بعد كل ذلك ترجع إلى أنه حفظ لنا كثيراً من النصوص التى ضاعت أصولها. كتاريخ نيسابور، للحاكم النيسابورى محمد بن عبد الله، المعروف بابن البيع، المتوفى سنة ٤٠٥هـ وتاريخ مصر لابن يونس، عبد الرحمن بن أحمد المتوفى سنة ٣٤٧هـ، وغير هذين الكتابين كثير من هذه الأمهات التى عبث بها الزمان.

وقد عالج ابن السبكى فى كتابه هذا ذلك المنهج العلمى، الذى عرف فيما بعد، ونسب إلى ابن خلدون، ذلك المنهج القائم على تمحيص الأخبار، والتنبه لما تفعله المعاصرة والعصبية فى المذهب.

استمع إليه يقول فى ترجمة أحمد بن صالح المصرى، فى الطبقة الثانية: «ومما ينبغى أن يتفقد عند الجرح حال العقائد، واختلافها بالنسبة إلى الجارح والمجروح،

فربما خالف الجارح المجروح فى العقيدة، فجرحه لذلك». ولم تقف تلمذته للإمام الذهبى حائلاً دون نقده مر النقد لمخالفتــه هذا المنهج القائم على الحيدة والتجرد، فيـقول عنه: «وهو شيـخنا ومعلمنا، غـير أن الحق أحق أن يتـبع، وقد وصل من التعصب المفرط إلى حد يسخر منه».

ولكن هذه الحـياة العلمـية المخلصــة لم تشغـل صاحـبنا عن أن يلمس مظاهر الضـعف والعـسف التى استـعلنت فى الحكم المـملوكى الجائر. فـظهرت دعـواته الإصلاحية النقدية فى كتابه القيم: «معيد النعم ومبيد النقم». لقد كان هذا الكتاب ثورة عـاتية على نظم الحكم، وأخـلاق الناس فقـد أتيح لابن السبكى مـن خلال مشاركته فى الحـياة العامة -مدرسًا وخطيبًا وقاضـيًا- أن يرى ويحس مدى التمزق الذى شمل الأمـة نتيجـة للحكم المملوكى البغـيض، الذى نبتت فـيه فكرة «تركى وفلاح». والذى استـأثر فيه المماليك بالمناصب الكبرى، وتركـوا أصحاب الأرض الحقيـقيين يشربون العرق ويقتـاتون السهد. وقد وضع ابن السـبكى كتابه هذا ردًا على سؤال ورد عليه، أو وضعه هو بين يدى كتابه، موضوعه: «هل من طريق لمن سلب نعمـة دينية أو دنيوية إذا سلكهـا عادت إليه، وردت عليـه» وأجابه عن هذا السؤال راح ابن السـبكى ينقد بقسـوة وصراحة طوائف الأمـة، ابتداء من السلطان إلى أرباب الحـرف، آخذًا فى طريقـه نواب السلطان والقـضاة والمدرسين ورجـال الدين من العلماء والصوفية.

استمع إليـه يلخص رأيه فى الأتراك عمومًا، فيـقول: «وقد اعتبرت كـثيراً من الأتراك يميلون إلى أول شاك، وما ذاك إلا للغفلة المسـئولية على قلوبهم» ثم يسخر من هؤلاء الأتراك وتعلقـهم من الإسلام بـالمظاهر الفارغـة، فيـقول: «وأمـا أنك ترتكب ما نهى عنه وتـترك ما أمر به، ثم تريد أن تعـمر الجوامع بأمـوال الرعايا، ليـقال: هذا جـامع فـلان، فلا والله لن يتـقـبله الله تعالـى أبدًا». ثم يتكلم عن السلطان ويحدد اخـتصاصاته فـيقول: «إن الله لم يوله على المسلمين يكون رئيـسًا آكلاً شاربًا مستريحًا، بل لينـصر الدين ويعلى الكلمة». وحين يتحدث عن العلماء والمفتين يأخذ على بعض هؤلاء وأولائك تعصبـهم لمذهبهم، وأضاعتهم الوقت فى الخلافيـات، فيقول مـخاطبًا العلماء: «لو أن الشـافعى وأبا حنيفة ومـالكًا وأحمد

أحياء يرزقون لشددوا النكير عليكم وتبرأوا منكم فيما تفعلون» ثم يأتى إلى المفتين فيقول: «ومنهم طائفة تصلبت فى أمر دينها، فجزاها الله خيراً، تنكر المنكر وتشدد فيه، وتأخذ بالأغلظ، وتتوقى مظان التهم، غير أنها تبالغ فلا تذكر لضعفة الإيمان من الأمراء والعوام إلا أغلظ المذاهب، فيؤدى ذلك إلى عدم انقيادهم وسرعة نفورهم. فمن حق هذه الطائفة الملاطفة وتسهيل ما فى تسهيله فائدة لمثل هؤلاء إلى الخير، إذا كان الشرع قد جعل لتسهله طريقًا، كما أن من حقها التشديد فيما ترى أن فى تسهيله ما يؤدى إلى ارتكاب شىء من حرمات الله».

ويرسم ابن السبكى المعلم للمدرس منهجًا تربويًا راشدًا حين يقول: «وحق عليه أن يحسن إلقاء الدرس وتفهيمه للحاضرين، ثم أن كانوا مبتدئين فلا يلقى عليهم ما لا يناسبهم من المشكلات، بل يدربهم ويأخذهم بالأهون فالأهون، إلى أن ينتهوا إلى درجة التحقيق وإن كانوا منتهين فلا يلقى عليهم الواضحات، بل يدخل بهم فى المشكلات». وتتجلى دعوة صاحبنا الإصلاحية فى أبهى صورها حين يأسى للفلاح الذى يستهلك فى السخرة والإقطاع. فحين يتكلم عن منصب ناظر الجيش وتحديد اختصاصاته يقول: «ومن قبائح ديوان الجيش الزامهم الفلاحين فى الإقطاعات بالفلاحة. والفلاح حر، لا يد لآدمى عليه، وهو أمير نفسه».

وبعد... ألا تعتقد معى أيها القارئ الكريم أن هذا الرجل إنما يتكلم بلغة عصرنا، كمصلح اجتماعى، وكعالم نفسانى، بصير بالنفس الإنسانية، عالم بضعفها.

وكان طبيعيًا بعد هذا النقد المر الجارح لنظام الحكم وأخلاق الناس أن تتعرض حياة الرجل ومصير أسرته للزوابع والأعاصير. فيعزل عن منصب القضاء، لأسباب واهية ذكرها الحافظ ابن حجر فى «الدرر الكامنة» وتجرى له محاكمة، يحكم عليه فيه بالحبس سنة. ولكن هل ضعف ابن السبكى، أو تخاذل؟ استمع إلى معاصره الحافظ بن كثير يقول: «جرى عليه من المحن والشدائد ما لم يجر على قاض قبله. وحصل له من المناصب والرياسة ما لم يحصل لأحد قبله، وإبان فى أيام محنته عن شجاعة وقوة على المناظرة، حتى أفحم خصومه، ثم لما عاد عفا عنهم، وصفح عمن قام عليه».

وبعد هذه الحياة الخصبة الزاخرة بالعلم والإصلاح انطفأت هذه الشعلة التى توهجت عبر أربع وأربعين سنة. وحق لابن السبكى أن يقول فى زهو ورضا، فى ورقة كتبها إلى نائب الشام: «وأنا اليوم مجتهد الدنيا على الإطلاق، لا يقدر أحد يرد على هذه الكلمة».

توفى تاج الدين شهيداً بالطاعون (بالدهشة) ظاهر دمشق، فى ذى الحجة. خطب يوم الجمعة، وطعن ليلة السبت رابعه، ومات ليلة الثلاثاء سابعه سنة ٧٧١هـ ودفن بتربة السبكية بسفح قاسيون، عن أربع وأربعين سنة، بعد أن جلا صفحة مشرقة فى تاريخ علماء المسلمين.

❀❀❀

الشيخ محمد الحفنى شيخ الأزهر

الشيخ[1] الإمام العلامة، أوحد زمانه علمًا وعملاً، المشهود له بالتحقق والكمال، والمجمع على تقدمه فى كل مجال أبو الأنوار شمس الدين محمد الحفنى بن السيد سالم بن على الحفناوى، الأزهرى، الشافعى الخلوتى، الذى ينتسب إلى الإمام الحسين بن على رضى الله عنهما، وهو الثامن من الأئمة الكبار، الذين تولوا مشيخة الأزهر الشريف.

ولد رضى الله عنه على رأس سنة ١١٠٠هـ بقرية حفنا التابعة لمركز بلبيس بمحافظة الشرقية، ونسب إليها، حتى صارت هذه النسبة علمًا عليه بالغلبة، وصار لا يذكر إلا بها.

نشأ بقريته، وحفظ بها من القرآن الكريم إلى سورة الشعراء، وكان أبوه وكيلاً لأحد الأمراء، ويقطن بالقاهرة. مقر عمله، فأبقاه لديه. لما أكمل حفظ القرآن الكريم، اشتغل بحفظ المتون: كألفية ابن مالك، والسلم، والجوهرة، وغيرها، ثم جاور بالأزهر الشريف وأخذ عن شيوخه العلم- وكلهم أئمة بنورهم ينجلى الظلام، وأقطاب ببركتهم يدرك المرام- منهم: محيى السنة الشيخ أحمد الخليفى، والشيخ أحمد الملوى والشيخ محمد الديربى، والشيخ عبد الرءوف البشبيشى، والشيخ محمد السجاعى، والشيخ يوسف الملوى، والشيخ عبده الديوى، والشيخ محمد الصغير.

ومن أجل شيوخه، الذين سمع منهم: شيخ المحدثين الشيخ محمد البديرى الدمياطى الشهير بابن الميت. أخذ عنه التفسير والحديث والإحياء للإمام الغزالى، وصحيح البخارى ومسلم وسنن أبى داود، وسنن النسائى، وسنن ابن ماجه والموطأ والمعجم الكبير والأوسط والصغير للطبرانى، وصحيح ابن حبان، والحلية للحافظ أبى نعيم، وغير ذلك.

---

(١) عن مجلة الأزهر الأستاذ أحمد نصار.

واجتهد ولازم، حتى شهد له شيوخه جميعًا بالتفوق، وأثنوا على دقة فهمه، ورجحان عقله، وسعة معرفته وأجازوه بالإفتاء والتدريس، وهو لم يتجاوز الثانية والعشرين من عمره المبارك، فكان أمره عجبًا يلفت النظر، لقصر هذه المدة، التى حفظ فيها القرآن، وأتم طلب العلم فصار أهلاً للإفتاء والجلوس للتدريس، ولكن ابن العناية ملحوظ فأقرأ الكتب الدقيقة فى حياة شيوخه، وشهد له معاصروه بالبراعة، والإجادة فى الإفادة ولازم درسه أكثر طلبة العلم.

وكان إذ ذاك فى ضيق من العيش. وفى ذلك يقول:

إنى أقول لنفسى وهى ضيقة ... وقد أناخ عليها الدهر بالتعب

صبراً على شدة الأيام، إن لها ... وقتًا وما الصبر إلا عند ذى الحسب

ولكن هذا الحال، لم يخرجه عن القناعة والرضا، ولم يبد منه أن للدنيا عنده قدراً فقد أنشد:

خبز وماء وظل ... هو النعيم الأجل

جحدت نعمة ربى ... إن قلت إنى مقل

ثم أخذ بالأسباب لزيادة دخله، فاشتغل بنسخ الكتب بالأجر، وإن كان ذلك قد شق عليه، خوفًا من أن يشغله النسخ عن متابعة إقراء العلم، ولكنه لم يستمر طويلاً حتى أذن الله فجاءه الفرج وأقبلت الدنيا عليه، وصار رزقه فيضًا إلهيًا، فاتجه بكليته إلى العلم وعقد الدروس، وقرأ جمع الجوامع للعلامة السبكى، والأشمونى على الألفية ومختصر السعد، وحاشية حفيده عليه، وابن عبد الحق على البسملة، وغيرها.

واشتغل بعلم العروض، حتى برع فيه وأجاد نظمًا ونثرًا، حتى عرف بالفصاحة، وجودة البيان، وكثيراً ما كان يرتجل الشعر، فمن ذلك قوله:

أتطلبون رضائى الآن عن نفر ... قلوبهم بنفاق لم تزل مرضى

تجاهروا بقبيح الفسق، لا ربحوا ... إن كنت أرضى، فإن الله لا يرضى

ومن نثره: من رسالة لبعض تلاميذه فى الطريق، وقد جمعت بين قوة الأسلوب وعذوبة اللفظ، وضمت إلى حسن التوجيه، نهجًا عاليًا فى التربية والتهذيب، قال فيها:

«.. ومن زاد عليك إقباله، وتوجهت إليك بالصدق آماله، فاصرف قلبك إليه، وعول فى التربية عليه، ومن عنك بهواه صد، بعد أخذك عليه وثيق العهد، فدعه ولا تشغل به البال، وأنشده قول أستاذنا «أى السيد مصطفى البكرى) لمن عن طريقنا قد مال:

ألم تدر أنا من قلانا سفاهة	تركناه غب الوصل يعمى بصده
ومن صدعنا حسبه الصد والجفا	وإن الردى أصماه من بعد بعده
ومن فاتنا يكفيه أنا نفوته	وأنا نكافيه على ترك حمده
وإن غدا لما نعد محبنا	واتباعنا لسنا نهم بعده

ومن أردت زجره للتربية وإرشاده، فليكن ذلك على انفراد، إذ هو أرجى لإسعاده، ولا تزجر بضرب ولا نهر بين الناس، فإن ذلك ربما أوقع المريد من اليأس، ولا تلتفت لمن أعرض، ولا لمن يصحبك لغرض، وعليك بالرفق للإخوان، سيما أخوك فلان، فالخير لمن صاحب بإحسان، والأدب واللطف محمودان، والغلظة والحقد موبقان، فاصرح القال والقيل، واصفح الصفح الجميل، ولك ولكل من أخذ عنك أو حبك، منا ومن أهل سلسلة طريقتنا ما سرك، فأبشر إن عملت بما أشرنا بكل خير ومزيد الفتح، والمسير فى السير».

وقد تخرج عليه غالب أهل عصره وطبقته، ومن دونهم: كأخيه الشيخ يوسف الحفناوى، والشيخ إسماعيل الغنيمى صاحب التآليف البديعة، والتحريرات الرفيعة، وشيخ الشيوخ على الصعيدى العدوى، والشيخ محمد الغيلانى، والشيخ محمد الزهار، وغيرهم، وكانت على مجالسه هيبة ووقار قلما يسأله أحد لجلالته.

ومن مؤلفاته المشهورة التى أتحف بها المكتبة العربية فى كل علم وفن:

١- الثمرة البهية فى أسماء الصحابة البدرية: فى التاريخ.

٢- حاشية على شرح الأشمونى على الألفية: فى النحو.

٣- حاشيته عى شرح الهمزية لابن حجر الهيثمى: فى الأدب.

٤- رسالة فى التسبيح والتحميد: فى الفضائل والآداب.

٥- رسالة فى التقليد فى الفروع: فى أصول الفقه.

٦- رسالة فى الأحاديث المتعلقة برؤية النبى ﷺ.

٧- حاشية على الجامع الصغير للسيوطى فى جزءين: فى الحديث.

٨- حاشية على شرح الشنشورى على الرحبية: فى المواريث.

٩- حاشية على مختصر الشيخ التفتازانى.

١٠- حاشية على شرح الحفيد على مختصر جده التفتازانى: فى البلاغة.

وكان الشيخ الحفنى، حسن السمت، مهيب الطلعة، معتدل القامة، لا بالطويل ولا بالقصير، عظيم الهامة، كث اللحية أبيضها، مقوس الحاجبين، رحب الراحتين، سواء الظهر والبطن، أبيض اللون مشرب بحمرة، كأن على وجهه قنديلاً من النور.

وكان كريم الطبع، جميل السجايا لم يضبط عليه مكروه، على جانب عظيم من الحلم، ما جهل عليه أحد إلا قابل السيئة بالحسنة. يعظم كل الناس، ويتمثل قائمًا لكل قادم، ويخاطب كل إنسان على قدر عقله، ويصغى لكلام كل متكلم ولو كان تافهًا، ولا يضجر إن أطال عليه، بل يظهر له المحبة، حتى يظن أنه أعز الناس عليه، وأقربهم إلى قلبه. وكان لا يعلق نفسه بشىء من الدنيا فلو سأله إنسان أعز حاجة عليه أعطاها له، كائنة ما كانت ويجد لذلك إنسًا وانشراحًا وإذا دعى أجاب، إلا أنه كان يعتذر من عدم حضور الولائم. لأنه يرى أنها غير مضبوطة بالأمور الشرعية.

وله صدقات وصلات خفية، وكان يتولى الصرف على بيوت كثير من أتباعه المنتسبين إليه ولا ينقطع ورود الواردين عليه ليلاً ونهارًا، وقد قيل إن راتب بيته من الخبز كل يوم نحو الأردب. ويجتمع على مائدته ما لا يقل عن الأربعين.

ولما بلغ الثلاثين من عمره، كثر انقطاعه للعبادة. وتهيأ للسلوك والاندماج فى الطريق فأخذ عن الشيخ أحمد الشاذلى المعروف بالمقرى وتلقى منه بعض الأحزاب والأوراد وكان يتردد على زاوية سيدى شاهين الخلوتى بسفح المقطم ويمكث فيها الليالى متحنثًا. وقد ذكر الشيخ حسن شمه: أنه كثيرًا ما كان ينشد فى الدياجى.

خل الغرام لصب دمعة دمه — حيران توجده الذكرى وتعدمه

واسمح له بعلاقات علقن به — لو اطلعت عليها كنت ترحمه

وقال: سمعته مرة ينشد من شعره:

لو فتشوا قلبى لا لفوا به — سطرين قد خطا بلا كاتب

العلم والتوحيد فى جانب — وحب ال البيت فى جانب

ولما قدم السيد مصطفى البكرى عمدة أهل الطريقة الخلوتية من الشام سنة ١١٣٣هـ اجتمع عليه وحصل بينهما الارتباط القلبى حال المشاهدة، فأخذ عليه العهد فى أول لقاء، ثم اشتغل بالذكر والمجاهدة ولما علم السيد صدق حاله، وحسن فعاله، قدمه على خلفائه، وأولاه حسن ولائه، ودعاه بالأخ الصادق.

وفى سنة ١١٤٩هـ حن إلى زيارة شيخه البكرى، فسافر إلى القدس الشريف، وأقام عنده أربعة أشهر، عاد بعدها إلى القاهرة، وأدار مجالس الأذكار، بالليل والنهار، وأحيا طريق الخلوتية، المؤيدة بالشريعة الغراء، فى الديار المصرية، ولم يزل أمره فى ازدياد وانتشار حتى شاع ذكره وأقبل عليه الوافدون من كل فج، وصار الكبار والصغار، والرجال والنساء، يذكرون الله بطريقته، وأصبح قطب الوقت بحق، ولم يبق ولى من أهل عصره إلا أذعن له.

وكان من تلاميذه: شيخ القراء المحدثين، وصدر الفقهاء المتكلمين العابد الزاهد الشيخ محمد السمنودى المعروف بالمنير، وعلامة وقته الشيخ حسن الشيبنى، والشيخ محمد السنهورى والشيخ محمد الزعيرى، والشيخ خضر رسلان، والشيخ محمود الكردى، والشيخ عبد الله الشرقاوى الذى تولى مشيخة الأزهر، والإمام الأوحد الشيخ محمد بدير، والشيخ محمد الهلباوى الشهير بالدمنهورى، والشيخ

محمد السقا، والشيخ محمد الفشنى، والشيخ عبد الكريم المسيرى الشهير بالزيات، وأبو البركات الشيخ أحمد محمد الدردير العدوى، والشيخ حسن بن على المكى المعروف بشمة.

قوم إذا جن الظلام عليهم   قاموا هنا لك سجداً وقياما

وللشيخ الحفنى رضى الله عنه، كرامات وبشارات وخوارق وعادات يطول شرحها ذكر بعضها تلميذه الشيخ حسن شمه، الناظم الناثر فى كتابه الذى ألفه فى نسبه مناقبه وقد ضمنه مقامه فى مدحه، أسماها: فيض المغنى فى مدح الحفنى، جمع فيها سائر فنون الشعر، ولتلميذه العلامة الشيخ محمد الهلباوى الدمنهورى كذلك مؤلف فى مناقبه ومن قصيدة له فى مدحه:

سبحانك الله ما الحفنى ذا بشر   لكنه ملك قد جاء للبشر

محجب عن عيون الواصلين فما   بال الخليين من سر ومن ثمر

هذا الفريد الذى نادى الرفاق به   فسار كل أسير نحو مقتدر

جلت محاسنه عن كل ما وصفوا   فليس يحصرها لب من الغرر

وهو الذى ورثته الأنبيا رتبا   فضلاً من الله لا بالجد والسهر

علمًا وحلمًا وتوفيقًا ومكرمة   وحسن حال مع التسليم للقدر

وقد تولى مشيخة الأزهر فى سنة ١١٧١هـ ومكث فيها حتى وافاه داعى السماء، بعد أن ملأ الدنيا نورًا وبركة، قبل ظهر يوم السبت ٢٧ ربيع الأولى سنة ١١٨١هـ، وصلى عليه فى الأزهر يوم الأحد، فى مشهد عظيم جدًا ودفن بقرافة المجاورين القديمة مع أخيه العلامة الشيخ يوسف الحفناوى المتوفى سنة ١١٧٨هـ.

❁❁❁

أزهريون خالدون

كانت للعلماء، فى جميع عصور الإسلام، الريادة والقيادة: يرودون الحياة أمام الناس ويقدمون لهم ثمة هذه الريادة من العلم والتجربة والثقافة والفضائل والتقوى. ويقودونهم -أفرادًا وجماعات- إلى طريق الخير والفلاح. وفى بعض عصور التاريخ نجد لهؤلاء العلماء ريادة أخرى وقيادة للسياسة والثورة فى سبيل رفع الظلم ورد العدوان، كان ذلك أوضح ما يكون الوضوح فى مصر فى القرن الثامن عشر، حيث أفحش الظالمون فى ظلمهم واعتدى المعتدون على وطنهم.

فى هذا القرن كانت تقوم ثورات شعبية كثيرة يهب فيها أهل مصر لرد عدوان الظالمين -وعقابهم أيضًا- وكان علماء الأزهر[(١)] يشاركون الشعب إحساسه وثورته، بل كثيرًا ما كانوا يقودونه فى ثورته، ويحرضونه.

الشيخ الدردير يقود ثورة:

وللشيخ أحمد الدردير -وكان مفتيًا للمالكية ومن أكبر علماء عصره- فى ذلك مواقف كريمة نذكر بعضًا منها:

فى يوم من أيام ربيع الأول من سنة ١٢٠٠هـ (يناير ١٧٨٦م) قام حسن بك شفت[(٢)] أحد كبار المماليك، ومعه طائفة من جنوده قاصدًا منطقة الحسينية واقتحم دار رجل اسمه أحمد سالم الجزار، كان رئيسًا على دراويش الشيخ البيومى، ونهب الأمير حسين دار هذا الشيخ. وفى صباح اليوم التالى ثار جماعة الدردير، فشجعهم فى ثورتهم، وغضب لهم وقال لهم: أنا معكم. فقام الغاضبون إلى أبواب الأزهر فغلقوها، وصعدت طائفة منهم على المآذن يصيحون، ويدقون الطبول، وانتشر الناس فى الأسواق وقد ظهر عليهم الغضب والتحفز، وأقفل التجار متاجرهم. فلما رأى الشيخ الدردير ثورتهم هذه قال لهم: موعدنا غدًا لنجمع الناس من أطراف المدينة، وبولاق ومصر القديمة، وأسير معكم إلى بيوت

(١) الأستاذ محمود الشرقاوى عن مجلة الأزهر.

(٢) يقول الجبرتى إن «شفت» معناها اليهودى والأرجح أنها محرفة من كلمة «جفت» التركية بهذا المعنى.

هؤلاء الأمراء ننهبها كما ينهبون بيوتنا. وسينصرنا الله عليهم، أو نموت شهداء. وبعد ساعات من النهار أرسل إبراهيم بك: شيخ البلد وكبير المماليك، نائبه، وأميرًا آخر إلى الشيخ الدردير يرجوه أن يرسل إليه قائمة بجميع ما نهب من بيت الشيخ الجزار حتى يرده إليه.

وفى شهر جمادى الآخرة من السنة نفسها كان مولد السيد البدوى، فى طنطا، وكان الشيخ الدردير فى المولد، وجاء كاشف[1] الغربية، من قبل إبراهيم بك، ففرض على الناس مغارم ثقيلة، وأخذ إبلاً لبعض الأعراب كانوا يبيعونها فى المولد، فشكوا أمرهم إلى الشيخ، فأمر بعض أتباعه أن يذهبوا إلى الكاشف، فخشوا بطشه ولم يذهبوا، فركب الشيخ بنفسه ومعه بعض أتباعه، وكثير من العامة، فلما أقبل على خيمة الكاشف ناداه فحضر إليه، وكلمه الشيخ، وهو على ظهر بغلته، وقال له: إنكم لا تخافون الله. واشتد عليه بالزجر والتأنيب. فلما رأى الناس ذلك خرجوا عن طورهم، وضربوا نائب الكاشف، وقامت فتنة بينهم وبين الجند فهرب فيها وأسر واحد من أتباع الشيخ، وذهب كاشف المنوفية وكاشف الغربية بعد ذلك يعتذران إلى الشيخ، ولما عاد إلى القاهرة قدم إبراهيم بك بنفسه إلى منزله معتذرًا ومعه كبار المماليك.

الشيخ عباس ووقف المغاربة:

وقبل ذلك بعشر سنوات آلت بعض الأوقاف المحبوسة على طلبة العلم إلى الطلبة المغاربة، ولكن واضع اليد جَحَد هذه الأيلولة وأبى أن يسلم الحق لأصحابه، ولجأ فى ذلك إلى الأمير يوسف بك أمير الحج فنصره هذا على باطله، وأقام المغاربة دعواهم أمام القاضى فأثبت لهم حقهم، ولكن الأمر كبر على يوسف بك، وأبى أن يمتثل لحكم القضاء، بل أمر بالشيخ عباس -زعيم المطالبين بوقف المغاربة- أن يساق إلى السجن. فلما ذهب رسل الأمير يوسف بك إلى الأزهر لأخذ الشيخ عباس طردهم الأزهريون وسبوهم ولم يمكنوهم منه، ثم قصدوا إلى الشيخ أحمد الدردير فأخبروه الخبر، فكتب الشيخ إلى يوسف بك ألا يتعرض لأهل العلم، وألا يعاند فى حكم أصدره القاضى، وأرسل الشيخ كتابه

(١) كاشف: حاكم.

هذا إلى يوسف بك مع شيخين اختارهما لذلك. فلما وصل الشيخان برسالة الدردير أمر يوسف بك بالقبض عليهما وزجرهما زجرًا شديدًا ثم سجنهما.

ووصل خبر ذلك إلى الشيخ الدردير، وأهل الأزهر، فاجتمعوا عند الصباح وأبطلوا دروس العلم، والآذان، والصلاة، وأقفلوا أبواب الجامع. وجلس العلماء عند القبلة القديمة. وكان الأزهر يموج بالناس، فصعد الصغار منهم إلى المنارات والمآذن يكثرون من الدعاء على الأمراء، وشارك الشعب أهل الأزهر شعورهم بالسخط واحتجاجهم على الظلم، فغلقت الحوانيت والمتاجر، وعرف الأمراء ما جرى فأرسلوا إلى يوسف بك ليطلق سراح الشيخين، فأطلقهما، وأرسل شيخ البلد إبراهيم بك، كبيرًا من رجاله إلى العلماء، فلم يستطع إرضاءهم، وجاء كبير آخر يطلب إلى الناس أن يفتحوا متاجرهم، وينصرفوا لشأنهم، فذهب إليه طلبة الأزهر، وجموع من الشعب بأيديهم العصى والمساروق، وضربوا أتباع هذا الكبير ورجموهم بالحجارة. فأطلق عليهم هو ورجاله الرصاص. وقتل ثلاثة من الطلبة، وجرح بعض أفراد الشعب وخشى الأمراء بعد ذلك أن يتفاقم الخطب، وتزيد ثورة الشعب والعلماء اشتعالاً، فأرسلوا فى اليوم التالى كبيرًا منهم، مع الشيخ السادات، وآخرين من الأمراء، ورأوا من الحكمة ألا يذهبوا إلى الأزهر، فى وسط هذه الفتنة فجلسوا فى مسجد الأشرف، وأرسلوا إلى أهل الأزهر ومن معهم من الثائرين، أن طلباتهم أجيبت، فلم يقنعهم ذلك، ولم يتركوا أماكنهم، فلم ير إسماعيل بك، كبير الأمراء، بدا من أن يذهب بنفسه إليهم، فنزل مع الشيخ السادات، ولم يستطع أن يواجه الثائرين داخل الأزهر، فجلس مع السادات فى مسجد المؤيد، وأرسلا إليهم كتابًا تعهد فيه إسماعيل بك أن يجيب رغائبهم ويقبل جميع ما يطلبون، وقال: إن ضمينه فى ذلك الشيخ السادات، وظل إسماعيل بك يراسل المترسين داخل الأزهر يومًا كاملاً حتى استجابوا، وفتحوا أبواب الأزهر، وكان مما شرطوه على إسماعيل بك ألا يمر الأغا، ولا الوالى، ولا المستحب قريبًا من الأزهر.

الشيخ السادات يقود الثورة:

كان الشيخ السادات، من أكبر الشيوخ مقامًا، وأعظمهم شأنًا، وأوسعهم جاهًا وثروة، وأعزهم منزلة لدى الناس، ولدى الأمراء على السواء. ولكنه، مع اختيار

نابليون له عضواً فى الديوان، وزيارته له فى بيته، كان من أكبر خصوم الفرنسيين، والمحرضيين على الثورة عليهم.

فعندما قامت ثورة القاهرة الأولى تبين أن زعيمها الأول هو الشيخ السادات. وثبت لديهم ذلك حتى أمر الجنرال كليبر بإعدامه، ولكن نابليون رده عن ذلك، مع يقينه من زعامته للثورة، وقال: إن قتل شيخ فى مكانة السادات يضر أبلغ الضرر بمركز الفرنسيين، ويزيد فى حقد المصريين وكراهتهم له.

ثم قامت ثورة القاهرة الثانية على الجنرال كليبر. وكان السادات من المحرضين عليها. فجاءت فرصة كليبر لشفاء ما فى نفسه من السادات. وكان يذكر نصيحة نابليون فلم يقتله، ولكنه أوقع به من العذاب والمهانة شيئًا كثيراً. حيث فرض عليه ضريبة فادحة، قدرها مائة وخمسون ألف فرنك. فلما رفض أن يدفعها أمر بسجنه فى القلعة. وكان ينام على التراب، ويمشون به على قدميه فى شوارع القاهرة، ويضرب فى صباح كل يوم خمس عشرة عصا، ومثلها فى كل مساء وحبسوا أتباعه وخدمه. وطلبوا زوجه وابنه فلم يجدوهما. فعذبوا خادمًا له عذابًا شديداً حتى دل على مكانهما، فسجنوهما. ووضعوا معه زوجته فى سجن واحد، فكانوا يضربونه أمامها، وهى تبكى. وهاجموا داره، ففتشوها ونهبوا ما كان فيها من مال ومتاع وحفروا أرضها للبحث عما فيها من سلاح ومال. وجعلوا على بيته عشرين حارسًا. وعندما أعادوا تشكيل «الديوان»[1] أخرجوه منه.

وبعد أن أنزلوه من القلعة عادوا فسجنوه فيها مرة أخرى خمسين يومًا، ثم أخرجوه بعد أن أتم دفع ما فرضوا عليه، ولكنهم عادوا فصادروا جميع ممتلكاته وإقطاعياته -وكانت شيئًا كثيراً- وحبسوا مرتباته وأوقافه وأوقاف زوجاته، وريع الأوقاف التى كانت محبوسة على زوجات أجداده. وشرطوا عليه ألا يجتمع بالناس، وألا يخرج إلا بإذنهم، وأن يقتصد فى نفقاته، وينقص عدد أتباعه وخدمه.

---

(١) عندما دخل نابليون القاهرة ألف «الديوان» من طبقتين «العمومى» و«الخصوصى» وكان الأخير يتألف من كبار العلماء والتجار وأهل الرأى والمنزلة من المصريين. وكان رئيسه الشيخ عبد الله الشرقاوى ومن أبرز أعضائه الشيخ السادات.

ويخاف منه الأتراك أيضًا:

وعندما قدمت الحملة التركية الإنجليزية لحرب الفرنسيين وإخراجهم من مصر، سنة ١٨٠١، وعلم الجنرال مينو، نائب نابليون وقائد الجيوش الفرنسية، أنها نزلت أبى قير فى الإسكندرية، أمر للمرة الرابعة، بالقبض على الشيخ السادات حتى لا يثير المصريين عليهم. وسجن فى القلعة، وبقى فيها سجينًا حتى بارح الفرنسيون مصر.

وقد مات ابن الشيخ السادات وهو فى السجن فلم يسمحوا له بالخروج ليراه، بل أذنوا له بالسير فى جنازته تحت الحراسة، ثم أعادوه إلى السجن.

ومن مواقف الشيخ السادات الوطنية الكريمة، أنه عندما ضربت الحرب والحصار بالثائرين فى القاهرة، التزم بالإنفاق على المحاربين والمجاهدين فى المنطقة التى كان يقيم فيها، عند قناطر السباع.

ومات الشيخ السادات بعد ذلك فى مارس سنة ١٨١٣ فى عهد محمد على بعد أن عرف له الناس وسجل التاريخ هذه الشجاعة وهذا البذل.

❁❁❁

الأزهرى الشيخ سليمان الجوسقى

فرغ الشيخ سليمان الجوسقى[١] من صلاة الفجر فى الجامع الأزهر على عادته فى كل يوم، ولكنه فى ذلك اليوم كان يبدو على غير عادته فى كل شئ، فهو ساهم واجم يستغرقه تفكير عميق ثقيل، وهو فى تفكيره منصرف عن كل شىء من حوله، حتى كان إخوانه يتلقونه بتحية الصباح فلا يجيبهم، وكان طلابه يكبون على يده يقبلونها فيلقيها إليهم فى إغفال واستسلام كأنه لا يبالى شيئًا من أمرهم.

ومضى الشيخ الجوسقى إلى حلقة الدرس وهو على هذه الحال، ساهم واجم، مستغرق فى ذلك التفكير العميق الثقيل، ولقد أخذ مكانه فى حلقة الدرس والطلاب يحفون به منصتين، ولكنه جلس صامتًا واجمًا لم يتكلم بكلمة، ولم يعنه أن يسأل الطلاب فيما حققوا من مسائل الدرس أو صادفوا من مصاعبه كشأنه معهم فى كل يوم.

وما كان الشيخ الجوسقى هكذا أبدًا، ولا عرف طلابه عنه هذه الحال فى يوم من الأيام، فقد كان شيخًا مكفوف البصر، يتولى شئون طائفة العميان والتدريس لهم فى الأزهر، ولكنه لم يكن يرى فى تلك المحنة حدًا يعوقه عن أى شأن من شئون الحياة، فكان معروفًا بين إخوانه بقوة الشكيمة والصرامة فى الحق، يحرص كل الحرص على مصالح طائفته، ويبذل كل الجهد لاستخلاص حقوقهم، ولو أدى ذلك إلى الاعتماد على القوة، والالتحام فى المعركة، وكان إلى جانب هذا متفتح النفس، يهش للدعابة، ويطيب له التبسط فى الحديث مع طلابه ومريديه، ويعنيه أن يتحقق بنفسه شئونهم العامة، ومسائلهم الخاصة، ومن ثم كان طلابه يخشونه أشد الخشية، ويحبونه أعظم الحب، وكان إذا ما أقبل على الدرس فى كل يوم بعد الصلاة الأولى أقبلوا عليه، فيفضون إليه بما فى نفوسهم، ويسمعون منه بما يشير به عليهم، ثم يفرغون معه لدرس التفسير فى كتاب الله الكريم، وما يزالون حتى ترتفع الشمس، ثم ينصرفون للاستعداد لدرس آخر.

---

(١) مجلة الأزهر الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف.

ولكن الشيخ أقبل على طلابه فى ذلك اليوم، وهو على تلك الحال التى لم يألفوها منه، ولم يعرفوها عنه، وأشفق الطلاب أن يكون قد نزل بشيخهم مكروه فى نفسه أو فى أسرته، فقال قائل منهم: لا بأس على مولانا الشيخ فيما نرى، فقد فات موعد الدرس وهو منصرف عنا!

قال الشيخ فى صوت محتبس أجش: كيف وهذا هو اليأس يأخذ بنواصينا وأقدامنا، وهذا هو الكرب يشد على خناقنا شدًا عنيفًا، فليس لنا منه متنفس، وفيم أنتم وهذا الدرس، وما هو إلا كلام تلوكونه بألسنتكم، وتخورون به خوار البقر، ولكنكم والله لا تحسونه بقلوبكم، ولا تعرفون فيه حتى دينكم، وهل حسبتم أن الإسلام هو تلك الكلمات التى ترددونها وتناقشونها ثم تنصرفون بها إلى الناس، وكأنها تجارة كلامية، حسبكم من الربح فيها تلك الفضلات التى تقيم أودكم، وتمسك رمقكم، إذن فيا ضيعة الإسلام فيكم ويا خسارته بكم ولست أدرى أهى نهاية الزمان أم أن الله مقيض لهذا الأمر من ينهض به ويبعثه بعثًا جديدًا فى عقول هذه الأمة وقلوبها؟!

قال الطالب: وهل عرف شيخنا على أحد منا سوءًا فى دينه، أو تفريطًا فى حق من حقوقه؟!

قال الشيخ: وماذا بقى هناك من حقوق دينكم؟ وأى أثر لذلك فى نفوسكم؟ لقد جل الخطب حتى أوشك أن يبقى من هذا الدين بقية تتصل بأرواحكم، هؤلاء هم الفرنسيون الكفار قد وطأوا بلادكم فسكتم، ثم انتهبوا دوركم وأموالكم فأذعنتم، ثم انتهكوا حرماتكم وأعراضكم فرضيتم وصبرتم، وها هم أولاء -فيما عرفت- يعمدون إلى تغيير نظام المواريث فى دينكم، يجعلون حق الإرث كله للبنت وليس للولد منه شىء كما هو شرعهم، ومتى بطل جزء من الشريعة فإنها جميعها لا بد صائرة إلى المسخ والزوال، وإنكم لصائرون غدًا أرقاء فى خدمة هؤلاء الفرنسيين الكفار، وبكم تكون نهاية هذا الدين، وزوال الملة، ونعوذ بالله من هذا الزمان.

وسرت بين الطلاب همهمة وغمغمة، وارتفعت الصيحات استنكارًا لتلك النازلة الساحقة التى حلت بالمسلمين فى دراهم، ووقف بعض الطلاب يتكلمون ،

فمنهم من يلقى اللوم على أولئك المماليك الجبناء الذين فروا من مواجهة العدو وتركوا الشعب يتلظى فى آتون المعركة، ومنهم من يعتب على دولة بنى عثمان التى تركت الفرنسيين يصلون إلى فتح هذه الديار، ومنهم من يسب الخائنين والمارقين من أبناء الطوائف الدخيلة على البلاد لأنهم تعاونوا مع العدو ومكنوه من رقاب الشعب، ومنهم من يقول: إنه غضب الله على المسلمين جزاء ما فرطوا فى دينهم، وحقوق ملتهم.

وعاد الشيخ الجوسقى يتكلم فقال: حسبكم يا أبنائى هذا الضجيج على غير طائل، إننا اليوم لسنا فى مقام توزيع التبعات وليس من الحكمة أن نترك السفينة تهوى إلى القاع ونحن مشغولون بمعرفة الملوم فى هذه الكارثة، وإنما الواجب أن نفرغ لدفع النازلة التى دخلت بنا، ثم نصفى أمورنا إذا بقى لنا أمر بعد ذلك، فحرام عليكم طعامكم وشرابكم، وحرام عليكم أن تقيموا على الضيم فى وطنكم، وأن تجلسوا فى هذا المكان باسم الإسلام والفرنسيون يصنعون بإسلامكم ما شاءوا أن يصنعوا.

قال قائل منهم: وماذا فى طاقتنا أن نصنع إزاء حرب الفرنسيين. وقد حرمنا نعمة البصر فما ندرى إلى أين نسير، والله يقول: ﴿**لَيْسَ عَلَى الأَعْمَىٰ حَرَجٌ**﴾ [النور: ٦١].

ولم يكد الطالب يتم قولته حتى انفجر الشيخ كالبركان قائلاً: ألا لعنة الله عليكم إن كان هذا هو مدى إدراككم ويقينكم، نعم لا حرج عليكم فيما هو من شئونكم الخاصة، ولكنكم اليوم إزاء كارثة حلت بدار الإسلام، وإنها لآخذة برقابكم جميعًا، والله يقول: ﴿**فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ [الحج: ٤٦]، فانفروا إلى الناس فى دورهم، وحثوهم فى أعمالهم، وتفرقوا على أبواب الطرق والحارات، وقولوا لكل من لقيتم إنكم اليوم بين شقى الرحى، وإن الفرنسيين قد استباحوا حرماتكم، وأهانوا شرفكم، ونهبوا أموالكم، وبدلوا دينكم، فلا عزة بين الأمم، ولا كرامة عند ربكم إذا ما رضيتم بهذا الأمر فيكم.

ووقف الشيخ فى انفعال وقوة، وأخذ يصرخ قائلاً والدموع تنحدر على خديه: والله ما قام عمود هذا الدين إلا بالجهاد، ولا أزهرت شجرة الإسلام إلا بدماء

الشهداء، ولقد خاض رسول الله ﷺ الحرب حتى شج وجهه وكسرت رباعيته، وفى سبيل الله استشهد سادتنا من الصحابة والتابعين، فلعنة الله علينا إن كنا من القاعدين بعد اليوم.. ثم اندفع الشيخ واندفع معه طلابه إلى الخارج وهم يصيحون: إلى الجهاد والاستشهاد، إلى الموت فى سبيل الله.. وكانت الثورة.

***

كانت الشمس ترتفع للضحى، وكانت القاهرة تبدو هامدة واجمة تحت وطأة ذلك الكابوس الفرنسى الذى جثم على قلبها فجأة، وكان الناس يغدون ويروحون وهم لا يدرون من أمرهم شيئًا لليوم أو الغد، فما هى إلا ساعات من نهار حتى كانت القاهرة تغلى كالمرجل، وكان الناس يقفون فيها على قدم وساق متوثبين متحفزين لأمر له ما بعده، فقد تفرق شيوخ الأزهر وطلابه على أبواب الطرق، وتغلغلوا فى الحارات والأزقة بحى الأزهر والحسينية، وراحوا يتحدثون إلى الناس بشأن هؤلاء الفرنسيين الذين استعمروا بلادهم ونهبوا أموالهم، واستباحوا حرماتهم، وأخذوا يذكرونهم بحق الدين فى الجهاد والاستشهاد، وكأنها كانت الشرارة قد اندلعت فى الهشيم، فإذا بالجموع تتداعى من كل ناحية، والصيحات ترتفع من كل جانب: إلى الجهاد إلى الاستشهاد، النصر للإسلام.

واتصل الخبر بالسلطات الفرنسية، فركب الضابط «ديوى» على رأس قوة كبيرة من الفرسان والجنود، ومر بشارع الغورية، وعطف على خط الصنادقية، ثم قصد إلى بيت القاضى فوجد جموعً كبيرة من المصريين وهم يصيحون ويتوعدون، فتراجع أمامهم وأراد أن يخرج من بين القصرين، ولكنهم أدركوه والتحموا به فى معركة عنفية أسفرت عن جرح «ديوى» بجراح بالغة وقتل أكثر فرسانه وجنوده، ولم يفلت القائد الفرنسى من براثنهم إلا بأعجوبة.. وأيقن أبناء القاهرة أن هذه المعركة ليست إلا بداية موقف حاسم بينهم وبين الفرنسيين، وأخذوا من وقتهم يستعدون لهذا الموقف، فرابطت الجموع عند الأطراف وعلى مداخل القاهرة عند باب الفتوح وباب النصر والبرقية وباب زويلة وباب الشعرية، وأقاموا المتاريس فى كل مكان مفتوح للهجوم، وأخرجوا ما عندهم من السلاح والذخيرة، وباتوا الليل ساهرين منتظرين.

وأصبح الصباح، وكانت القوات الفرنسية قد أخذت أماكنها فوق تلال البرقية والقلعة، وهى مستعدة بالعتاد الكامل، والمدافع الثقيلة، ثم أخذت تقصف القاهرة بالقنابل وركزت الضرب على حى الأزهر بصفة خاصة، وتساقطت القنابل على الدور وفوق السكان، ولم يكن دوى القنابل مألوفًا لعامة الشعب، فسار بينهم الفزع والرعب، ولكن المرابطين على المتاريس وقفوا ثابتين يدافعون فى شجاعة وعناد، وأمضيت القاهرة ليلة مظلمة لم تعتادها من قبل، فكنت لا تسمع فى وسط ذلك الظلام الخانق الرهيب، إلا دوى القنابل وهى تتساقط فى كل مكان، وإلا صيحات المجاهدين والمدافعين وهى تتجاوب بالثبات والإقدام، وطال الترقب، والفريقان يتبادلان الرمى والضرب، وأرسل الفرنسيون إلى شيوخ الأزهر أكثر من مرة لعلهم يتدخلون لتهدئة الثورة، ولكن المواطنين أصروا على الكفاح إلى آخر رمق من حياتهم.

واستمرت المعركة دائرة يومين وليلة وتساقط القتلى من الجانبين فى الشوارع والطرقات وتهدمت الدور فى كثير من المواقع، وبقى المواطنون فى أماكنهم صامدين، يناضلون ويدافعون حتى فقدت الذخيرة منهم، فوقفوا عن الضرب والرمى، وانفتحت الأبواب أمام الفرنسيين، فانحدروا إلى القاهرة بخيلهم ورجلهم وهم يمعنون فى الأهالى العزل قتلاً وفتكًا، وعاثوا فى حى الأزهر جميعه، ثم اقتحموا الجامع الأزهر بخيولهم واستباح أولئك الذين جاءوا يبشرون فى الشرف بمبادئ الثورة الفرنسية ذلك الحرم المقدس، فربطوا فيه خيولهم، وشربوا فيه الخمور، وعاثوا بكل ما فيه من المصاحف والكتب والخزائن فسادًا وتلفًا وداسوها بنعالهم.

وأصبح الصباح فى اليوم التالى، وكانت القوات الفرنسية كلها قد تجمعت فى حى الأزهر، وفى جميع الأحياء التى عضدت الثورة، وأخذوا ينهبون الدور ويبحثون عن السلاح فى كل مكان، ثم أخذوا يبحثون عن الشيوخ الذين تزعموا الثورة واعتقلوا الشيخ سليمان الجوسقى شيخ طائفة العميان، والشيخ أحمد الشرقاوى، والشيخ عبد الوهاب الشبراوى، والشيخ يوسف المصيلحى، والشيخ إسماعيل البراوى، وحبسوهم فى بيت البكرى بعض الوقت، ثم نقلوهم إلى القلعة.

وقصد الشيخ السادات ومعه بعض كبار المشايخ بالأزهر إلى القائد الفرنسى وطلبوا منه العفو عن الشيوخ المعتقلين فأمهلهم بعض الوقت، وفى كل يوم كانوا يذهبون إليه متشفعين فيمهلهم حتى يستقر الأمن، وبعد خمس عشر يومًا انكشفت الحقيقة فى صنع الاستعماريين، فقد وجدت جثث الشيوخ الخمسة وراء سور القلعة، بعد أن قتلهم الفرنسيون ومثلوا بهم أشنع تمثيل، ذلك لأنهم ارتكبوا أشنع جرم فى حق أبناء المدينة الفرنسية، فطالبوا بحق أمتهم فى الحرية والحياة...

✿✿✿

رفاعة رافع الطهطاوى

* رفاعة رافع الطـهطاوى. . ولد فى ديسمبر سنة ١٨٠١ ببلدة طهطا مـحافظة جرجا ويختلف المؤرخون حول يوم مولده.

* كان والده تاجـراً صغـيراً توفى ورفاعـة فى سن الخامســة عشـرة فرحل إلى القـاهرة طلبًا للعلـم والتحق بالأزهر وقـد كانت وسـيلة سـفره سـفينة شـراعيـة فاستغرقت الرحلة أسبوعين[١].

* فى عام ١٨٢٤ عين واعظًا وإمـامًا لإحدى فرق الجيش الـنظامى الذى أسسه محمد على وكان قائدًا لفرقة حسن المانسترلى «بك».

* سافر إلى فرنسا عـام ١٨٢٦ إمامًا للبعثة التعليميـة المصرية بباريس وتقرر له مرتب يوزباشى. . وحضر قيام الثورة الفرنسية ضد شارل العاشر سنة ١٨٣٠.

* تأثر بالعلوم السيـاسية الفـرنسية فتـرجم الدستور الفرنسى (دسـتور ١٨١٤) معلقًا على مواده بما يدل على فهم دستورى صحيح.

* عاد إلى مصر سنة ١٨٣١ فتولى منصب أستاذ ترجمة وتدريس اللغة الفرنسية بمدرسة الطب.

* فى عام ١٨٣٣ نقل من مدرســة الطب إلى المدفعية برتبة أميـرلاى وعهد إليه بترجمة العلوم الهندسية والفنون الحربية.

* أنشأ مدرسة الألسن سنة ١٨٣٦ بسراى الألفى بالأزبكية.

* فى عام ١٨٥١ أرسله الخديو عباس الأول إلـى السودان بعد أن أغلق مدرسة الألسن بحجة توليه إدارة مدرسة أنشئت بالسودان وكان القصد إبعاده.

* عاد من السودان عام ١٨٥٤ بعد وفـاة الخديو عباس وتقلب فى عدة وظائف حتى أسندت إليه سنة ١٨٥٥ وكالة المدرسة الحربية.

---

(١) سارت به السفينة فى النيل من الصعيد إلى القاهرة.

* أسس أول مدرسة لتعليم البنات سنة ١٨٧٣.

* من أشهر كتبه.. «تخليص الإبريز فى تلخيص باريس».

* توفى فى ٢٧ مايو سنة ١٨٧٣.. ونشر نعيه بالوقائع المصرية جريدة الدولة الرسمية.

إن أول صحفى فى مصر[1] بل وفى العالم العربى كله، كان أزهريًا وهو المرحوم الشيخ إسماعيل بن سعد الشهير بالخشاب قال عنه: (الفيكونت فيليب دى ترازى) فى كتابه (تاريخ الصحافة العربية) عند حديثه عن البعثة العلمية التى رافقت حملة نابليون بونابرت إلى مصر أنها أحضرت معها مطبعة من باريس ثم يقول:

(وأول عمل باشرته هذه البعثة العلمية أنها نشرت ثلاث جرائد فى المطبعة المذكورة إحداها (الحوادث اليومية) كان يحررها إسماعيل بن سعد الخشاب وهى أول الصحف فى لغة الناطقين بالضاد).

ويقول عنه الجبرتى فى كتابه التاريخى المعروف: (تولع السيد إسماعيل بحفظ القران ثم بطلب العلم ولازم حضور السيد على المقدسى وغيره من أفاضل الوقت وأنجب فى الفقه الشافعى والمعقول وتثقيف اللسان والفروع الفقهية الواجبة والفرائض.

ولما رتب الفرنساوية ديوانًا لقضايا المسلمين تعين المترجم فى كتابة تاريخ حوادث الديوان، وما يقع فيه من ذلك اليوم.. لأن القوم كان لهم مزيد الاعتناء بضبط الحوادث اليومية فى جميع دواوينهم وأماكن أحكامهم ثم يجمعون المتفرق فى ملخص، يرفع فى سجلهم، بعد أن يطبعوا منه نسخًا عديدة يوزعونها فى جميع الجيش... حتى لمن يكون منهم فى غير المصر من قرى الأرياف، فتجد أخبار الأمس معلومة للجليل والحقير منهم.

فلما رتبوا ذلك الديوان، كما ذكر كان هو المتقيد برقم كل ما يصدر فى المجلس: من أمر ونهى، أو خطاب أو جواب، أو خطأ أو صواب، وقرروا له فى كل شهر سبعة آلاف ونصف فضة.

---

(١) مجلة الأزهر - الأستاذ محمد على غريب.

فلم يزل متقيـدًا فى تلك الوظيفة مدة ولاية عبد الله جـاك مينو، حتى ارتحلوا من الإقليم، ولقد جـمع من سجلات الحـوادث عدة كراريس ولا أدرى مـا فعل بها.

هذا هو إسماعيل الخشاب، أول صحفى عربى على الإطلاق، خرج من الأزهر إلى الصحافة، وكانت صحفيته صغيرة لا يقرؤها إلا القليلون.

ويجيئ من بعده المغفور له الشيخ (رفاعة رافع الطهطاوى) وهو المقصود بحديثنا وصاحب أكبر فضل على النهضة العلمية والأدبية والاجتماعية فى مصر، ولقد ولد عام ١٨٠١ وتوفى عام ١٨٧٣ وكانت مسقط رأسه مدينة (طهطا) فى الصعيد ولقد نشأ فى أسرة كـانت من أهل اليسار ثم أخنى عليها الـدهر فمضى والده فى طلب الرزق إلى مدينة (قنا) وبعدها إلى مدينة (فرشوط).

وقد سافر إلى فـرنسا ورأى حرية هناك جعلته يشعر بالطغـيان الذى يعانيه أبناء وطنه مصر ورأى ما يمكن أن يقدمه الفكر الراجح من أساليب النشاط الإنسانى فى شتى مناحى الحياة، وفى فرنسا رأى الصناعة الـزاخرة بالخير والنفع على الفرنسيين أجمعين فدعا إلى التصنيع فى بلاده.

ولقد دعا رفاعة الطهطاوى، المصريين إلى الحفاظ على نعمة الحرية وإعلاء شأن الفكر وإنشـاء المصانع لتنافس أمـتهم أرقى شـعوب العـالم فى الحضارة والمـدنية، ولتعود إليها سيرتها الأولى فى التقدم والازدهار.

وعاد رفاعة الطهطاوى إلى مصر وكله شعلـة من الوطنية المتأججة، فأشار على محمد على بأن يصدر صحيفة «الوقائع المصرية» وتولى الشيخ رفاعة رياسة تحريرها وراح يكتب فيهـا المقالات التى تحث على استنهاض الهمم وبعث الشـعور القومى وشحذ العزائم فى سبيل خدمة الوطن.

وهى أقدم جريدة عربية على الإطلاق إذ لم تسبقـها جريدة عربية أنشأها عربى فى وطننا العربى الكبير.

وما صنعه رفـاعة الطهطاوى لأمته يكثـر إحصاؤه على المغرمين بالأرقـام، فقد ترجم عـشرات الكتب من الـفرنسـية إلى العـربيـة وأودع ثمراتهـا عقـول أولئك

المتعطشين إلى العلم والمعرفة، وبارك الله فى جهوده فألف وصنف، وكانت غاية جهاده أن يرتقى بأمته إلى المكان الذى رأى فيه فرنسا.

ولقد خلف رفاعة الطهطاوى وراءه ثروة أدبية ضخمة هى طراز لما يجب أن يقوم به الرائد العظيم نذكر منها: (خلاصة الإبريز والديوان النفيس) و(التعريبات الشافية لمريد الجغرافية) و(جغرافية ملطبرون) و(قلائد المفاخر فى غريب عوائد الأوائل والأواخر) و(المرشد الأمين فى تربية البنات والبنين) و(التحفة المكتبية) و(مواقع الأفلاك فى أخبار تليماك) و(مباهج الألباب المصرية فى مناهج الألباب العصرية) و(مختصر معاهد التنصيص) و(المذاهب الأربعة) و(شرح لامية العرب) و(القانون المدنى الإفرنجى) و(توفيق الجليل وتوثيق بنى إسماعيل) و(هندسة ساسير) و(رسالة فى الطب) و(جمال الأجرومية) و(نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز).

وهكذا عاش رفاعة الطهطاوى حياته كلها خادمًا أمينًا للدين وللعلم وللمعرفة باذلاً غاية جهده فى تحريك موجات الفكر فى بحرنا الآدمى المتلاطم.

رفاعة بك الطهطاوى رائد التنوير:

هو السيد رفاعة بك بن بدوى بن على بن رافع ينتهى نسبه إلى محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن فاطمة الزهراء -رضى الله عنها- ولد عام ١٨٠١م فى طهطا بمديرية جرجا فى صعيد مصر، ومما قاله عن نفسه أن أجداده كانوا أهل غنى ويسار، لكن الدهر أخنى عليهم فتفتحت عيناه على الضيق والعسر، فرحلوا إلى قرية منشأة لنيدة بين قوم كرام فى بيت أبى قطنه ثم إلى قنا وحفظ كتاب الله ثم إلى فرشوط ليـنتهى به المقام إلى طهطا مرة أخرى ليتم فيها حفظ القرآن وكثيرًا من المتون الأزهرية على يد إخوانه وكانوا من علماء الأزهر وهم الشيخ عبد الصمد وأبو الحسن وفراج الأنصارى، ثم توفى والده ورحل بعدها إلى الجامع الأزهر عام ١٢٢٣هـ وظل به ثمانى سنوات حتى صار من طبقة العلماء فى اللغة والحديث والفقه وسائر علوم الأزهر، وتلقى العلم على كبار العلماء منهم الشيخ حسن العطار المتوفى عام ١٤٥٠هـ الذى كان يعطف عليه لنجابته وذكائه ويشاركه فى الاطلاع على كتب الغرب التى لم يتداولها أبناء الأزهر إلا نادرًا.

وقد ألف لأستاذه وهو فى صحن الأزهر فى جلسة واحدة خاتمة كتاب «قطر الندى وبل الصدى» مما يدل على مهارته وهو ابن العشرين، ثم عمل بالتدريس فى الأزهر صباح مساء فى البيان والبديع والعروض والمنطق والأدب واللغة وفنون الإدارة والشريعة والقوانين الأجنبية وفنون الأدب وفى الترجمة والتأليف وعمل خطيبًا وواعظًا بأمر من كبار الدولة.

جهوده العلمية والأدبية:

فى بعثة باريس استشار الوالى محمد على شيخ الأزهر حسن العطار أن ينتخب لبعثة باريس إمامًا وشيخًا لها فوقع اختياره على رفاعة صاحب الترجمة وأوصاه شيخه بأن يسجل كل ما يقع فى رحلته فى فرنسا من أحوال وأخلاق وعادات ودونها فى كتابه المشهور «تخليص الإبريز والديوان النفيس» واتخذ له استاذًا يعلمه الفرنسية وعلومها على نفقته ومنهم «المسيو جومار» والعالم الشهير «البارون دساسى» وفى المدة ما بين «١٢٤١ - ١٢٤٦هـ» نبغ فى العلوم والمعارف الأجنبية وخاصة الترجمة فى سائر العلوم، فى مؤلفات كثيرة منها «قلائد المفاخر» وغيرها.

وبعد عودته بسنوات عين فى عام ١٢٤٩هـ بمدرسة الطب فى وظائف كثيرة - مترجم ومدرس اللغة الفرنسية ورئيسًا لقسم الجغرافيا ثم انتقل إلى مدرسة «الطوبجية» عام ١٢٥١هـ فى وظيفة مترجم وكاتب مدرسة العسكرية وكانت له ترجمة فى الهندسة يقرؤها على طلاب مدرسة سانسيرا بفرنسا.

ثم أسندت إليه نظارة «قلم أفرنجى» فى عهد محمد سعيد باشا ونظارة دار كتب القصر العينى التى تضم خمسة عشر ألف مجلد بالفرنسية والإيطالية كما كان رئيسًا لفرقة الجغرافيا بالقصر.

ثم أسس مدرسة الألسن بعد أن عرض فكرتها على الجناب العالى ليستغنى بخريجيها من أبناء الوطن عن الأجانب الدخلاء عليه وانتقى لها نخبة من أبناء مصر وكان مديرًا ومشرفًا ومترجمًا بها، وأعانه فى ذلك مدرس فرنسى لكثرة وظائفه.

وتولى أيضًا نظارة التجهيزية والوقائع المصرية والكتبخانة وقلم الترجمة، ومدرسة المحاسبة والفقه الشرعى والأحكام الإفرنجية، والمكتب العالى بالخانقاه، وناظر للمدرسة الإبتدائية بالخرطوم.

نفيه إلى الخرطوم:

بعد وفاة إبراهيم باشا تولى الحكم من بعده عباس باشا الأول التى قامت سياسته على تدمير الجهود التى بذلها محمد على وإبراهيم ابنه فى الإصلاح الداخلى والسياسة والنهضة العلمية فى البلاد، فأغلق جميع المدارس الخصوصية ومنها مدرسة الألسن التى أسسها رفاعة وناظرها، وكانت لنقل الحضارة والثقافة الأوروبية، والتى كان يعاديها عباس باشا وأخذ يعادى رفاعة الذى أسس هذه الحضارة والثقافة فهو حامل لواءها، ولذلك نفاه إلى السودان وخاصة بعد طباعة كتابه «تخليص الإبريز» للمرة الثانية عام ١٢٦٥هـ فى عهده وكان الكتاب يتضمن مبادئ لا ترغب فى الحاكم المستبد، الذى كان الاستبداد من طبع عباس الأول وخاصة بعد أن زين له حساد رفاعة ذلك وأسند إليه نظارة مدرسة الخرطوم.

قياس رفاعة أعاده إلى مصر:

ومن باب المصادفات الطريفة تلك القصة التى وقعت بينه وبين كبار المصريين فى السودان فى شهر شوال سنة ١٢٧٠هـ حين أعد حكمدار السودان وليمة لهم فى سفينة بمياه النيل تجاه الخرطوم ودعا إليها سفراء الدول وبينهم رفاعة بك بينما هم يمرحون ويسمرون فاجأهم رفاعة بأن عباس قتل فاضطرب الجميع وتفرقوا ولما عاد إلى مدرسة الخرطوم سأله زملاؤه عن سبب عودته فأخبرهم بأن عباس قتل، وذكر لهم سبب ذلك فذكر لهم قياسًا فقال لهم فى ترجمة «تليماك» أنه انضم إلى الملوك المتعاهدة لمحاربة ملك الدونية فيعدم بيد تليماك لارتكابه كل الأمور التى ارتكب مثلها عباس الأول فكان جزاؤه هو كذلك القتل، فقالوا ألم تكفك الغربة، فادعيت هذا القياس الخرافى مما يترتب عليه إبعادنا عن الخرطوم.

وفى اليوم التالى لهذه القصة استدعى الحكمدار رفاعة ليزف إليه بشرى سعيد باشا أمر بإعادته هو ومن معه إلى مصر وأعطاه هدية من الذهب ليسلمها إلى الوالى الجديد سعيد باشا.

آثار رفاعة فى السودان:

مكث فى السودان أربع سنوات شعر فيها بحرارة الحزن والألم لبعده عن أولاده وهو يتذوق علقم الظلم والجور ولجزعه على علم من أعلام النهضة هو «محمد بيومى» أستاذ الرياضيات فى مصر ورئيس أحد أقسام الترجمة وقد حبه فى باريس وفى السودان الذى مات بها، وفقد نصف صحبه أيضًا هناك.

ونشر علمه وثقافته فى السودان وأدار المدرسة وتخرج على يديه أعلام فى السودان، ونظم شعرًا كثيرًا واشتغل بالترجمة ومنها قصة تليماك الرائعة.

وبعد عودته من السودان:

وبعد عودته اشتغل عضواً ومترجمًا فى مجلس المحافظة تحت أدهم باشا ثم تولى نظارة مدرسة الحربية بالحوض أولاً ثم بالقلعة ثانيًا، ثم أحيلت إليه نظارة قلم الترجمة ومدرسة المحاسبة والهندسة الملكية والتفتيش والعمارة ولما ألغيت مدرسة الحربية وقلم الترجمة كان عضواً بقومسيون المدارس مع الإشراف على صحيفة «روضة المدارس» وظل بها حتى توفى فى ربيع الآخر ١٢٩٠هـ.

أثره فى النهضة ومؤلفاته:

١- كان مؤلفًا ومترجمًا ومعلمًا ورائدًا نقل إلى مصر علوم أوروبا وآدابها وفنونها ومختلف ثقافاتها ونظم رقيها ومجدها وتقدمها.

٢- صنع على عينه تلامذة له أذكياء وأفذاذ نهجوا نهجه وسلكوا طريقه وعملوا على نهضة البلاد، ومنهم أبو عبد الله أبو السعود وأحمد حسن الرشيدى، وإبراهيم النبراوى ومحمد بيومى وغيرهم.

٣- كان أول مترجم مصرى فى النهضة الحديثة وأشرف على قلم الترجمة الذى كان يضم خمسين مترجمًا ليوجههم ويرشدهم وقد تولى رئاستها بعد رجل شامى يدعى عنجورى شهد له بالأحقية والنظارة والجدارة والسبق.

٤- أنشأ أول صحيفة فى مصر وهى صحيفة «روضة المدارس».

٥- وقوفه على التواريخ القديمة والحديثة والانساب ونشر العلوم والمعارف.

٦- طبعه كثيرًا من الكتب العربية على نفقة الحكومة مثل تفسير الرازى ومعاهد التنصيص وخزانة الأدب ومقامات الحريرى وغيرها.

وكان من مؤلفاته الكثيرة:

١- تخليص الإبريز والديوان النفيس.

٢- قلائد المفاخر فى غرائب الأوائل والأواخر.

٣- المرشد الأمين فى تربية البنات والبنين.

٤- التحفة المكتبية فى النحو.

٥- مواقع الأفلاك فى أخبار تليماك.

٦- مناهج الألباب المصرية فى مناهج الآداب العصرية.

٧- بداية القدماء وهداية الحكماء.

٨- التعريبات الشافية لمريد الجغرافية.

٩- أنوار توفيق الجليل وتوثيق بنى إسماعيل، وغيرها فيما يزيد على أربعين كتابًا ورسالة وبحثًا.

شعره ونثره الفنى:

هذا لعمرى أن فيها سادة ... قد زينوا بالحسن والإحسان

يا أيها الخافى عليك فخارها ... فإليك أن الشاهد السنان

ولئن حلفت بأن مصر لجنة ... وقطوفها لفائزين دوانى

والنيل كوثرها الشهى شرابه ... لأبر كل البر فى إيمانى

دار يحق لها التفاخر سما ... بعزيزها جدى بنى عثمان

ومن نثره فى تلخيص الإبريز:

كان نثره متحررًا نوعًا من السجع والتكلف، وكذلك فإن شعره كذلك يقول يتغنى بمحاسن مصر فى نثره الفتى:

«فلما اشتد الأمر وعلم الملك بذلك وهو خارج، أمر أن يجعل المدينة محاصرة حكمًا، وجعل قائد العسكر أميرًا من أعداء الفرنساوية مشهورًا عندهم بالخيانة لمذهب الحرية مع أن هذا خلاف الكياسة والسياسة والرياسة، فقد دلهم هذا أن الملك ليس جليل الرأى.. إلخ»[1].

****

(١) صوت الأزهر: د. على صبح ٢٠/ ١٢/ ٢٠٠٢م.



رفاعة الطهطاوى

صورة عن الإمام الشيخ محمد عبده[١]



نسبه ومولده ونشأته:

هو محمـد بن عبده بن حسن خـير الله، من أسرة مصرية ريفية متوسطة الثراء، فى قرية من إقليم البحيرة بشمـال مصـر تسمى محلة نصـر، وكان أبوه يشـتغل بالزراعة شأنه شأن سكان الريف جـميعًا. وولد له ابنه محـمد فى عام ١٢٦٦هـ. ونشأ فى أول الأمـر مدللاً ثائرًا على وضعـه الاجتماعى، فـأبى أن يشارك أباه فى عمله، وعزف عن التـعليم فى كتاب القرية على عادة أمـثاله ولداته، وظل كذلك حتى بلغ العاشرة من عمره، واشتد القلق بوالده فأحضر له فقيهًا لازمه حتى حفظ القرآن الكريم. وتعلم مبادئ القراءة والكتـابة، ثم أرسل به إلى طنطا فجود القرآن وأحسن تلاوته، ثم ألحقه بمعهدها الدينى. وقد بلغ عمره خمسة عشر عامًا، ولكن محمدًا لم يتفتح قلبه لطرق الدراسة حـينذاك، ففر من معهده مرارًا، وأبوه يحاوله ويعالجه، وهو يلج فى العناد والإباء. وأخيرًا نزل ضـيفًا على خال لأبيه فى إحدى القرى المجاورة لبلدته، وكـان عالمًا ذكيًا استطاع أن ينفذ إلى قلبـه، وأن يحبب إليه العلم والدراسة، فلقنه تفسير القرآن. وقرأ عليه عدة كتب فى الحديث من أشهرها موطأ الإمام مـالك، ثم عاد بعد ذلك إلى معـهده فأتم الدراسة فـيه، وانتقل إلى الأزهر فى عام ١٢٨٢هـ ورأى أن ينتـقل من مذهب مالك إلى مذهب أبى حنـيفة لأنه المذهب الرسمى للحكومة وعليـه القضاء والفتيا، وظل ينازع نـفسه، ويغالب السأم والملل من الدراسـات المعقدة والأساليـب الملتوية، حتى حصل على شـهادة العالمية فى عام ١٢٩٤هـ، وقد انتزعها انتزاعًا بعد معارضة بعض العلماء فى منحه إياها لجرأته وصراحته، وزرايته بنظم الأزهر وطريقة التدريس فيه فى ذلك الوقت، واصطدامه ببعض شيوخه ومخالفتهم فى كثير من الآراء والعقائد.

---

(١) هذه إضافات جديدة تكمل ما سبق عن الشيخ محمد عبده مع الحرص على أمانة التحقيق بأن يظل ما نشر فى الطبعتين الأولى والثانية كما هو دون إضافة أو حذف أو تغيير.

ثقافته وأساتذته:

كان الإمام ذكيًا ألمعيًا يتمتع بذهن متوقد، وفكر ثاقب، ونفس طلعة متحررة، لا تحب القيود، ولا تخضع لما تواضع عليه الناس، فمال إلى التزود بجميع أنواع الثقافات، وفتن بالعلوم العقلية واللسانية والأدبية، واستقى الدين من منابعه الأولى، ضاربًا صفحًا عما ابتدعه العلماء من مذاهب وعقائد، وما أدخلوه فى الدين من بدع وأساطير وخرافات.

اقتنع الشيخ بانحراف العلماء عن سنة السلف، ومال إلى الدراسة الاستقلالية الحرة، وشغف بالتاريخ والمنطق والفلسفة الإسلامية، والرياضة والفلك، وتلمس السبل لفهم ما استعصى عليه، فاتصل وهو طالب بعالم فحل اسمه الشيخ حسن الطويل، ولازمه وأفاد منه، ووجد عنده ما افتقده عند غيره من العلماء فلم يظفر به، واتصل كذلك بجمال الدين الأفغانى منذ وفد على مصر وأخذ عنه الأدب والتوحيد والمنطق وأصول الفقه والفلسفة وغير ذلك من العلوم -كما أخذ عنه آراءه فى السياسة والاجتماع، وثورته على ظلم الحكام واستبداد الولاة، ودعوته إلى نظام شورى إسلامى يقضى على المطامع والنفعية والاستغلال.

بيئته وأثرها فى حياته:

نشأ الشيخ فى عصر يموج بالأحداث والأعاصير، وتتوالى فيه الكوارث السياسية والاقتصادية والاجتماعية. فقد كبل إسماعيل البلاد بأغلال الدين، ومكن للأجانب من التدخل فى شئونها، والإشراف على مواردها ومنحهم امتيازات سيطروا بها على الوطنيين وانتشروا فى المدن والقرى يبيعون الخمر والسموم، ويتعاملون بالربا، وتسقط الثروات فى أيديهم كما تسقط أوراق الشجر إذا أدركه الخريف، ثم كان عهد توفيق وقيام الثورة العرابية، واستعانة هذا الحاكم الخائن بالإنجليز ليحتلوا البلاد وينكلوا بقادتها وزعمائها، ويلقوا بهم فى السجون والمعتقلات، ويقذفوا ببعضهم إلى خارج البلاد ليذوقوا مرارة النفى وألم البعاد والتشريد، وكان للشيخ دور بارز فى مقاومة البغى والعدوان، وجاهد بقلمه ولسانه فى صفوف الثورة، وأفتى بخلع الخديو فحكم عليه بالنفى، وقضى عدة سنوات بسوريا وفرنسا وتونس، ولقى من الشدائد والأهوال ما الله به عليم.

ولكن الإمام أفاد من هذا الكفاح، واكتسب خبرة بشئون الحياة لم تتهيأ لغيره من القادة والزعماء، ولم يكف عن أداء رسالته الدينية والوطنية، فتولى التدريس بسوريا وتونس، واشترك مع جمال الدين الأفغانى فى إنشاء صحيفة العروة الوثقى بفرنسا، وعاد من النفى أمر عودا وأصلب مكسراً، وكانت له بعد ذلك جولات وصولات.

تقلبه فى مناصب الدولة:

تولى الشيخ عقب تخرجه فى الأزهر دراسة التاريخ الإسلامى بدار العلوم، ودراسة اللغة العربية بمدرسة الألسن، ثم عزلته الحكومة من عمله مخافة انتشار آرائه وأفكاره بين التلاميذ، وقوة تأثيره فى الأوساط الوطنية والشعبية، ثم اختير بعد ذلك لرياسة تحرير الوقائع المصرية، وبعد عودته من النفى أبعد عن التدريس، وعين قاضيًا بالمحاكم الأهلية، وعضواً فى مجلس الأزهر الأعلى، ثم اختير لمنصب الإفتاء وعضوية مجلس الأوقاف الأعلى، كما كان عضواً بمجلس الشورى، ورأس جمعية إحياء العلوم العربية التى أسست سنة ١٣١٨هـ، وإليه يرجع الفضل فى نشاط هذه الجمعية وإحياء كثير من كتب الأدب والدين وغيرهما.

وطنيته ودعوته للحرية السياسية والفكرية:

عاش الشيخ طول حياته مجاهدًا مكافحًا، داعيًا للتحرر الوطنى، وإرساء قواعد الحكم الشورى، ومقاومة المحتلين وأذنابهم، وعمل على نشر الوعى القومى فى نفوس النشء، وتحرير الفكر العربى من شوائب الجهالة، وتكوين مجتمع إسلامى يتعاون أبناؤه لإقامة وحدة تعمل على ترقية شئونهم السياسية والاجتماعية، وقد ألهب عواطف الوطنيين بقلمه ولسانه، وبث بذور الثورة على الطغيان التركى، وفساد أداة الحكم فى مصر. ولو أن العرابيين استمعوا لنصحه، وتريثوا قليلاً حتى يستكملوا عدتهم وعتادهم لبلغت الثورة هدفها، وآل حكم البلاد إلى بنيها، ونجت مصر من الاحتلال الإنجليزى الذى جثم على صدرها طويلاً.

إصلاحاته وآراؤه والصراع بينه وبين علماء عصره:

كان الشيخ يرى أن إصلاح المجتمع الإسلامى يجب أن ينبع من الأزهر، وأن يكون علماء الدين هم رسل النهضة وقادة الإصلاح، ولكى يقوم الأزهر برسالته

لابد له من الخروج عن عزلته وجموده، وأن يوثق صلته بالشعب، ويجدد فى نظمه وطرق التدريس فيه، ويطهر الدين من الشوائب والخرافات، وأن يعيد النظر فى الآراء الاجتهادية التى أثبت العلم بطلانها، ويعالج المشاكل التى نبتت فى العصور الحديثة وبين حكم الدين فيها، وأن يعنى بالتقويم الخلقى ومحاربة البدع والضلالات، والرد على ما أثاره خصوم الإسلام من شبه تتناول أصوله وفروعه، وأن يعد أبناءه للاضطلاع بوظائف الدولة، وتولى شئون القضاء والتدريس على النظم الحديثة.

وقد وضع رحمه الله نظامًا لإصلاح المحاكم الشرعية، ومشروعًا لإصلاح الأزهر فى النواحى الإدارية والعلمية، وأراد أن يجدد فى منهج التدريس بطريقة عملية بارعة حببت إلى الناس طلب العلم، وغشى حلقته كثير من الأزهريين وغيرهم، كما درس التفسير والمنطق والحكمة والفلسفة وعلم الكلام بأسلوب بليغ وعبارات جزلة فياضة. وقوة فى الدليل والترجيح بين الآراء، ونفى ما يثبت بطلانه وعدم جدواه.

وقد ثار بعض المتزمتين من الأزهريين والمتصوفة على الشيخ ورموه بالإلحاد والزندقة، والخروج عما تواضع عليه العلماء والمؤلفون. وأقاموا من حوله سياجًا من الشك والشبهات، ولجوا فى معارضته والطعن عليه، وهو صابر محتسب، يقابل أذاهم بالتسامح، ومعارضتهم بالحجج الدامغة والبراهين الواضحة. وإلى هذا يشير حافظ إبراهيم فى رثاءه للإمام إذ يقول:

وأذوك فى دين الإله وأنكروا ... مكانك حتى سودوا الصفحات

رأيت الأذى فى جانب الله لذة ... ورحت ولم تهمم لهم بشكاة

لقد كنت فيهم كوكبًا فى غياهب ... ومعرفة فى أنفس نكرات

أبنت لنا التنزيل حكمًا وحكمة ... وفرقت بين النور والظلمات

ووفقت بين الدين والعلم والحجا ... فأطلعت نوراً فى ثلاث جهات

وقفت لهانوتو ورينان وقفة ... أمدك فيها الروح بالنفحات

وإنما كان غضب بعض الأزهريين عليه لأنه كشف عن جهلهم وعجزهم عن أداء رسالة الدين والعلم -كما كان غضب الصوفية عليه لأنه سفّه طرقهم وأوضح دجلهم وتضليلهم لعقول الناس، حتى أحالوا الدين إلى خرافات وأوهام لا تتصل به من قريب أو بعيد.

ويعد الأستاذ الإمام مجدد الأدب النثرى فى العصر الحديث. ومحرره من القيود التى أثقلته وجنت عليه فى العصور الوسطى. جدد الشيخ فى أسلوب النثر، وفى معانيه وموضوعاته، وامتازت كتاباته بالوضوح وحسن الترتيب وسلامة التراكيب، والبراءة من الغريب والحشو والتوعر.

والمتأمل فى أدبه يراه قد تنقل فى أطوار عدة، فقد كان أول أمره يميل إلى السجع والتكلف والصنعة، وبعض المحسنات البديعية والمصطلحات العلمية. ويستعمل ألفاظًا دخيلة من اللغات الأوروبية أو التركية، ثم أخذ يتحلل من قيود الصنعة شيئًا فشيئًا بعد تضلعه فى الأدب العربى، والإكثار من قراءة الكتب القديمة، ثم سما وعذب ورق بعد دراسته اللغة الفرنسية والآداب الأوروبية الحديثة -وقد شاعت طريقته بين المتأدبين فى هذا العصر فترسموا خطاه وساروا على نهجه.

مؤلفاته العلمية والأدبية:

لم تدع الأحداث السياسية والحركات الإصلاحية لدى الأستاذ الإمام متسعًا من الوقت للإنتاج والتأليف، ولكنه استرق من وقته فترات ألف فيها رسالة التوحيد وتفسير جزء عم، الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، وشرح نهج البلاغة، ومقامات البديع، وهو فى جميع هذه الكتب محقق، واسع الأفق، عميق الفكرة، واضح الحجة، فخم العبارة، قوى الأسلوب.

ولم يعن الإمام بفرض الشعر مع كثرة حفظه له، واستشهاده به، ولم يسمع عنه سوى أبيات نسبت إليه، وزعم بعض المتصلين به أنه قالها وهو يستقبل الموت، وهى:

ولست أبالى أن يقال محمد	أبلّ أو اكتظت عليه المآتم
ولكن دينًا قد أردت صلاحه	أحاذر أن تقضى عليه العمائم

فيا رب إن قدرت رجعى قريبة إلى عالم الأرواح وانفض خاتم

فبارك على الإسلام وارزقه مرشداً رشيداً يضىء النهج والليل قاتم

وإنما كانت عنايته منصرفة إلى النثر فى جميع فنونه وأغراضه، وهذه نماذج منه:

١- كتب فى رسالة إخوانية إلى بعض أصدقائه، وفيها سجع متخير مقبول، قال:

تناولت كتابك ولم يذكر منى ناسبًا، ولم ينبه لذكرك لاهيًا، فإنى من يوم عرفتك لم يغب عنى مثالك ولا تزال تتمثل لى خلالك، ولو كشف لك من نفسك ما كشف لنا منها لفتنت بها، ولحق لك أن تتيه على الناس أجمعين، ولكن ستر الله عنك منها خير ما أودع لك فيها لتزينها بالتواضع، وتجملها بالوداعة، ولتسعى إلى ما لم يبلغه ساع، فتكون قدوة فى علو الهمة، وبذل ما يعز على النفس من نفع الأمة، زادك الله من نعمه، وأوسع لك من فضله وكرمه، ومتعنى بصدق ولائك، وجعلك لى عونًا على الحق الذى أدعو إليه، ولا أحيا إلا به وله. والسلام.

٢- وكتب إلى حافظ إبراهيم حين أهداه كتاب «البؤساء»، ومعه رسالة تقدير وإطراء، فقال:

لو كان لى أن أشكرك لفن بالغت فى تحسينه، أو أحمدك لرأى لك فينا أبدعت فى تزيينه، لكان لقلمى مطمع أن يدنو من الوفاء بما يوجبه حقك، ويجرى فى الشكر إلى الغاية كما يطلبه فضلك، لكنك لم تقف بعرفك عندنا، بل عممت من حولنا، وسطته على القريب والبعيد من أبناء لغتنا.

رفقت إلى العربية عذراء من بنات الحكمة الغربية، سحرت قومها، وملكت فيهم يومها، ولا تزال تنبه منهم خامدًا، وتهز فيهم جامدًا، بل لا تنفك تحيى من قلوبهم ما أماتته القسوة، وتقوم من نفوسهم ما أعذرت فيه الأسوة، كلمة أفاضها الله على رجل منهم فهدى إلى التقاطها رجلا ما، فجردها من ثوبها الغريب، وكساها حلة من نسج الأديب، وجلاها للناظر، وجلاها للطالب، بعدما أصلح من خلقها، وزان من معارفها، حتى ظهرت محببة للقلوب، رشيقة فى مؤانسة البصائر، تهش للفهم، وتبش للطف الذوق، وتسابق الفكر

إلى مواطن العلم، فلا يكاد يلحظها الوهم إلا وهى من النفس فى مكان الإلهام، فما أعجز قلمى عن الشكر لك، وما أحقك بأن ترضى من الوفاء باللقاء.

٣- وكتب إلى أحد أصحابه وهو فى السجن كتابًا يفيض بالألم، استهله بقول الشاعر:

تقلدتنى الليالى وهى مدبرة كأننى صارم فى كف منهزم

ثم قال بعد قليل:

رأيت نفس اليوم فى مهمة لا يأتى البصر على أطرافه، فى ليلة داجية غطى فيها وجه السماء بغمام سوء، فتكاثف ركامًا ركامًا، لا أرى إنسانًا، ولا أسمع ناطقًا، ولا أتوهم مجيبًا، أسمع ذئابًا تعوى، وسباعًا تزأر، وكلابًا تنبح، كلها يطلب فريسة واحدة، هى ذات الكاتب، ذهب ذوو السلطان فى بحور الحوادث الماضية يغوضون لطلب أصداف من الشبه، ومقذوفات من التهم، وسواقط من اللمم، ليموهوها بمياه السفسطة، ويغشوها بأغشية من معادن القوة، ليبرزها فى معرض السطوة، ويغشوا بها أعين الناظرين.

وقال فى آخره:

آه ما أطيب هذا القلب الذى يملى هذه الأحرف، ما أشد خطبه للولاء، وما أغيره على حقوق الأولياء، وما أثبته على الوفاء، هذا القلب الذى يؤلمونه بأكاذيبهم، هو الذى سر قلوبهم بالترقية، وملأها فرحًا بالتقدم.

٤- ومن رسالة له إلى بعض علماء الشام حين هنأه بمنصب الإفتاء، قال:

أما قومى فأبعدهم عنى أشدهم قربًا منى، وما أبعد الإنصاف منهم، يظنون بى الظنون، بل يتربصون بى ريب المنون، تسرعًا منهم فى الأحكام، وذهابًا مع الأوهام، وولعًا بكثرة الكلام، وتلذذًا بلوك الملام، أدعو فلا يستجيبون، وأعمل فلا يهتدون، وأريهم مصالحهم فلا يبصرون، وأضع أيديهم عليها فلا يحسون بل يفرون إلى حيث يهلكون، شأنهم الصياح والعويل، والصخب والتهويل، حتى إذا جاء حين العمل صدق فيهم قول القائل:

لكن قومى وإن كانوا ذوى عدد ليسوا من الشر فى شىء وإن هانا

وأقول: ولا فى الخير.

وإنما مثلى فيهم مثل أخ جهله، أو أب عقته ذريته، أو ابن لم يحن عليه أبواه وعمومته، مع حاجة الجميع إليه، وقيام عمدهم عليه، يهدمون منافعهم بإيذائه، ولو شاءوا لاستبقوا باستبقائه، وهو يسعى ويدأب، ليطعم من يلهو ويلعب، على أنى أحمد الله على الصبر، وسعة الصدر، إذا ضاق الأمر، وقوة العزم، وثبات الحلم، إذا اشتد الظلم، وإن كنت فى خوف من حلول الأجل، قبل بلوغ الأمل... الخ.

٥- ومن أمثلة كتابته العلمية قوله فى أحد فصول رسالة التوحيد:

جاء القرآن فنهج بالدين منهجًا لم يكن عليه ما سبقه من الكتب المقدسة، منهجًا يمكن لأهل الزمن الذى أنزل فيه ولمن يأتى بعدهم أن يقوموا عليه، فلم يقصر الاستدلال على نبوة النبى ﷺ بما عهد الاستدلال به على النبوات السابقة، بل جعل الدليل فى حال النبى مع نزول الكتاب عليه فى شأن من البلاغة يعجز البلغاء عن محاكاته، ولو فى مثل أقصر سورة منه، وقص علينا من صفات الله ما أذن الله لنا، أو ما أوجب علينا أن نعلم، لكن لم يطلب التسليم به لمجرد أنه جاء بحكايته، ولكنه أقام الدعوى وبرهن، وحكى مذاهب المخالفين وكر عليها بالحجة، وخاطب العقل، واستنهض الفكر، وعرض نظام الأكوان وما فيها من الإحكام والإتقان على أنظار العقول، وطالبها بالإمعان فيها لتصل إلى اليقين بصحة ما ادعاه ودعا إليه، حتى أنه فى سياق قصص أحوال السابقين. كان يقرر أن للخلق سنة لا تغير، وقاعدة لا تتبدل فقال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ [الفتح: ٢٣] وصرح سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠].

واعتضد بالدليل فى باب الأدب فقال ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]، وتآخى العقل والدين لأول مرة فى

كتاب مقدس على لسان نبى مرسل بتصريح لا يقبل التأويل، وتقرر بين المسلمين كافة -إلا من لاثقة بعقله ولا بدينه- أن من قضايا الدين ما لا يمكن الاعتقاد به إلا من طريق العقل كالعلم بوجود الله وبقدرته على إرسال الرسل، وعلمه بما يوحى به إليهم، وإرادته لاختصاصهم برسالته، وما يتبع ذلك مما يتوقف عليه فهم معنى الرسالة، وكالتصديق بالرسالة نفسها، كما أجمعوا على أن الدين إن جاء بشىء قد يعلو على الفهم فلا يمكن أن يأتى بما يستحيل عند العقل.

دفاع الشيخ عن الإسلام، وتفنيد مزاعم المبشرين:

شمر الشيخ عن ساعد الجد، وانبرى للمبشرين المسيحيين الذين تناولوا الإسلام بالطعن والتجريح، وسفهوا عقائد المسلمين، وحاولوا النيل من الرسول وصحبه، وشوهوا تعاليمه ومبادئه، ومن ورائهم جمعيات مزودة بالمال والمطابع والصحف، كى يزعزعوا يقين المسلمين فى دينهم، ويصدوا عنه من أراد الدخول فيه من غير أهله -انبرى الشيخ لهؤلاء جميعا ومن بينهم رينان وهانوتو وأضرابهما، وأخذ يفند مزاعمهم، ويبطل حججهم ويبين أكاذيبهم وخدعهم، حتى صرعهم وفضحهم فى المجال الدولى، وعرف العالم الإسلام على حقيقته، وقال بعض فلاسفتهم: **(إذا كان الإسلام كما يقول الشيخ محمد عبده فأحرى بنا جميعا أن ندخل فيه، ونستظل برايته).**

كتب رحمة الله حين سخر هانوتو من تشريع الحج عند المسلمين، وكتب بعض الكاتبين مقالة يرد بها عليه ورأى الأستاذ الإمام أنها تحتاج إلى دعم وتوضيح فكتب يقول:

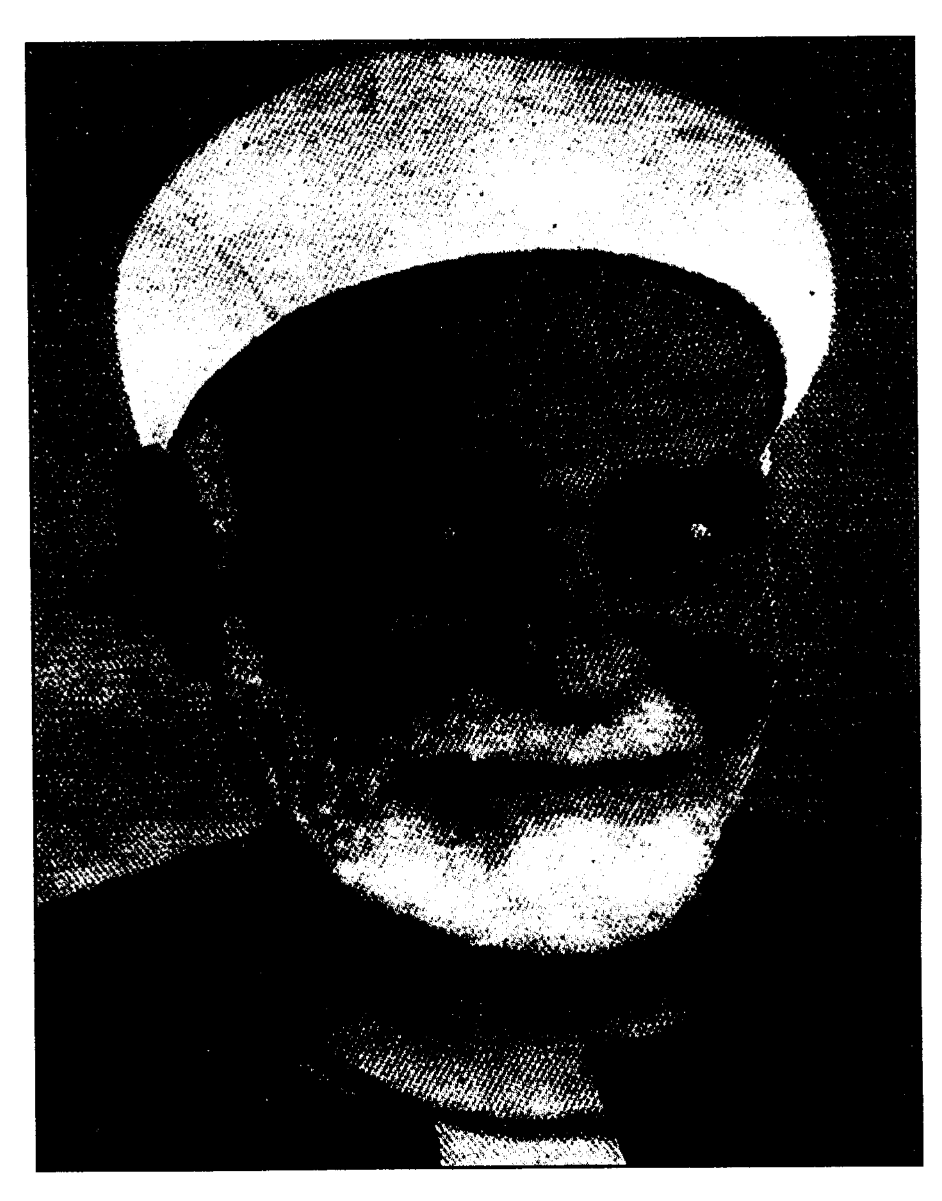
يكتب بعض أرباب الأقلام من المسلمين فى حكمة الحج، ويقول: إنه صلة بين المسلمين فى جميع أقطار الأرض، ومن أفضل الوسائل للتعاون بينهم، فعليهم أن يستفيدوا منه وهو كلام حق، لكن لا ينبغى أن يفهم على غير وجهه، فإن الغرض منه أن يذكر المسلمون ما بينهم من جامعة الدين، حتى يستعين بعضهم ببعض على إصلاح ما فسد من عقائدهم، أو أضل من أعمالهم، وفى مدافعة ما ينزل بهم من قحط أو ظلم أو بلاء، وهو معهود عند جميع الأمم التى تدين بدين واحد، خصوصًا عند الأوربيين.

وكتب إلى الفيلسوف تولستوى حين حرمته الكنيسة لدعوته إلى التوحيد:

أيها الحكيم، لم نحظ بمعرفة شخصك، ولكنا لم نحرم التعارف مع روحك، لقد سطع علينا نور من أفكارك، وأشرقت فى أفقنا شموس من آرائك، ألفت بين نفوس العقلاء ونفسك، ونظرت نظرة فى الدين مزقت حجب التقاليد، ووصلت بها إلى حقيقة التوحيد، ورفعت صوتك تدعو الناس إلى ما هداك إليه الله.

وحقا لقد كان الشيخ محمد عبده عالمًا فذًا، ومصلحًا قديرًا، ومجاهدًا إسلاميًا عظيمًا، وقد عاش مسلمًا صادقًا، ومات وهو فى صفوف المجاهدين المؤمنين -وقد توفى رحمه الله فى عام ١٣٢٣هـ، ١٩٠٥م ولا يزال المصلحون يترسمون خطاه إلى اليوم.

❁❁❁



الشيخ الإمام مصطفى عبد الرازق

الشيخ مصطفى عبد الرازق
١٨٨٥ - ١٥ فبراير ١٩٤٧[١]

ولد رحمه الله عام ١٣٠٤هـ- ١٨٨٥م بأبى جرج من أعمال مديرية المنيا، وهو الابن الثانى من أولاد المرحوم حسن عبد الرازق (باشا)، وبعد أن أتم تعليمه الأولى حفظ القرآن الكريم وجوّده، ثم التحق لطلب العلم بالأزهر الشريف، وتخرج فى سنة ١٩٠٦، وحصل على شهادة العالمية من الدرجة الأولى بين زملائه الشافعية، وعين للتدريس فى مدرسة القضاء الشرعى، وفى سنة ١٩٠٩ سافر إلى فرنسا والتحق بجامعة السربون ليضم إلى ثقافة الشرق ثقافة الغرب، وندبه مسيو لابيير لتدريس بعض المباحث الإسلامية بجامعة ليون، ثم عاد من فرنسا فى أوائل الحرب الكبرى، وعين سكرتيراً لمجلس الأزهر، وكان ذلك فى سنة ١٩١٦، وفى سنة ١٩٢١ عين مفتشًا فى المحاكم الشرعية، ثم عين سنة ١٩٢٧ أستاذ للفلسفة بكلية الآداب بجامعة القاهرة، وظل فى كرسى الأستاذية، حتى اختير فى سنة ١٩٣٨ وزيراً للأوقاف فى وزارة محمد محمود (باشا) الثانية، اختير عدة مرات فى وزارات مختلفة لتولى هذا المنصب، حتى انتقل المغفور له الشيخ المراغى شيخ الأزهر إلى جوار ربه، فاختير لهذا المنصب وهو وزير للأوقاف، وصدر الأمر بتعيينه شيخًا للأزهر فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٤٥، واختير أميرًا للحج فى العام الذى توفى فيه، فكان خير مبعوث لمصر بين أبناء البلاد الإسلامية عند البيت الحرام، وتوفى فى ١٥ فبراير سنة ١٩٤٧، ويقول عنه محمد فريد وجدى:

«كان الأستاذ الأكبر بشخصيته الممتازة، وسعة أفقه الثقافى، خير من يدرك آثار هذا العهد فى حياة الأمم، وأصلح من يوكل إليه أمر التوفيق بينهما لمصلحة الدين والدنيا معًا، فلا غرو إن ساور الهلع كل نفس تنتظر عهد الاستقرار والهدوء والتقدم، لم أر فيمن قابلت من القادة والأعلين أكرم خلقًا فى غير استكانة، ولا أهدأ نفسًا فى غير وهن، ولا أكثر بشاشة فى غير رخوة، من الشيخ مصطفى عبد الرازق، وكل ذلك إلى حزم لا يعتوره لوث، واحتياط لا يشوبه تنطع، وأناة لا

(١) هذه إضافات لما سبق حرصًا على أمانة التحقيق أن يبقى الأصل دون تغيير.

يفسدها فتور، وإدمان على العمل ينسى معها نفسه، وهى صفات كبار القادة، وعليه المصلحين، ممن خلقوا لمعالجة الشئون المعقدة، وحسم المنازعات الشائكة، والتوفيق بين المطالب المتنافرة، وهذه مواقف كما تقتضى مضاء العزيمة، تحتاج إلى هوادة الأناة، وكما تستدعى سرعة البت، لا بد لها من القدرة على إزالة الحوائل، وقديمًا قالوا: رب عجلة أورثت ريثًا، ورب إقدام جر إلى نكوص، فكان بما حباه بارئه من هذه المواهب النادرة، كفاء المهمة التى وفق المسئولون فى إسنادها إليه، وكنت لا أشك فى أنه بما جبل عليه من حب الإصلاح، وما اتصف به من الصفات التى سردناها آنفًا، سيصل إلى حل مشكلة الأزهر حلا حاسمًا، يعيش تحت نظامه امنًا شر العوادى، وفى منجاة من عوامل القلق والاضطراب، ذلك أنه بما تضلع من إلمام بنظم الجامعات، وما حصل من علم بمقوماتها وحاجاتها، لتمضيته فى صميمها سنين طوالاً من حياته طالبًا ومدرسًا، يعرف من أسرار حياتها وبقائها وبواعث عللها وأغراضها، ما لا يعلمه إلا الأقلون، والأزهر لا يخرج عن جامعة قديمة فى دور انتقال، تتفاعل لتتناسب والعهد الذى تعيش فيه، فهى فى حاجة إلى أن تحصل على المقومات التى تؤاتيها بهذا التناسب، وهو لا ينحصر فى زيادة ميزانيتها، ولا فى تهذيب برامج دراستها، ولكنه يتعداهما إلى ما هو إيجاد المجال الحيوى لخريجها، وهو أمر لا يستطاع حله إلا بعد تمهيد الطريق إليه، ورفع العقبات دونه. والشيخ الراحل لما اتصف به فى بعد النظر، وتخير الظروف، كان أجدر الناس بإصابة هذا الغرض البعيد، ولكن الله أثر له الدار الآخرة، فكان ما أراد، وترك الأمر لمن يخلفه، ولله فى ذلك حكمة، وهو يتولى الصالحين.

ومما هو جدير بالذكر أن جميع مدرسى الفلسفة فى عهدنا الحاضر بجامعتى القاهرة والإسكندرية من تلاميذه، لم تنقطع صلتهم به، وقد أسندت إليه وزارة الأوقاف مرتين، ولما توفى الأستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغى، وعز وجود من يملأ مكانه، أسندت المشيخة إليه فى ٢٧ من ديسمبر سنة ١٩٤٥، ومن مؤلفاته العديدة.

١- ترجمة فرنسية لرسالة التوحيد تأليف الشيخ محمد عبده، وضعها بالاشتراك مع الأستاذ ميشيل، وحلاها هو بمقدمة طويلة.

٢- رسائل صغيرة بالفرنسية عن المرحوم الأثرى الكبير بهجت بك، وعن معنى الإسلام ومعنى الدين فى الإسلام.

٣- كتاب التمهيد لتاريخ الفلسفة.

٤- فيلسوف العرب والمعلم الثانى.

٥- الدين والوحى فى الإسلام.

٦- الإمام الشافعى.

٧- الإمام محمد عبده، وهو مجموعة محاضرات ألقيت فى الجامعة الشعبية سنة ١٩١٩، وكلها مؤلفات تعتبر غاية فى الإفادة.

وله كتب لم تنشر، منها: مؤلف كبير فى المنطق، وكتاب فى التصوف، وفصول فى الأدب تقع فى مجلدين كبيرين، وكان رئيسًا لمجلس إدارة الجمعية الخيرية، التى كان والده من مؤسسيها، وكان عضواً فى مجمع اللغة العربية، والمجمع العالمى المصرى.

وفى ٢٧ مارس عام ١٩٤٧ أقيمت حفلة لتأبينه فى جامعة القاهرة، ألقى فيها لطفى السيد، وعبد العزيز فهمى، والدكتور حسين هيكل، ومنصور فهمى، وإبراهيم دسوقى أباظة، وطه حسين، وأمين الخولى، والعقاد وغيرهم كلمات وقصائد فى الإشادة بمناقبه.

ومن كلمات الشيخ كلمة ألقاها بمناسبة اختياره رئيسًا فخريًا لجمعيات المحافظة على القرآن الكريم بعد وفاة الشيخ المراغى، قال فيها: القرآن مصقلة القلوب كما ورد فى الحديث، وما أحوج قلوبنا إلى ما يصقلها، ويجلو منها الصدأ، والقرآن من بعد هذا ثقاف للألسن، يقوم عوجها، ويصلح عجمتها، ويغذى من البلاغة مادتها، فمن عملى على تنشئة أطفالنا على حفظ القرآن وترتيله ومدارسته، فإنما يصلح القلوب، ويقوم الأخلاق، ويخدم العربية، وما أشرف ذلك مقصداً وأعظمه نفعًا! ويتقاضانا الوفاء بمناسبة أول احتفال سنوى بعد وفاة الرئيس الفخرى السابق رضى الله عنه أن نذكر مآثره الباقيات فى خدمة القرآن الكريم: كان رحمه الله مسلمًا صادقًا، وكان يحب القرآن حبًا جمًا، وقد عنى فى أكثر دروسه الدينية بالتفسير فى أسلوب يلائم جلال كتاب الله، ويوطد أسباب فهمه لأذواق الأجيال الحاضرة، كما كان يصنع من قبل أستاذنا الإمام «الشيخ محمد

عبده»، ووجه الأزهر إلى العناية بالدراسات العالمية لعلوم القرآن، وقد أنشأ معهد القراءات والتجويد، والمرجو أن يتابع الأزهر السير فى هذه السبيل، فيقوى معهد القراءات ويكمله، وينشىء إلى جانبه دراسات عالية للحديث وعلومه، حتى يستوفى الأزهر جميع الوسائل التى تعده لأن يكون كعبة المسلمين فى كل ما يتصل بالقرآن والحديث. . . وفى مجلة الأزهر دراسة عن الشيخ مصطفى عبد الرازق الشاعر[١].

❁❁❁

---

(١) عدد شعبان ١٣٧٠.

أزهري يرد على إسماعيل باشا

نشبت الحرب بين مصر والحبشة فى عصر الخديو إسماعيل.. وعلى غير ما كان يتوقع الخديو توالت الهزائم على مصر وتواردت الأخبار كل يوم من ميادين المعارك تحمل إليه مزيدًا من الأسى واليأس.. والخلاف والخلاف الذى يدب بين قواده!!

وضاق صدر الخديو يومًا بما يتلقاه من أنباء سيئة فاستدعى شريف باشا وركب معه محاولا أن يرفه عن نفسه.. وفجأة التفت الخديو إلى شريف باشا وقال له:

- ماذا تصنع حينما تلم بك ملمة تريد أن تدفعها؟!

قال شريف باشا:

- يا أفندينا إن الله عودنى إذا حاق بى شىء من هذا أن ألجأ إلى صحيح البخارى يقرأه لى علماء أطهار الأنفاس فيفرج الله عنى!

انزاح الهم عن صدر الخديو واتسعت الابتسامة على وجهه.. فإذا كان الأمر كما يقول شريف باشا فبمقدوره أن يحول الهزائم إلى انتصارت دون أن يكلف خزانته شيئًا!!

عاد الخديو إلى قصره وأرسل فى استدعاء الشيخ العروسى شيخ الأزهر وقتئذ وطلب منه أن يجمع له جمعًا من العلماء الصالحين ليقوموا بتلاوة البخارى إمام القبلة القديمة فى الجامع الأزهر بنية دفع الهزيمة عن مصر!

نفذ الشيخ العروسى أمر الخديو وجلس جمع العلماء، المختارين بعناية.. أمام القبلة يتلون البخارى آناء الليل والنهار، ولكن دون جدوى.. فالهزائم لم تتوقف ساعة واحدة.. وأخبارها تتوالى دون انقطاع!!

واستبد الغضب بالخديو فصحب شريف باشا إلى العلماء.. وقال لهم.

- إما أن هذا الذى تقرأونه ليس صحيح البخارى، أو أنكم لستم العلماء الذين نعهدهم من رجال السلف الصالح فإن الله لم يدفع بكم ولا بتلاوتكم شيئًا؟!

وجميع العلماء لم يجد أحدهم جوابًا.. ووسط الصمت الرهيب الذى ساد المكان ارتفع صوت شيخ من آخر الصف موجهًا حديثه للخديو.

- منك يا إسماعيل.. فإنا روينا عن النبى ﷺ أنه قال: **«لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم»!**

ركب الفزع وجوه المشايخ لهذه الجرأة من صاحبهم وتوقعوا عقابًا صارمًا يشملهم جميعًا.. إلا أن الخديو لم ينبس بكلمة وسارع بالانصراف هو وشريف باشا!

التف العلماء حول صاحبهم وأخذوا فى تأنيبه ولومه.. وبينما هم كذلك أقبل شريف باشا يسأل عن الشيخ الذى رد على الخديو.. ثم صحبه معه وزملاؤه يودعونه وداع الذاهب إلى حتفه.

دخل شريف باشا ومعه الشيخ على الخديو فى قصره فطلب من الشيخ أن يجلس على كرسى بجواره وقال له: أعد يا أستاذ ما قلته لى فى الأزهر، فأعاد العالم قوله وشرح للخديو حديث الرسول الكريم.. فقال الخديو:

- وماذا صنعنا حتى ينزل بنا هذا البلاء؟

قال الشيخ:

- يا أفندينا أليست المحاكم المختلطة قد فتحت بقانون يبيح الربا؟ أليس الفجور برخصة، أليس الخمر مباحة.

وأخذ يعدد للخديو أنواع المنكرات التى تجرى دون أن ينكرها أحد.. ثم قال: فكيف تنتظر النصر من السماء؟!

قال الخديو:

- وماذا نصنع وقد عاشرنا الأجانب وهذه مدينتهم؟!

- إذن فما ذنب البخارى وما حيلة العلماء؟!

قال الشيخ:

سكت الخديو وأطرق طويلاً.. ثم قال له:

- صدقت.. صـدقت.. عاد الشـيخ إلى زملائه بعـد أن يئسوا من لـقائه فى الدنيا، وقد رتب له الخديو مبلغًا كبيرًا يتقاضاه كل شهر!!!

وانتهت قصة الشيخ الذى حقق قول رسول الله: «لا يمنعن رجلاً هيبة الناس أن يقول الحق إذا علمه».

أما التاريخ فلم ينته.. إنه ماض فى طريقه يضع بصمته على مصير الشعوب!!

❁❁❁

مفتي.. قبرص!

عاش طالبًا فى الأزهر منذ سنوات وعاد هذا الشهر إلى القاهرة يحمل لقب مفتى قبرص.. خامس مفتى للأتراك رشح لمنصبه بالانتخاب فى الجزيرة الاستراتيجية فى البحر الأبيض المتوسط.. عاد يحمل لقب دكتور فى الشريعة الإسلامية من جامعة أنقرة.. دكتور مصطفى رفعت ٤٣ سنة، أحد الوجوه التى اشترك لأول مرة فى القاهرة فى المؤتمر السابع لمجمع البحوث الإسلامية فى الأزهر.

«بدأ التاريخ الإسلامى فى قبرص أيام الخليفة عثمان بن عفان عندما أرسل معاوية إلى الشام فى حملة استولت على جزيرة قبرص عام ٢٨هـ. وكانت الحملة تضم السيدة أم حرم بنت ملحان خالة النبى فى الرضاعة والتى كان النبى يجلها كثيرًا ويعتبرها كأمه وكممرضة أولى فى الإسلام كما جاء فى الحديث النبوى الشريف وعندما تقدم الجيش الإسلامى الذى فتح الجزيرة من سواحلها الجنوبية سقطت بنت ملحان من فوق فرسها وماتت على الفور ودفنت فى المكان الذى توفيت فيه وأصبح ضريحها هذا منذ ذلك التاريخ البعيد مكانًا مقدسًا يحج إليه المسلمين ويتبركون به ثم جلب معاوية إلى الجزيرة ١٢ ألفًا من المسلمين وأسكنهم فيها وأنشأ مدنًا إسلامية مختلفة فى الجزيرة وبعد الأمويين جاء العباسيون والفاطميون والأيوبيون إلى أن جاءت دولة المماليك حيث فتحوا الجزيرة وأسروا ملكها وأخذوه معهم إلى مصر وبعد مدة أعادوه ملكًا على الجزيرة عندما تأكدوا من إخلاصه لهم وأصبح كل الملوك الذين حكموا بعده تابعين لأوامر المماليك فى مصر حتى عام ٥٧١ عندما استولى العثمانيون على قبرص وبقيت تحت حكمهم وإدارتهم أكثر من ثلاثة قرون».

وجميع الأتراك مسلمون فى الجزيرة على مذهب السنية ويقيمون جميع شعائر الإسلام بل إن ركعات صلاتهم كثيرة فهى تضم الفروض والسنن المؤكدة والسنن غير المؤكدة فمثلا ركعات صلاة الجمعة ١٦ ركعة.

وأسماؤهم محمد وأحمد وإبراهيم ومصطفى وعائشة وأم كلثوم وفاطمة.

أكبر التزامات الأسرة التى تنجب أنثى أن تدخر مـن أجلها الكثير لتقدم بها عند زواجها منزلاً مـستقلاً وعربـة لتنقلاتها مع زوجها.. والطفـل يبدأ صلاته فى سن الخامسة وصيام رمضان فى السابعة.. المرأة غير محجبة لكنها لا تذهب إلى الجامع بل تصلى فى بيتها.. صلواتهم ودعاؤهم باللغة العربـية الفصحى وتحيتهم «السلام عليكم».



مسيرة الألف عام
مجلة الإذاعة المصرية ١٩٧٢/١١/٢٥

كل مسيرة تبدأ بخطوة.. كذلك بدأت رحلة الألف عام من ١٤ رمضان سنة ٣٥٩ هجرية.. عندما بدأ القائد جوهر الصقلى -بعد التمكين للفاطميين فى مصر- من بناء الجامع الأزهر.

وهذه الألف سنة، ليست عمر.. المآذن والصحن والقباب فحسب، ولكنها عمر مصر أيضًا، بكل ما تمثله من ريادة فى مختلف نواحى الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية، وكمركز إشعاع يفيض بنوره الذى يصل إلى أركان الدنيا، فقد امتزج تاريخ الأزهر امتزاجًا عضويًا بتاريخ «الشعب المصرى» على توالى الحقب والقرون، بحيث يصعب الفصل بينهما.

وشمخ الأزهر طوال حياته المديدة والعامرة.. بوصفه أقدم وأعظم جامعة فى دنيا الإسلام، وكان أعنى المتاريس التى تصدت لكل احتلال طمع فى مصر، ومعقلاً من أهم معاقل القومية العربية، ثم ها هو يستجيب لدواعى التطور وأسبابه فيصبح جامعة عصرية.. تضم حنباته مختلف الكليات العلمية، وتستوعب مدرجاته طلابًا من ٦٥ دولة إسلامية.

ولم يكن دور الأزهر، مقصوراً منذ البداية، على إقامة الشعائر فقط، بل كان مدرسة لعلوم الدين والفقه.. وارتبط فى أذهان العالم الإسلامى كجامعة إسلامية.. حملت لواء الفكر الإسلامى والإنسانى، ومشعلا من المشاعل التى أضاءت للبشرية طريقها على امتداد القرون، ولمع فى صحنه وأروقته.. كثير من الأسماء الخالدة.. التى أعطت وألهمت وغذت مسيرة الإسلام.. مثل «ابن الفارض».. و«ابن خلكان» و«البوصيرى»، و«ابن دقمان» المؤرخ المصريم، و«المقريزى» صاحب الخطط و«السيوفى» وله ٥٠٠ مؤلف من بينها تاريخ الخلفاء، و«ابن إياس» المؤرخ المصرى وتألق بجانب هؤلاء.. مفكرون جاءوا إلى مصر ليتلقوا العلم فى الأزهر... مثل «ابن خلدون».. و«ابن بطوطة» و«الجبرتى».

ولا شك أن الفكر المصرى والإسلامى.. يدين بالكثير للأزهر الذى تخرج فيه «ابن الهثيم» العالم الذى يشيد بفضله الأوروبيون خصوصا فى الطبيعة وطب العيون. و«الشعرانى» إمام المتصوفة فى مصر، ومؤرخ!... «رفاعة الطهطاوى» مؤسس الفكر المصرى الحديث.. خصوصًا فى الترجمة والصحافة. و«الشيخ محمد عبده» و«عبد الله النديم» و«أحمد عرابى» زعيم الثورة العرابية.. و«سعد زغلول» قائد ثورة ١٩١٩. و«الدكتور طه حسين».. عميد الأدب العربى.. و.. و...

❀❀❀

وفى رسالة الدكتوراه عن دور الأزهر فى الحياة المصرية أثناء الحملة الفرنسية التى كتبها د. مصطفى رمضان

أبرز الباحث حركة علماء الأزهر قبل الحملة فى مجالين: المعارضة الدستورية فى الديوان العثمانى، مما يدل على أن علماء الأزهر شاركوا فى قضايا المجتمع، وقيادة علماء الأزهر للحركات الشعبية الثورية ضد الحكام الظالمين من العثمانيين والمماليك، وبذلك نظموا كفاح الشعب المصرى قبل مجىء الحملة الفرنسية..

وأبرزت الرسالة شخصية الأزهر أثناء الحملة الفرنسية، وبروز الزعامة الشعبية فى مجال الدفاع الداخلى، واستشهاد عدد كبير من زعماء الأزهر.

وقد دبرت خطة لاغتيال كليبر قائد الحملة الفرنسية وكان المنفذ سليمان الحلبى، وهو من أبناء حلب بالشام.

وتتضمن الرسالة عدة نقاط أهمها:

إبراز دور الأزهر بعد الحملة الفرنسية حيث عاشت مصر فى ظل عهد من الفوضى السياسية والاجتماعية وتعددت مراكز القوى فى البلاد وحمل الأزهر لواء المعارضة وإظهار الكيان المصرى مهما كان الثمن.

حارب الأزهر الابتزاز التركى للشعب.

- عارض علماء الأزهر سياسة المماليك فى استغلال الشعب، وتزعموا حركة لطردهم من القاهرة سنة ١٨٠٤.

- عندما جاء «خورشيد» إلى الحكم، يدفعه جشع شديد لابتزاز الأموال، نظم الأزهر حركة ثورية بقيادة «عمر مكرم»، وحاصرت خورشيد بالقلعة ١٨٠٥، وأجبرته على التخلى عن الحكم، وعينت «محمد على» واليًا على مصر، متوسمة فيه الحرص على مطالب الشعب.. ولكن «محمد على» خان مبادئ الشعب وزعماءه، ولعب دورًا فى تصفية الزعامة الشعبية، بعد أن استفاد بها فى المجالات الآتية:

- جمع الضرائب وخداع المماليك وعدم السماح لهم بدخول القاهرة.

- مقاومة الحملة الإنجليزية بقيادة فريزر عام ١٨٠٧.

حوار بين العلماء والوالى

فى عام ١٨٠٩ جاء إلى مصر تركى جديد هو «أحمد باشا» المعروف بكور وزيرًا وكان الوزير كما يقول الجبرتى من «أرباب الفضائل وله رغبة فى العلوم الرياضية. . . وقابله صدور العلماء فى ذلك الوقت وهم الشيخ عبد الله الشبراوى شيخ الجامع الأزهر، والشيخ سالم النفراوى والشيخ سليمان المنصورى، فتكلم معهم وناقشهم وباحثهم ثم تكلم معهم فى الرياضيات فأحجموا وقالوا: لا نعرف هذه العلوم فتعجب وسكت».

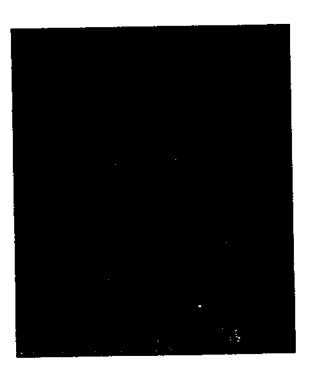
ويواصل الجبرتى رواية هذه الحادثة الهامة الطريفة معًا «فى الجزء الأول من عجائب الآثار ص ١٩٤، وقد نقل الدكتور حسين فوزى النجار هذه الفقرة عن الجبرتى فى كتابه عن رفاعة الطهطاوى ص٩». . يقول الجبرتى:

إن الشيخ الشبراوى دخل على الباشا فى يوم جمعة يحادثه كعادته فقال له الباشا: المسموع عندنا بالديار الرومية أن مصر منبع الفضائل والعلوم وكنت فى غاية الشوق إلى المجىء إليها، فلما جئتها وجدته كما قيل: تسمع بالمعيدى خير من أن تراه، فقال له الشيخ هى يا مولانا كما سمعتم معدن العلوم والمعارف: فقال وأين هى وأنتم أعظم علمائها وقد سألتكم عن مطلوبى من العلوم فلم أجد عندكم منها شيئًا، وغاية تحصيلكم الفقه والمعقول والوسائل ونبذتم المقاصد، فقال له: نحن لسنا أعظم علمائها وإنما نحن المتصدرون لخدمتهم وقضاء حوائجهم عند أرباب الدولة والحكام، وغالب أهل الأزهر لا يشتغلون بشىء من العلوم الرياضية إلا بقدر الحاجة الموصلة إلى علم الفرائض والمواريث كعلم الحساب والغبار فقال له: وعلم الوقت كذلك من العلوم الشرعية بل هو من شروط صحة العبادة كالعلم بدخول الوقت واستقبال القبلة وأوقات الصوم والأهلة وغير ذلك فقال: نعم معرفة ذلك من فروض الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين، وهذه العلوم تحتاج إلى لوازم وشروط وآلات وصناعات وأمور ذوقية كرقة الطبيعة وحسن الوضع والخط والرسم والتشكيل. . والأمور العطاردية، وأهل الأزهر بخلاف ذلك غالبهم

فقراء وأخلاط مجتمعة من القرى والآفاق فيندر فيهم القابلية لذلك، فقال: وأين البعض، فقال: موجودون فى بيوتهم يسعى إليهم، ثم أخبره عن الشيخ الوالد «يقصد أباه الشيخ حسن الجبرتى» وعرفه عنه وأطنب فى ذكره، فقال التمس منكم إرساله عندى، فقال يا مولانا إنه عظيم القدر وليس هو تحت أمرى فقال: وكيف الطريق إلى حضوره؟ قال: تكتبون له ارسالية مع بعض خواصكم فلا يسعه الامتناع ففعل ذلك، وطلع إليه ولبى دعوته وسر برؤياه واغتبط به كثيراً وكان يتردد عليه يومين فى الجمعة وهما السبت والأربعاء، وأدرك منه مأموله وواصله بالبر والإكرام الزائد».

ثم يقول الجبرتى بعد ذلك «وكان المرحوم الشيخ الشبراوى كلما تلاقى مع المرحوم الوالد يقول له: سترك الله كما سترتنا عند هذا الباشا فإنه لولا وجودك كنا جميعًا عنده حمير».

هذه هى القصة الواقعية التى يرويها الجبرتى عن مصر فى منتصف القرن الثامن عشر، فمصر آنذاك لم يكن فيها سوى عالم واحد استطاع باجتهاده الخاص أن يتعلم بعض أصول الرياضيات، أما بقية علماء مصر فلم يكونوا يعرفون أكثر من العلوم التى تدور حول اللغة والدين مثل الفقه والنحو وما إلى ذلك[١].



أ.د مصطفى رمضان رئيس قسم التاريخ
والحضارة الإسلامية فى كلية اللغة العربية

---

(١) ستأتى السيرة الذاتية لفضيلته فى كتاب الحركة العلمية فى الأزهر فى القرنين التاسع عشر والعشرين الجزء الرابع تحت الطبع.

الأزهر أكسفورد الشرق[1]

تذكرت الأزهر.. وأنا أطوف فى أرجاء «أوكسفورد».. صور الأساقفة ذكرتنى بشيوخ الأزهر الذين عاصروا الحملة الفرنسية، وسجنتهم الثورة الفرنسية فى القلعة، وانتهز فنان الجيش المناسبة، فخلدهم فى لوحات قبيل إعدامهم أو جلدهم أو تغريمهم.

المدينة حول الجامعة، يعيش فيها الطلاب والأساتذة، ذكرتنى بجو الأزهر فى عصور سالفة.. يوم كان قلب القاهرة النابض يعيش فيه العلماء فى منازل مستقلة، طابقها الأسفل مفتوح باستمرار للضيوف من العلماء أو الطلبة (المجاورين) يتجادلون ويتبادلون المعرفة والأحاجى..

القاعات والخزائن والردهات، وبقايا مساكن الطلبة فى القرون الماضية كلها منقولة عن أروقة الأزهر..

«فأوكسفورد» التى قامت بعد الأزهر بقرنين.. إنما أنشئت على نظام الأزهر ووفق تقاليده، بل وبكتب مترجمة عن مؤلفات علماء الأزهر، بعد أن عاد الصليبيون من الشرق، وقد تعلموا عادتين: الاستحمام والعلم... وحملوا أول ورقة كتابة إلى أوروبا من إنتاج مصانع الورق العربية!

فلم تكن «أوكسفورد» فى البداية، إلا مكانًا يلتقى فيه بعض العارفين، ببعض الراغبين فى المعرفة ثم تطورت إلى جامعة لعلوم اللاهوت، تنقسم إلى أروقة لكل رواق «ماستر» أو «شيخ الرواق»، كما كان الحال فى الأزهر، ويسكن فيها الطلبة الذين كان سنهم لا يزيد على ١٣ سنة عند الالتحاق.. وقد استمر نظام الأروقة حتى القرن الخامس عشر..

ولكن الكليات كانت قد ظهرت منذ أواسط القرن الـ١٣ بينما استمر نظام الأروقة فى الأزهر إلى القرن العشرين.

---

(١) جريدة النهضة الكويتية - عام ١٩٧٣م.

وكان لكل رواق شيخ.. يضم الرواق أبناء جهة واحدة، فهناك رواق للمغاربة ورواق للشوام، وآخر للصعايدة.. وكان لكل رواق جراية (أى راتب) خاصة، يوقفها عليه الأمراء والأغنياء، ونفس النظام فى «أوكسفورد»..

وكانت الجراية فى الأزهر تدفع خبزًا، وهى درجات: رغيفان للطالب المنتسب، والذى يتحقق انتسابه بحصوله على خزانة يضع فيها كتبه، وانتسابه إلى رواق ينام فيه، وجراية «أوتوزبير» (اسم مملوك) وهى أربعة أرغفة لا تعطى إلا لمن يجتاز امتحانًا خاصًا.. وجراية زينب هانم خمسة وعشرون رغيفًا.. وتعطى للعلماء.. وكانت هناك جرايات نقدية بعضها يصل إلى ثلاثمائة جنيه فى السنة، وأبطل الجراية الشيخ المراغى.

وهذه الوقفيات، مكنت الأساتذة من التفرغ للعلم، والعيش مع الطلبة.. وكانت الدراسة حرة على أحدث النظم الجامعية الحالية، أو بمعنى أصح، كما نقلت النظم الجامعية المعاصرة عن الأزهر.

فالأستاذ ذو الكرسى.. أو بتعبير العصر القديم: «من له عامود فى الأزهر» هو الذى امتحنته لجنة من العلماء.. وأجازت له حق التدريس، ويتم الامتحان علنًا أمام جمهور من الطلبة، وعلى يد لجنة من شيوخه.. فإذا جاز الطالب الامتحان سمح له بأن يضع مقعدًا بجوار أحد أعمدة المسجد وبدأ فى تلاوة درسه، وينضم لحلقته من يشاء من الطلبة الذين يحضرون ما يحلو لهم من دروس بلا تقييد.. ويتقدمون للامتحانات متى وجدوا فى أنفسهم استعدادًا.. وكانت تدرس فى الأزهر شتى العلوم من الفقه إلى ضرب العود والكمان كما كان يفعل الشيخ العطار فى مطلع القرن التاسع عشر..

أبراج الكنائس التى يعتليها طلبة «أوكسفورد» فى شهر مايو (أيار) من كل عام يتلون من فوقها صلاة لاتينية تمجد الثالوث المقدس.. ذكرتنى بمآذن الأزهر التى كان يعتليها المجاورون (الطلبة) يتلون الابتهالات والمدائح النبوية فى أيام الرضا.. ويكبرون فى غير أوقات الصلاة، إذا ما نشب خلاف بين الأزهر وسلطات المدينة، أو قاد الأزهر ثورة الأهالى ضد استبداد السلطة.. تمامًا كمعارك طلاب

«أوكسفورد» و«كمبريدج» مع سلطات المدينة منذ سبعة قرون.. لقد نشزت أوكسفورد فى القرن الثانى عشر.. بينما وضع حجر الأساس فى بناء الأزهر فى نيسان (أبريل) ٩٧٠ وتم بناؤه فى حزيران (يونيو) ٩٧٢، أى أنه أكمل ألف عام.. شهد فيها الفصل الدرامى من تاريخ حضارتنا.. تألقها.. فجمودها.. ثم انهيارها..

ولا شك أن كل الذين قارنوا بين تاريخ الأزهر، و«أوكسفورد»، وعرفوا كيف قامت جامعات أوروبا الحديثة على غرار الأزهر ووفق نظمه، بل وبالمعرفة التى نقلتها أوروبا عن الأزهر.

يدركون أن أقدم كتاب فى جامعة «أوكسفورد» مكتوب سنة ١٣٧٩..

وعندما جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر -وهى أكبر فصل فى تاريخ الأزهر كمؤسسة قيادية- كان أحدث الكتب التى تدرس فيه قد كتبت حول هذا التاريخ!..

فالأزهر كان ذروة تألف حضارات بدأت رحلة الانهيار.. أما «أوكسفورد» فكانت بداية حضارة جديدة فى طريق النمو والازدهار.. فنمت الجامعات مع المجتمع النامى من حولها.

عندما بنى الأزهر كانت الحضارة العربية قد امتلكت كل أسس المعرفة اللازمة لانطلاق الثورة الصناعية، لولا أن هب على العالم الإسلامى إعصاران.. الحروب الصليبية، ثم الخراب المغولى.. فتحول المجتمع المدنى المتحضر، إلى مجتمع عسكرى خشن.. وتراجع العلماء ليحكم العسكر.. وحشدت موارد البلاد واستنزفت فى القتال.. وأحرقت المدن والمزارع وكل آثار الحضارة على يد الفاتح المتقدم، أو المنهزم المنسحب.

وانتقلت شعلة الحضارة من الشرق المغزو، إلى الغرب الغازى وهناك افرخت ونمت، وتطورت إلى الحضارة الحديثة..

وكان الثمن فادحًا:

- تخلفت مسيرة الحضارة العالمية، حوالى خمسة قرون، قضتها أوروبا فى النقل الحذر المستريب للعلوم الإسلامية مع حصر المعرفة بها فى دوائر خاصة.. ثم

التوسع فى الترجمة والدرس والفهم والتمثل وأخيراً التطور.. ولو استمرت شعلة الحضارة فى النمو على شواطئنا، لما كانت هناك هذه الفجوة..

- كذلك اقترن النمو الحضارى الجديد بالاستعمار، ولو مضت حضارتنا فى نموها لما كانت البشرية قد عرفت الاستعمار، ولا كان التخلف قد فرض على ثلاثة أرباع شعوب العالم، من أجل تقدم ورفاهية الربع.. فحضارتنا لم تعرف الاستعمار، بل قامت مراكز المدنيّة والرفاهية فى كل البلدان، وعلى قدم المساواة، ووفق إمكانات كل بلد، ولعل أقلها حظًا كانت الجزيرة، بلاد الفاتحين..

ألف عام.. بدايتها الأزهر.. الجامع الجامعة، والأصل فى المسجد أنه جامعة.. ومن المسجد وفى المسجد ظهر ونبغ كل العلماء ودرست كل العلوم..

وإن كان الجيل المعاصر، يحفظ أسماء طلاب أوكسفورد وكمبريدج عن ظهرقلب من إسحق نيوتن إلى سبنسر، وجون ميلتون.. فليسمحوا لنا فى الذكرى الألفية للأزهر أن نقدم لهم أحد العلماء الذين درسوا فيه سنة (١٠٣٨).. تعرفنا به كاتبة ألمانية هى الدكتورة «سيجريد هونكة» فتقول: «إن الحسن بن الهيثم توصل إلى نظرية فى علم الضوء خاصة بالأشعة وانكسارها كانت نقطة تحول فى أبحاث الطبيعة وبخاصة علم الضوء.. وهو الذى أثر فى أوروبا تأثيراً بعيداً وعرفته باسم «الهزن» وكان أشهر الأساتذة العرب الذين أخذوا بيدها فى هذا المضمار من البحوث. فقد وضع نظرية حول حركة الأفلاك.. وقد ظلت هذه النظرية تدرس بغير تعديل فى أوروبا أربعة قرون، فوجدت مائدة فى ألمانيا محفورة سنة ١٤٢٨ عليها نظرية «الحسن» فى حركة الأفلاك».

«وقد نقد الحسن سنة ١٠٣٨ نظرية اقليدس وبطليموس فى علم الضوء، فقال: إن الأجسام المرئية هى التى يصدر منا شعاع الضوء فتراه العين وليس بالعكس». «وكانت هذه النظرية قفزة فى علم الضوء. وهو مؤسس العلم التجريبى وليس روجيه بيكون أو باكوفون فرولام أو ليوناردو دفينشى أو جاليليو.. وأصبح اسم الحسن بن الهيثم هو النجم الذى أضاء الطريق ومهد لقيام الأبحاث الحديثة بعد أن سبق أوروبا إليها... وهو الذى فسر خسوف الشمس والقمر، واكتشف أن القمر

جسم مظلم بعكس النجوم، وهو أول من اخترع صندوقًا للضوء يشبه آلة التصوير، وهو أول إنسان رأى صورة العالم مقلوبًا من خلال مرور الصورة فى جهازه العجيب.. وهو الذى فسر انكسار الضوء فى الهواء والماء واستطاع تحديد ارتفاع الطبقة الهوائية المحيطة بالكرة الأرضية. «والجدير بالذكر أنه توصل إلى تحديدها بدقة، وعرف أنها خمسة عشر كيلو مترًا».

«وفسر قوس قزح الذى عجز أرسطو عن تفسيره، واخترع أول نظارة للقراءة.. وحتى يومنا هذا تعرف فى جامعات أوروبا المسألة المعقدة المتصلة بالإلمام بالطبيعة والرياضة معًا والتى حلها الحسن بن الهيثم بمعادلة من الدرجة الرابعة أظهرت نبوغه الرياضى فى الجبر.. إذ حسب البعد البؤرى لمرآة مقعرة.. تعرف هذه المسألة باسم «مسألة الهزن» (الحسن)».

وكتابه المتضمن لهذه النظريات لا وجود له بالعربية، بل بقت ترجمته اللاتينية.. ضاع الأصل العربى مع ضياع الحضارة، ونفى العالم العربى وكتابه: «كتاب المناظر» إلى أوروبا حيث ساهم فى بناء العلم الحديث.

وإذا كانت جامعة «أوكسفورد» قد بدأت مكتبتها بكتابين لازالا مربوطين بالسلال إلى الان كما كان وضعهما فى القرن الثالث عشر.. فإن مكتبة الأزهر فى القرن العاشر كان بها مليون وستمائة ألف كتاب.. ولكن الانهيار الحضارى جعل الخليفة يسدد مرتبات الجند والموظفين بالكتب.. وكان «الفرنجة» يشترون هذه الكتب بالرطل، وينقلونها إلى كنائس وأديرة.. فجامعات أوروبا.

فالأزهر لم يبدأ بالفقه والنحو والعروض وحدهم كما يتصور البعض، بل كانت تدرس فيه كل علوم العصر، من علوم الدين والفلسفة والمنطق إلى الرياضيات والطب والهندسة والفلك.. واستمر الحال على ذلك رغم التدهور الحضارى.. ذلك أن الإسلام، بطبيعته، يحتم دراسة حد أدنى من العلوم التطبيقية، فنظام الميراث يحتم دراسة الحساب بل ويقود إلى الجبر وكذلك الزكاة، وضبط الكيل والميزان يفتح الباب بدراسة الأثقال والحجوم والروافع وخواص المواد التى تصنع منها، ومراقبة الهلال لمعرفة أوائل الشهور ودراسة حركة الشمس والظل لتحديد مواقيت الصلاة، وتحديد العدة، والقبلة.. كلها تحتم دراسة الفلك وتقسيم الزمن،

وتفتح الباب لدراسات عن الجغرافيا والهندسة والطب، وقادت إلى اكتشاف البوصلة.

وقد تمركزت الزعامة الشعبية فى العلماء، وكان الأزهر هو مركز القيادة الشعبية، وحلقة الوصل بين السلطة والعامة، وقائد مقاومة الجماهير ضد استبداد السلطة وانحرافها.. وقد سلمت السلطة بهذه المكانة لشيوخ الأزهر، والتفت الجماهير حول الشيوخ.. الذين قادوها فى أكثر من معركة سجل منها تاريخ القرن الثامن عشر معارك تتعلق باستقلال الجامعة الأزهرية، فعندما حاول السلطان والأمراء تعيين شيخ للأزهر من المذهب الحنفى، وهو المذهب الرسمى للدولة، رفض الشيوخ، لأن ذلك اعتداء على استقلال الأزهر، والعرف المقرر فيه أن يكون شيخ الأزهر شافعيًا.. وفشلت كل جهود الدولة فى حماية مرشحها ومذهبها الرسمى، وانتصرت إرادة المشايخ.. وإذا كان عمدة «أوكسفورد» قد أحرق كل وثائق الملكية الخاصة بعلماء وطلبة جامعة «أوكسفورد» عام ١٣٨١.. فإن علماء الأزهر فى ذلك التاريخ كانوا يملكون بيع سلطان مصر فى المزاد العلنى (حادثة العز بن عبد السلام).. وبعد ذلك بأربعة قرون (١٧٣٥) حاول السلطان العثمانى أن يعيد تنظيم الأوضاع المالية، بما يشكل اعتداء على الحقوق المكتسبة لبعض الفئات، وليس المشايخ منهم. فاعترض المشايخ وألغوا قرار السلطان معلنين أنه «ليس من حق السلطان تجاوز التشريعات القائمة». وكان ذلك قبل سقوط الباستيل بنصف قرن وقبل أن يكفر عقل فى القارة الأوروبية بتحدى سلطة الملوك الإلهية.

وأخيرًا قاد المشايخ ثورة فلاحين لانتزاع أول دستور مكتوب.. ١٧٩٤.. فى الوقت الذى كان العامة فى فرنسا يبحثون هل دم الأمراء أزرق؟.

فعندما جاء نابليون بأول احتلال غربى للوطن العربى.. كان الأزهر هو القلعة التى اصطدم بها، بعد انهيار المؤسسة العسكرية (المماليك)، وقاد الأزهر المقاومة العربية ضد الاحتلال الفرنسى، فكانت ثورة القاهرة الأولى، التى قادتها لجنة من مشايخ الأزهر بقيادة الشيخ السادات استطاعت أن تشكل تنظيمًا دقيقًا يمتد من صحن الأزهر إلى أصغر قرية فى الريف المصرى، وهو تنظيم عجز العالم العربى عن تكرار مثله لأكثر من قرن بعد تنحى الأزهر.. وعرف نابليون، ممثل الثورة

الفرنسية، خصمه الحقيقى، فصب هجومه على الأزهر، وضرب المسجد.. الجامعة.. القيادة.. التراث.. التاريخ.. وأهم من ذلك أنه كان إمكانية المستقبل.. ضرب ذلك كله بالمدافع، واحتله الجنود ودخلته الخيل لأول مرة فى تاريخه معلنة هزيمة الحضارة التى يمثلها.

وأصدر نابليون أمره بأن «يباد كل من فى الجامع»، ودخلت الجند المسجد: «وهم راكبون الخيول، وبينهم المشاة كالوعول، وتفرقوا بصحنه ومقصورته وربطوا خيولهم بقبلته، وعاثوا بالأروقة والحارات، وكسروا القناديل والسهارات، وهشموا خزائن الطلبة والمجاورين، والكتبة. ونهبوا ما وجدوه من المتاع، والأوانى والقصاع، والودائع والمخبآت بالدواليب والخزانات، ورشقوا الكتب والمصاحف وعلى الأرض طرحوها، وبأرجلهم ونعالهم داسوها، وأحدثوا فيه وتغوطوا، وبالوا وتمخطوا، وشربوا الشراب، وكسروا آوانيه، وألقوها بحصنه ونواحيه، وكل من صادفوه به عروه ومن ثيابه أخرجوه».

وأعدم نابليون ثمانين شيخًا من قيادة الثورة..

صحيح أن عدوان نابليون على الأزهر، قضى على كل آماله فى الشرق، ولكنه أيضًا كشف للأمة العربية أنها عزلاء، لا تستطيع حماية قيادتها، ومقدساتها.

وأصبحت القضية مطروحة على النحو التالى: من وجهة نظر الاستعمار العربى.. لابد أن تتحطم قيادة الأزهر لكى تخضع الأمة العربية للاستعمار.

ومن وجهة نظر الأمة العربية، لابد من حركة بعث قادرة على مواجهة الغرب الاستعمارى.

وأدرك الاستعمار أن تحطيم الأزهر بالمدافع لا يجدى.. فبعد ضربه واحتلاله فى الثورة الأولى، عاد ونظم ثورة القاهرة الثانية (١٨٠٠)، وهى الثورة الكبرى المعروفة.

❀❀❀

الأزهر وأثره فى الحياة الإنسانية

إن الأزهر الشريف[١] يرجع فى قيامه إلى ألف سنة مضت. وقام ليؤدى رسالة ويحتفظ بتراث. أما الرسالة فهى تنوير المسلمين بمبادىء الإسلام. وأما التراث الذى يحتفظ به فهو تراث المسلمين العقلى والروحى والأدبى على السواء.

وظل يقوم بهذه الرسالة ويحتفظ بهذا التراث طوال هذه المدة الطويلة التى مضت على قيامه. وقد مرت به أحداث، وعاصر ظروفًا وخرج من هذه وتلك دون أن يفقد هذه الرسالة، ودون أن يبدد هذا التراث.

فهو مدرسة وسجل للتاريخ معًا. ترى فى بحوثه ودراساته آثار المسلمين الذهنية، وتسمع من خلال هذه الآثار مبادىء الإسلام كما ذكرنا.

ولأنه قام لمهمة مرتبطة بالبحوث الإسلامية كان لا يحتك به من الأحداث إلا تلك التى تتصل بكيان الأمة الإسلامية والشعوب العربية، وفى مقدمة هذه الشعوب شعب الأقليم المصرى.

والتحول الذى طرأ على التوجيه فيه من أنه كان مدرسة لتعاليم الفاطميين ثم تغير الوضع فيه إلى أن يكون التوجيه الذى يباشره يتصل بتوجيه أهل السنة -هذا التحول لا يغير من مهمته الأصلية وهى العناية بنشر مبادىء الإسلام والاحتفاظ بتراث المسلمين العقلى والروحى. ولذا فمحاولة وضع هوة فى تاريخه بين عهدين له، وإبراز مراحل تطوره على أنه كان لاتجاه معين انقلب إلى ضده فيما بعد -لا تقلل من شأن رسالته فى واقع الأمر من حيث أنها رسالة الأمة الإسلامية والشعب العربى.

والأزهر بما له من هذا الماضى الطويل، وبما وضع لنفسه من رسالة احتل فى العالم الإسلامى منزلة كبيرة وخالدة فى الوقت نفسه. وأصبح مركز تنوير المسلمين بمبادىء دينهم، وأصبح أمر الاحتفاظ بالتراث الثقافى والروحى والأدبى للمسلمين مرتبطًا ارتباطًا قويًا بمهمة الأزهر وبما يباشره من وظيفة ورسالة.

---

(١) د. محمد البهى -مجلة قافلة الزيت.

وإذا كان قد مرت على الأزهر أحداث تأثر بها، وهى الأحداث التى تتصل بالوطن الإسلامى أو العربى، وإذا كانت هذه الأحداث قد غيرت من اتجاهه وتحول بسببها من جانب إلى جانب، فإن الشيء الذى يمكن الوقوف عنده فى تاريخه هو سير الحركة العلمية وتغير طريقة البحث والدرس فيه. فحركة التأليف العربى التى وجدت فى آخر القرن الأول الهجرى وازدهرت فى القرنين التاليين له مالت رويداً رويداً إلى الضعف من جانب والركود من جانب آخر، وكان للأحداث الخارجية وهى أحداث المغول والتتار فى الشرق وأحداث الصليبيين من الغرب أثر آخر بجانب ما لضعف حركة التأليف وركود النشاط فيه، وهذا الأثر سواء أكان عن طريق الأحداث الخارجية أم طريق العوامل الداخلية والمحلية هو تقوية روح التبعية للخصومات المذهبية وللمؤلفين فيما كتبوا فى العهود المتأخرة فى تاريخ التأليف العربى.

والأزهر عندما قام يؤدى رسالة تنوير المسلمين اعتمد فى ارسال إشعاعه وفى بحوثه ونشر تعاليمه على قسط كبير من كتب أولئك المؤلفين الذين تأخر بهم الزمن فى تاريخ التأليف، وتأثروا بموجة الضعف والركود الداخلية والخارجية. ولأن مهمة الأزهر تتصل بالدين، أخذ خصيصة التقاليد وهى عدم قبوله لمبدأ التطور لا فى الدين نفسه ولكن فيما صنعه الإنسان المسلم المفكر حول الدين وفيما سطره من آراء يخرج بها بعض أفكاره. وهنا كان تقبل الأزهر للخروج عن نطاق هذه الكتب التى تمثل ظاهرة الضعف والركود الفكرى فى تاريخ التأليف العربى أمراً ليس هيناً، وإن تقبل مبدأ التغير والانتقال من عهد إلى عهد فى التعرف على مبادىء الإسلام وآراء المسلمين، فإنه يتقبلها فى احتياط وفى بطء.

ومن ثم كانت مسايرة الأزهر -لا أقول لمبدأ التطور، وإنما أقول لفكرة الانتقال من عهد إلى عهد فى تاريخ التأليف العربى، أى الانتقال من عهد الضعف والركود مثلاً إلى عهد القوة والأصالة فى العصور السابقة على هذا العهد -مسايرة تجمد تارة وتبطىء فى سيرها تارة أخرى.

ومن هنا كان لتوجيهه أثر على الشعوب الإسلامية ينعكس فى هذا الأثر ما يتلزمه هو فى دائرة التوجيه من الركون إلى آراء معينة أو الوقوف فى استمداد

التعاليم الإسلامية من بعض مصادر التأليف فى الحقبة الأخيرة. وبمقدار ما يتحرك الأزهر فى دائرة التأليف العربى الإسلامى بمقدار ما يكون لتوجيهه من أثر إيجابى أو سلبى.

والحركات الإصلاحية التى قامت فيه والتى باشرها بعض شيوخ الأزهر من أمثال الشيخ محمد عبده لم تقصد إلى الخروج عن دائرة التراث الثقافى والروحى للمسلمين كلية. وإنما قصدت إلى شىء واحد هو محاولة الانتقال -كى يفهم الإسلام فهمًا صحيحًا- من عهد الركود إلى عهد الإمامة والأصالة فى تاريخ التأليف العربى الإسلامى. إذ أن تأليف المتقدمين من علماء المسلمين كان أقرب إلى أصول الإسلام وإلى التعبير عما يهدف إليه القرآن مما كان للمؤلفين المتأخرين.

وهذا معناه أن يكون للعالم الأزهرى فرصة فى اختيار الرأى من بين آراء المسلمين. كما تكون له فرصة عرض بعض آراء المسلمين اعتمادًا على القرآن الكريم والسنة الصحيحة. وأى الآراء من بينها أقرب إلى روح القرآن والسنة الصحيحة هو أقواها وضوحًا فى التعبير عن رأى الإسلام وأكثرها قبولاً للمسلم فى حياته اليومية.

والنتيجة الحتمية لهذه الحركة الإصلاحية هى وضع العلماء فى مواجهة القرآن وضعًا مباشرًا دون وسيط يلتزم رأيه وينفذ حكمه على أداء القرآن لأحكام الله وللطريق العملى الذى يسلكه المسلم. وهنا يكون مبدأ التوجيهات حقيقة واقعية يمارسها القادرون فى فهم القرآن أو تحت ضوء القرآن وضوء السنة الصحيحة.

وبمقدار ما تعبر التعاليم التى يرسلها الأزهر إلى خارجه فى نطاق الشعوب العربية والإسلامية بمقدار ما تتحقق روح الإسلام فى حياة المسلمين. وروح الإسلام هى روح الإنسانية الصافية فى معاملة المسلم للمسلم ومعاملة المسلم لغير المسلم من أهل الكتاب ومعاملة المسلم لمن ليس بذى دين أو لمنكر الدين والإيمان.

ومعاملة المسلم للمسلم -كما تملى روح الإسلام- هى معاملة الأخ للأخ والصديق للصديق ومعاملة الإنسان للإنسان فى دائرة دفع الأذى والضرر وتتحقيق السلم والرخاء العام. ومعاملة المسلم لغير المسلم ممن ليس بذى دين أو لمنكر الدين

هى معاملة الإنسان لمن يتحدى خصائص الإنسانية ويتحدى علاقة السلم وتبادل النفع والرخاء بين الناس جميعًا. إذ الذى ينكر الدين والإيمان بالله ينكر على البشر أن يسلكوا طريق الحق، وسبيل الاستقامة وسبيل الإنسانية مذعنين لتوجيه القادر العليم مدبر الكون كله. ينكر على البشر أن يطيعوا الله خشية منه، ويحرضهم فى الوقت نفسه على أن يتمردوا على القيم البشرية بدعوى ممارسة الحرية الفردية، أو بدعوى سمو الإنسان عن خالقه، أو بدعوى الاستجابة لوحى الطبيعة وما تمليه من توجيه وما ترسمه من قدر ومصير.

والإنسان مهما سما فى تفكيره وإدركه لا يصل إلى تحديد المنهج المستقيم تحديدًا واضحًا لا خلط فيه، أو تحديدًا مستمرًا صالحًا لجماعة معينة فضلاً عن أن يكون صالحًا لجماعات وشعوب كثيرة. والطبيعة أن ترك الإنسان نفسه يطيع ما ترسمه من توجيه فإنها ستجعله يطيع دومًا ما تمليه مظاهر الحس المختلفة وعندئذ يكون شأن الإنسان شأن الحيوان فى تبعيته لما يحس وعدم ارتفاعه عن هذا الذى يحس للسيطرة عليه وتوجيهه.

ومن هنا كان أثر الأزهر الدينى فى توجيه المسلمين أثرًا إيجابيًا فى علاقة المسلم بالمسلم، وفى علاقة المسلم بأهل الكتاب، وفى موقف المسلم من الالحاد والتحدى بإنكار الإيمان، ما يعبر فى تعاليمه التى ينشرها عن الإسلام فى صفاء آرائه ووضوح هدفه.

أما الأثر الأدبى للأزهر ورسالته فهو خدمة الإنسانية وخدمة المستوى الفاضل لها. فالإسلام إذا سار المسلمون على مبادئه يكون من الدعائم القوية فى تركيز خصائص الإنسانية فى نفوس البشرية. فهو رسالة كرسالة الله فيما أوحاه إلى موسى وإلى عيسى عليهما السلام تساوق الطبيعة الإنسانية فى أخص صفاتها ومقوماتها. وأخص هذه الصفات والمقومات التى تدعو إليها الرسالة الآلهية هى: المحبة، الإخوة، السلام. ولا شك أن هذه الغايات لا تتحقق إلا إذا ارتفع الإنسان عن مستوى الخصومة ومستوى الحقد والضغينة بسبب التهالك على المادة أو بسبب الانطواء تحت مظاهر الحس التى يدعو إليها الالحاد، ويدعو إليها التحدى للإيمان.

والدين الآلهى لذلك ضـرورة لضمـان تحـقيق هذه الأهداف الثـلاثة فى حيـاة الإنسان. وإذا مـا تحقـقت هذه الأهداف فى حيـاة الإنسان أصـبحت البشـرية فى أوضح مظاهرها حقيقة عملية، وبالتالى أصبح الناس سعداء لأن الشر أو الشقاء لا يكمن إلا فى الخـصـومـة وفى القلق والاضطراب والحـيـرة. وليس من أسـبـاب الخصومة والقلق والاضطراب والحيرة سوى تنافس الناس على ما فى أيدى بعضهم بعضًا، وهنا كان الطمع والجشع أمرًا مكروهًا لذلك فى كل رسالة إلهية. وكان البر والإحسان أمرًا مطلوبًا فى كل رسالة إلهية.

إن رسالة الأزهر فى تمكيـن السلام العالمى واسـتقرار النفـوس البشرية وتوكـيد الترابط الأخـوى والإنسانى ودفع شـرور الالحاد وتحدى الإيمـان بالله، وهو لذلك ضرورة فى حياة مـجموعة الشعوب العـربية والإسلامية كضـرورة الدين نفسه فى حياة الإنسانية.

❁❁❁

قرارات لمؤتمر البحوث الإسلامية

فى الدورة الثانية لمؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الذى عقد بالأزهر واستمر شهراً كاملاً.. كانت هذه الدورة مقصورة على أعضاء المجمع فى المؤتمر الذين عهد إليهم بدراسة صورة المجتمع الإسلامى. وانتهت الدراسات إلى حصر المشكلات التى تواجه المجتمع الإسلامى المعاصر تحت أربعة عناصر رئيسية هى: مقاومة العدو المشترك للإسلام والمسلمين.

وتجريد الإسلام مما علق به من الفضول والشوائب.

وتنظيم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بين المسلمين على أساس إسلامى سليم، للعمل على توحيد كلمة المسلمين ومحو أسباب التقاطع بينهم، وإزالة أسباب الخلافات المذهبية.

وقد اتخذ المؤتمر أربعة قرارات هامة تدور حول هذه العناصر، وهى:

أولاً: يقرر المؤتمر أن الاستعمار -سواء فى البلاد التى لم تزل ترزح تحت نيره، أو فى البلاد التى جلا عنها مخلفًا آثاره- هو الخطر الأول الذى يجب على المسلمين أفرادًا وجماعات ودولاً أن يجاهدوه بالمقاومة الجادة المستمرة، حتى يتم تحرير المسلم قلبًا وضميراً ووطنًا ومعرفة، وأن كل تقصير فى ذلك هو عصيان لله -تعالى- وإثم كبير لأنه يقوى يد العدو على إنزال الأذى بالمسلمين.

وإن الصهيونية التى يحاول الاستعمار بعد أن تحطمت أسبابه الظاهرة أن يغلف بها أهدافه تحت ستار جديد، هى داء استعمارى خبيث يستهدف به الاستعمار أن يتمكن بآثاره فى حياة المسلمين لاستمرار سيطرته عليهم، ومن ثم كانت مجاهدتها فرضًا كذلك على كل مسلم حيثما كان.. وكل تخلف عن ذلك عصيان لله.

ثانيًا: يقرر المؤتمر أن الكتاب الكريم والسنة النبوية هما المصدران الأساسيان للأحكام الشرعية، وأن الاجتهاد لاستنباط الأحكام منهما حق لكل من استكمل شروط الاجتهاد المقررة، كما أن السبيل لمراعاة المصالح ومواجهة الحوادث المتجددة

هى أن يتخير من أحكام المذاهب الفقهيه ما يفى بذلك، فإن لم يكن فى أحكامها ما يفى به فالاجتهاد الجماعى المذهبى، فإن لم يف كان الاجتهاد الجماعى المطلق.

ثالثًا: أن موضوع الزكاة والموارد المالية فى الإسلام وطرق الاستثمار وعلاقتها بالأفراد والمجتمعات وحقوق الملكية الخاصة والعامة، هى موضوعات الساعة لأنها ملتقى شعبتين من شعب الشريعة الإسلامية وهما العبادة والسلوك الاجتماعى.

ومن أجل ذلك يقرر المؤتمر أن تكون هذه الموضوعات محور نشاط المجمع فى دورته المقبلة.

ويقرر المؤتمر، بعد الدراسة المستفيضة لموضوع الملكية، أن حق التملك والملكية الخاصة من الحقوق التى قررها الإسلام وكفل حمايتها. . وأن من حق أولياء الأمر فى كل شئ أن يجدوا من حرية التملك بالقدر الذى يكفل درء المفاسد وتحقيق المصالح، وأن أموال المظالم وسائر الأموال المشبوهة يجب أن ترد إلى ذويها أو إلى الدولة. . بل إن المال الطيب، إذا احتاجت المصلحة العامة إلى شىء منه، أخذ من صاحبه نظير قيمته يوم أخذه وأن تقدير المصلحة من حق أولياء الأمور.

رابعًا: يقرر المؤتمر أن واقع المجتمع الإسلامى المعاصر يفرض على مجمع البحوث الإسلامية أن يلتمس الوسائل لتوثيق الصلة بين المسلمين فى شتى بلادهم ليجمعهم على كلمة ويوحدهم رئيسًا وينظمهم للتعاون أفرادًا وجماعات على ما فيه خيرهم وخير الإنسانية من غير إقليمية ولا مذهبية ولا تنازع.

كما يقرر أن استكمال المجمع لأجهزته اللازمة لنشر المبادىء الإسلامية وتجليتها أمر ضرورى تجب المبادرة إليه لينهض المجتمع الإسلامى بمسئولياته التى يفرضها عليه واقعه.

✿✿✿

قصة الأزهر الجامعي بعد عشرين عامًا[1]

الأزهر القديم حافل بالذكريات المجيدة الخالدة المشهورة، التى فصل الحديث فيها المؤرخون والباحثون.

أما «أزهرنا» اليوم فلا حول ولا قوة إلا بالله، فليس فيه من الأزهر القديم شبه، وليس بينه وبينه صلة، وهو حائر الرأى، متبعثر الخطى، كأنما يريد أن ينقض إشفاقًا على حملة تراثه، من جسامة المسؤلية، وفداحة التبعة، وهول الحساب.. وأما «أزهرنا» فى الغد، فأتخيله منارة مشرقة، وجامعة تعود إلى فهم رسالتها، وإلى أدائها، وإلى الجهاد مرة أخرى من أجل الإسلام والمسلمين وتقدم النهضة الفكرية، ومن أجل ازدهار حركة الأحياء والتجديد والإصلاح الدينى.. وسيكون الفضل فى ذلك راجعًا إلى يقظة الرأى العام فى الأزهر بعد سبات، وإلى انتباه الشباب فيه بعد غفلة، وإلى حرص الأمة والمسئولين على إصلاح الأزهر وتجديد معالم النهضة الدينية والعلمية فى أروقته ومحاريبه.

سيكون الأزهر بعد عشرين عامًا جامعة هيكلاً وروحًا ورسالة، بعد أن كان فى القديم جامعة بهيكله، وبعد أن كان فى عصرنا الراهن جامعة اسمًا فحسب.. وستؤدى هذه الجامعة الأمانة العلمية والدينية الملقاة على كاهلها على خير الوجوه وأجلها، وستعود حلقات الدرس فى الأزهر إلى نشاطها العلمى من جديد، منقحة ومحققة ومجددة مبتدعة، وسيحفل الأزهر آنذاك بالعديد من الأعلام من بنيه، الذين سيكونون خير سند لنهضته الفكرية والروحية.

وستمتلىء نفوس الأزهريين بعد عشرين عامًا بالعزة والكرامة، فلا تجد فيهم ضعيف الرأى، أو منافق اللسان، أو هدامًا يستر عيوبه بالحقد على الناس، أو أنانيًا يسعى لنفسه ولو كان فى ذلك الهلاك للجماعة.. وستقوى صلة الأزهر بالأمة، فتنزله منها منزلة الرائد الأمين، ويحلها من نفسه مكانة عزيزة بالتوجيه والإيثار والنصح، والدعوة إلى المثل العليا الكريمة التى يدعو إليها الإسلام الكريم.

---

(١) ص ١٥٥ قصص من التاريخ للمؤلف.

أما مناهج الأزهر وكتبه وكنوزه القديمة فسينالها ثورة العصر الجديد، فتعود كنوزنا العلمية إلى التأثير فى العقل العربى الحديث تأثيرًا قويًا نافعًا، وتصبح مناهج الأزهر وكتبه ونظمه محققة لرسالته الجامعية الصحيحة.. وسيكون منصب «شيخ الأزهر» بالانتخاب من حملة الدكتوراه أو ما يعادلها من الأزهر، وسيعود لمنصب المشيخة سالف مجده وعظمته وهيمنته الروحية الكبيرة على العالم الإسلامى كافة، وستنال جماعة كبار العلماء ولجنة الإفتاء ومجلة الأزهر ومكتبته وأروقته ومعاهده وكلياته وبعوثه الإسلامية نصيبها من الإحياء والبعث والتجديد، وستسهم البعوث الإسلامية الأزهرية فى ميادين النشاط الدينى والعلمى بنصيب كبير، وستحمل مدرجات الأزهر أسماء الخالدين من أبنائه.. ويطلق على الكراسى العلمية المنشأة فى كلياته كذلك أسماء الأعلام من علمائه.. وسنرى مدينة الأزهر الجامعية، واتحاد الأزهر الجامعى، وحفلات الذكرى الألفية لإنشاء الأزهر، واللغات الحية التى تدرس فى جميع أقسامه وفروعه، وقلوبنا يملؤها البشر والفخر والإعجاب.

وسوف تقيم كليات الأزهر مواسم علمية وأدبية ضخمة، وسيعلن آنذاك عن رحلات لطلبة كليات الأزهر فى البلاد العربية والإسلامية خلال إجازة نصف السنة وفى الإجازة الصيفية.

وسيكون فى كلية اللغة العربية عدة كراسى علمية، للنقد الأدبى ومذاهب الأدب وأصول النحو والبلاغة واللغات السامية واللهجات القديمة والحديثة وسيتبعها معهد للصحافة وتنطق باسمها مجلة علمية ضخمة، وسيعلن عن مناقشة رسالة للدكتوراه فيها آنذاك، عنوانها: «مذهب أدبى جديد» يبشر صاحبها فيها بالمثالية الأدبية. وفى كلية أصول الدين ستنشأ كراسى أخرى للفلسفة والتصوف الإسلامى وعلم الأخلاق الدينى وعلم الاجتماع ومناهج الوعظ، وسواها. وسيعلن آنذاك عن مناقشة رسالة للدكتوراه. فيها موضوعها «فلسفة الشك بين ابن عربى وديكارت»، وعن مناقشة رسالة ثانية موضوعها «علم الاجتماع بين أرسطو والفارابى وابن خلدون وغوستاف لوبون» وسيعكف أحد طلبة الدكتوراة فيها آنذاك على كتابة رسالة عن «الذرة عند فلاسفة الإسلام».. وفى كلية الشريعة ستنشأ

كذلك كراسى علمية جديدة لأصول الاجتهاد والقانون «المقارن» والشريعة الإسلامية ومذاهب المجتهدين وسواها، وسيعلن عن قيام طلبة الدكتوراه فى الكلية بنشر مجموعات القوانين الجنائية والمدنية والاقتصادية والقانون الدولى فى الشريعة الإسلامية، وستناقش رسالة للدكتوراه عنوانها أصول مذهبى الأوزاعى والليث بن سعد. . وستتبادل الجامعات فى الشرق والغرب رسائل الأزهر العلمية.

ومن أهم حركات التجديد فى الأزهر توطيد النظام الجامعى ورفع مستوى الكادر الجامعى فى كلياته وتبادل الأساتذة بين الأزهر وشتى جامعات العالم، وستقوم الدول الإسلامية بعبء الأموال اللازمة للبعوث الإسلامية الأزهرية، وسيتولى الأزهر الإشراف على المساجد والمعاهد الكبرى فى العالم الإسلامى، وستعلن جامعة «هارفرد» عن قدوم أستاذ أزهرى زائر فيها لتدريس «أصول التشريع الإسلامى وأثرها فى نشأة علم الاجتماع وفى الحضارة العالمية».

ويومذاك سيكون للأزهر معاهد علمية ثقافية فى الخرطوم وإشبيلية والقدس وكراتشى وبغداد ولندن وبرلين وباريس ونيويورك، وسترسل ثلاثون بعثة علمية لشتى جامعات الغرب. . وستستعين جامعة إيران وجامعة موسكو وبرلين ولندن والسوربون وجامعات الهند والصين وباكستان وسواها بأساتذة من الأزهر. ومن أهم ما سنراه فى الأزهر بعد عشرين عامًا تبادل الطلاب بين كلية اللغة وكليات الآداب فى مصر والغرب، وبين كليات الشريعة وكليات الحقوق، وبين كلية أصول الدين وكليات الفلسفة فى الغرب، وكذلك اعتراف الجامعات فى العالم بشهادات الأزهر العلمية، وسيدرس الطب العربى القديم فى الأزهر، وسيباح لخريجى كلية أصول الدين فتح «عيادات» نفسية للطب النفسى العلاجى. وسيكون لخريجى الأزهر دخول الكلية الحربية عامًا واحدًا يمنحون بعده رتبة عسكرية ويعملون فى الجيش فى شتى وحداته، وسيكون القائد العام للجيش المصرى آنذاك أزهرى التعليم، وسينشىء الأزهر كلية الجامعية لـلفتاة المصرية. . وستنال المعاهد الابتدائية حظها من الرعاية والتجديد والإصلاح، ويباح تبادل الطلاب بين الأزهر والمدارس الابتدائية والثانوية، وسيوحد الزى بين الأزهر والجامعات المصرية.

ويومئذ سيكون الأزهر الصرح الإسلامى الأكبر فى البلاد الإسلامية.

الأزهر حصن العربية

يعنى الأزهر فيما[١] يعنى المعقل الذى حفظ الثقافة العربية ألف سنة ونيفًا، يسهر عليها ويزيد فيها وينفق منها على طلاب المعرفة فى الشرق والغرب، على حين دمر الجهل والكفر حصونها فى بغداد والأندلس.

ويعنى الأزهر فيما يعنى، الحصن الذى اعتصمت به اللغة العربية من عدوان الشعوبية والعامية والتركية حين استعجم اللسان واستترك السلطان وفشت الجهالة، وضعفت الخلافة وعز الناصر وذل الأهل.

ويعنى الأزهر فيما يعنى القبلة الثانية التى يوجه المسلمون فى جميع أقطار الأرض قلوبهم إليها يتلمسون على هداها الطريق إلى الحق والسبيل إلى الله.

ويعنى الأزهر فيما يعنى الملاذ للشعب المظلوم كلما عسفه الطغيان وبغى عليه الحكم فيأوى منه إلى ركن شديد وحام قادر.

ويعنى الأزهر فيما يعنى الجامعة العالمية التى يؤمها الطلاب من كل أرض ومن كل لون ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم، لا يبغون من وراء ذلك مالاً ولا جاهًا ولا شهرة.

ويعنى الأزهر فيما يعنى الخانقاة التى آوت العباد والزهاد والحفاظ وحفظة وحملة البركة.

ويعنى الأزهر فيما يعنى القاعدة الروحية التى كان يخشاها المستعمرون فحاولوا سرًا وعلنًا أن يدمروها ليتقوها، فلما استيأسوا من تدميرها أو إضعاف تأثيرها سالموها ونافقوها. ثم جهدوا أن يستميلوها ليستغلوها.

ويعنى الأزهر فيما يعنى، الصرح الوطنى الذى أجج الثورات على الفساد، وخرّج القيادات للجهاد، وقام من نهضة العرب الحديثة مقام الرأس واليد، يمدها بالروح ويرفدها بالقوة. ثار على الغزو الفرنسى بقيادة ستة من علمائه، وثار على

(١) مجلة الأزهر- عدد رمضان ١٣٨٠هـ- أحمد حسن الزيات.

الطغيان التركى بقيادة شيخه عبد الله الشرقاوى، وثار على ظلم الخديوى بقيادة ابنه أحمد عرابى، وثار على الاحتلال البريطانى بقيادة ابنه سعد زغلول.

كل أولئك يعنيه لفظ الأزهر، وأكثر من أولئك يلازم معنى الأزهر، ولكنى بسبيل الحديث عن نصيب اللغة العربية من فضل الأزهر فلا أخوض فى حديث غيره.

إن فضل الأزهر على اللغة العربية مستمد من فضل القرآن الكريم عليها؛ وبعض فضله أنه كسبها عذوبة فى اللفظ ورقة فى التركيب ودقة فى الأداء، وقوة فى المنطق وثروة فى المعانى. وكان سببًا فى استحداث العلوم الشرعية والأدبية التى حفظت مادتها بالقواعد وفى المعجمات، ووسعت دائرتها بالألفاظ والمصطلحات، كالنحو والصرف والاشتقاق لدفع اللحن عنه، والمعانى والبيان والبديع لتقرير الإعجاز فيه، وعلى اللغة والأدب لتفسير غريبه وتوضيح مشكله، والحديث والأصول والفقه والتفسير لاستنباط أحكام الشرع منه، وهو الذى وحدها على كل لسان، ونشرها معه فى كل مكان. وحفظها أربعة عشر قرنًا إلا قليلاً لا تفسد ولا تجمد ولا تتغير مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] وحفظ القرآن يستلزم حفظ لغته، والناظر فى تاريخ الأديان السماوية والأرضية لا يجد دينًا حملته لغته التى أنزل بها أو كتب فيها إلى أقصى الشرق وأقصى الغرب فى مدى ١٣٨٠ سنة ثم بقيت محافظة على قوتها وجودتها ووحدتها وطبيعتها إلا دين الإسلام ولغة العرب، أما سائر الأديان فلا تقرأ كتبها الأصلية إلا فى لغة البلد الذى ظهرت فيه. فإذا نقلت إلى بلد آخر عن طريق الدعوة قرئت مترجمة إلى لغته، واختص بمعرفة الأصل طائفة قليلة من رجال ذلك الدين، فمدونة الأسفار البوذية المسماة بالسلات الثلاث لا يقرأها أتباع هذه الملة فى الصين واليابان إلا منقولة إلى الصينية واليابانية، والتوراة والإنجيل -وهما كتابان منزلان- لا يقرآن فى العالم المسيحى إلا فى لغة كل قطر من أقطاره، لذلك ظل تأثيرهما فى الآداب الأخرى ضئيلاً حتى ترجما إلى اللاتينية والتوتونية القديمة فظهر أثرهما قويًا فى الآداب الأوروبية.

وليس كذلك الحال فى القرآن، فإن المسلمين اعتقدوا بحق أن لغته جزء من حقيقة الإسلام، لأنها كانت ترجمانًا لوحى الله ولغة لكتابه ومعجزة لرسوله ولسانًا لدعوته، ثم هذبها النبى الكريم بحديثه ونشرها الدين بانتشاره وخلدها القرآن بخلوده فالقرآن لا يسمى قرآنًا إلا فيها، والصلاة لا تكون صلاة إلا بها، لذلك سارعوا إلى تعلمها والتكلم بها والتأليف فيها والتعصب لها والدفاع عنها والدعوة إليها حتى حلت محل الفارسية فى العراق والرومية فى الشام والقبطية فى مصر والبربرية فى المغرب، وأصبحت فى عصر بنى العباس وهو عصرها الذهبى لغة الدين والأدب والعلم والسياسة والإدارة والحضارة فى أكثر الدنيا القديمة، وأصبح المسلم على اختلاف جنسه ينتقل من قطر إلى قطر فى عالمه الإسلامى كما ينتقل من بلد إلى بلد فى وطنه الأصلى، لا يجد مشقة فى التفاهم، ولا صعوبة فى التعامل، ولا شدة فى المعيشة ثم شغل المسلمون -عربهم وعجمهم- بالقرآن وفرغوا له، فكان دعاءهم فى المسجد، ونظامهم فى البيت، ومنهاجهم فى العمل، ودستورهم فى الحكومة، فسرى هديه منهم مسرى الروح، وجرى وحيه فيه مجرى الطبع، وأثر فى ألسنتهم وأفئدتهم وأنظمتهم تأثيرًا لم يؤثره كتاب سماوى آخر فى أهله ومن هنا كانت ثقافة الإسلام قائمة على ركنين أساسيين هما الدين بعلومه المختلفة واللغة بفنونها المعروفة، وهذان الركنان يشد أحدهما الآخر ويمسكه، فالإسلام بغير العربية ينبهم ويضمحل، والعربية من غير الإسلام تنكمش وتزول، واللغات السامية مدينة ببقائها للدين، فلولا اليهودية ما بقيت العبرية، ولولا المسيحية ما بقيت السريانية، ولولا الإسلام ما بقيت العربية، ولكن الفرق بين بقاء العربية وبقاء العبرية والسريانية هو الفرق بين الروح والدماء. أو بين العين والأثر. والأزهر هو وارث النبوة وحامى العقيدة وناشر الدعوة لا يمكن أن تقوم رسالته إلا على هذين الركنين، وقد زادها بتأييد الله وتوفيقه تأدية أحلته من العالم الإسلامى كله محل الزعامة.

على أن فضله على علوم القرآن وعلوم اللسان قد يشاركه فيه بالكثير أو بالقليل طائفة من المدارس والجوامع أنشأها السلاطين فى القاهرة ودمشق وحلب وبغداد والنجف وقرطبة والقيروان والزيتونة، كالناصرية والقمحية والصلاحية والمؤيدية

والمنصورية والشيخونية والظاهرية والكاملية والنظامية؛ ولكن هذه المدارس التى عفى على أكثرها الزمن لم تستطع فى حياتها منفردة أو مجتمعة أن تؤول الأزهر فضله الخالد على اللغة العربية فى بقائها لسانًا للعلم ورباطًا للمسلمين إلى اليوم.

تحيفت الخطوب السود لغة القرآن فى محنتين أشرفت فيهما على الموت لولا أن تداركها الله بفضله: محنة الغزو المغولى فى منتصف القرن السابع حين انتكث قتل العباسيين فى العراق بتنافس الفرس والترك، وتحارب الشيعة والسنة، وذهاب جلال الخلافة من النفوس، فقوض هولاكو عرشها سنة ٦٥٦هـ، وتضعضع أمر الأمويين فى الأندلس بتغلب البربر والموالى على ملكهم وتقسيمه بينهم إلى دويلات سهل على الفرنج ابتلاعها قطعة قطعة حتى ابتلعوها لقمة سائغة سنة ٨٩٨هـ. ودالت دولة الفاطميين فى مصر والشام فوقعتا فى أيدى الأيوبيين، ثم صارتا إلى المماليك وظلتا تحت سلطانهم حتى دخلتا فى حكم الأتراك العثمانيين سنة ٩٢٣هـ، فأتى على العرب ستون وخمسمائة عام لم يكن لهم فيها سلطان ولا ملك، فأصبحت ديارهم وآثارهم نهبًا مقسمًا بين المغول والترك والفرس والجركس ثم الأسبان بعد قليل، وكان أكثر هؤلاء الأعجام وحشيين أميين فخربوا الدور وهتكوا الخدور وفجعوا اللغة وآدابها وعلومها بتحريق المكاتب وتعطيل المدارس وتقويض المراصد وتقتيل العلماء. ناهيكم بما فعله التتار فى بخارى وبغداد، والصليبيون بالشام، والإفرنج بالأندلس، فلو أن الزمان عفى على اللغة العربية وألحقها بأخوتها السامية لما كان ذلك خارقًا لطبيعة الأشياء ولا بدعًا فى منطق التاريخ، ولكنها بقيت على الرغم من هذه الخطوب لسانًا للدين والعلم، ولغة للحكومة والأمة فى بلاد المغرب ومصر والشام وبلاد العرب والجزيرة، ولولا نعرة الترك وعصبية الفرس لكانت لغة المسلمين كافة. والفضل فى بقائها بعد إدبار الزمان والسلطان عن أبنائها، إنما كان لهذا الأزهر الجليل الذى اختصه الله بمزايا تميز بها على غيره، منها صبغته العربية الخالصة بحكم نشأته وبيئته، وموقعه الوسط بين الشرقيين الأدنى والأوسط، فكان ملتقى المسلمين من هنا وهناك، ومنها قربه من الحجاز فكان طريق الحجاج والرحالين من علماء أفريقية والأندلس. ومنها تخريجه طائفة كبيرة من أعلام الفقه وأعيان الأدب جمعوا شتات اللغة والعلوم والآداب فى أسفار أشبه بدوائر المعارف،

ومنها مكانته التى بلغت بعض المشكلات السياسية والاجتماعية، ومنها كفايته الأساتذة والطلاب مؤونة العيش بأن كفل لهم الغذاء والكساء والمأوى والكتاب، ومنها إيواؤه الناجين بحياتهم ودينهم وعلمهم وأدبهم وكتبهم من غارة المغول حين اكتسحوا خراسان والفرس والعراق، فكان من مهاجرة هؤلاء العلماء من الشرق والغرب إلى القاهرة من البحث والابتكار ما كان لمهاجرة علماء المسيحية من القسطنطينية إلى روما من البعث والازدهار. ومنها مناصرة الأيوبيين له بالمال والتعضيد؛ لأنهم وإن كانوا أكرادًا قد تكلموا بلغة العرب وتأدبوا بأدب العرب ونبغ من بينهم الشاعر والعالم والمؤرخ، كالملك المؤيد عماد الدين أبى الفداء، والملك الأفضل على بن صلاح الدين، وكان هذا الملك ضعيف الرأى كثير الغفلة فغلبه عمه العادل أبو بكر وأخوه العزيز عثمان على ملك الشام ومصر، فكتب إلى الخليفة الناصر العباسى كتابًا يشكو إليه فيه ذلك، وقد بدأه ببيتين من الشعر أجاد فى نظمهما كل الإجادة وهما:

مولاى إنا أبا بكر وصاحبه ... عثمان قد أخذا بالسيف حق على

فانظر إلى حرف هذا الاسم كيف لقى ... من الأواخر ما لاقى من الأول

يريد بأبى بكر عمه، وبعثمان أخاه، وبعلى نفسه، فأجابه الخليفة الناصر بقوله:

وافى كتابك يا ابن يوسف معلنًا ... بالصدق يخبر أن أصلك طاهر

غصبوا عليًا حقه إذ لم يكن ... بعد النبى له بيثرب ناصر

فاصبر فإن غدًا عليه حسابهم ... وأبشر فناصرك الإمام الناصر

والجزالة ظاهرة فى شعر الملك الكردى ظهور الركاكة فى شعر الخليفة العربى!.

كذلك أقول فى المماليك فقد أيدوه وأمدوه؛ لأنهم اتخذوا مصر وطنًا، والإسلام دينًا، والعربية لغة، وكان من بينهم شعراء عالجوا القريض وأجادوه كالسلطان الغورى، هؤلاء المماليك قد عضدوا العلماء وقربوا الأدباء، وشدوا أزر المعلمين والمؤلفين، حتى خرَّج الأزهر فى ظلهم أولئك الأئمة الذين استودع الله صدورهم ذخائر العلم والحكمة فأودعوها الكتب، وأخرجوها للناس: كجمال الدين بن منظور، وجمال الدين بن هشام، وشمس الدين النويرى، وابن فضل الله

العمرى، وشمس الدين الذهبى، والحافظ بن حجر العسقلانى، وأبى العباس القلقشندى، وتقى الدين المقريزى، وبدر الدين العينى، وسراج الدين البلقينى، وبدر الدين الدمامينى وشمس الدين السخاوى، وكمال الدين الدميرى، وتقى الدين الدميرى، وجلال الدين السيوطى، وتقى الدين القشيرى المعروف بابن دقيق العيد.

لهذه المزايا انتهت إلى الأزهر فى القرون الثلاثة السابع والثامن والتاسع زعامة الثقافة فى جميع البلاد العربية والإسلامية، فحفظ وجود اللغة، ورفع سقوط الأدب، وجمع شمل العلم، ولولاه لانقطع ما بين الأدبين القديم والحديث.

أما المحنة الأخرى التى امتحنت بها العربية وكان للأزهر الفضل فى وقايتها وسلامتها فهى محنة الغزو التركى فى أوائل القرن العاشر حين استولى السلطان سليم الأول على مصر والشام سنة ٩٢٣هـ فأصبحت الخلافة عثمانية عباسية، وعاصمة الإسلام القسطنطينية لا القاهرة، واللغة الرسمية التركية لا العربية، ومكث الغازى سليم فى مصر بعد الغزو ثمانية أشهر سلبها فيها أنفس أعلاقها من الكتب والتحف والآثار لنوابغ الفنانين والمؤلفين الذين تخرجوا فى الأزهر وأنتجوا فى مصر مدى القرون الثلاثة التى سبقت الغزو العثمانى، وأخذ الغزاة يغلبون لغتهم على اللغة العربية فى الدواوين، ويطاردونها فى المدارس، حتى كانوا يعلمون قواعد اللغة العربية باللغة التركية فى الشام والعراق! ففشا فى اللغة العامى والدخيل، وذهبت أساليبها من النظم والنثر، وخيم الظلم والظلام على النفوس فخمدت القرائح، وضعفت رغبة الحكام فى العلم، وانقطعت أسباب الطلب له، واستطاع الترك أن يتركوا كل شىء فى مصر من سياسة وإدارة وتعليم وجيش إلا الأزهر، فقد راعهم ما أحسوا من جلاله وما سمعوا عن مجده، فوقفوا على أبوابه خاشعين يلتمسون منه العون على ما ينجم من أحداث، والرأى فيما يشكل من الأمور.

والسلطان سليم نفسه قد زاره مراراً فصلى فيه وتبرك به. ومن قبل قد غزا الأزهر بلاد الأتراك بعلمه وأدبه وكتبه فعرب طائفة منهم تعلموا العربية وتكلموا بها وألفوا فيها كالفيروز أبادى وأبى السعود والفنارى وملا خسرو والجامى والخيالى

وخوجه زادة وملا مسكين وملا لطفى وحاجى خليفة وطاشكبرى زاده وابن كمال باشا وكان سلاطين العثمانيين أنفسهم يدرسون العربية وآدابها كما كانوا يدرسون التركية وآدابها، ومنهم من قرض الشعر العربى ورواه كالسلطان أحمد الأول فقد رووا له قصيدة غزلية مطلعها:

ظبى يصول ولا وصول إليه   جرح الفؤاد بصارمى لحظيه

ولم تضعف عناية علماء الترك بالعربية إلا فى عهد السلطان محمود الثانى وابنه السلطان عبد المجيد الأول حين أحيا اللغة التركية وقربا مواردها وبسطا قواعدها وسمياها اللغة العثمانية، فأنتم ترون أن اللغة العربية قد أتى عليها ستة قرون قضتها بين الاحتضار والموت، ثلاثة منها فى العصر المغولى، وثلاثة أخرى فى العصر العثمانى، أمحت فيها من الهند وخراسان والعراق وبلاد الروم والأندلس، وبقيت فى الأقطار العربية بقاء المريض أشرف على الموت ولم يبق منه إلا زمن ذلك الرمق هو الذى كفله الأزهر وتعهده فغذاه وقواه ورعاه، حتى إذا انجاب عن مصر قتام الحكم العثمانى وأراد الله لشمس الحضارة أن تشرق مرة أخرى على وادى النيل زايل اللغة الوهن وسرت فيها الحياة، ففى الأزهر كان ملاذها وغياثها، وفى الأزهر كان بقاؤها وانبعاثها.

كان الأزهر بعد انتهاء تلك الغمرة باحتلال نابليون، وابتداء هذه النهضة باستقلال محمد على، قائد الشعب فى الكفاح ورائد الحكومة فى الإصلاح، تمثلت قيادته فى شيوخه الأجلاء خليل البكرى، وعبد الله الشرقاوى، ومحمد المهدى وسليمان الفيومى، وحسن العطار. وتجلت ريادته فى طلابه النجباء الذين أرسلوا إلى أوروبا ليستفيدوا ويستزيدوا كإبراهيم النبراوى، وأحمد حسن الرشيدى، ومحمد على البقلى، ورفاعة الطهطاوى، وعلى مبارك، وتلك يد أخرى لهذا المعهد الجليل على اللغة العربية، ساعدها على النهوض، كما حماها من قبل دون السقوط.

وهناك محنة ثالثة تجتازها اللغة اليوم وتوشك أن تبلبل اللسان وتعطل القرآن وتقطع الدين عن أصله، وتفصل العربى عن أهله، وتهبط بالأدب من جبل

الوحى وهيكل عطارد حيث الترفع والسمو والنبل، إلى حضيض المادية حيث التسفل والتبذل والفحش.

تلك هى محنة الإباحية اللغوية التى تغلب العامية على الفصحى، وتؤثر أدب العامة على أدب الخاصة، وتفضل الموضوع المثير على الموضوع المنير، وتريد أن يكتب الكاتب وينظم الشاعر كما يشاء، لا يتقيد بقاعدة من نحو ولا قياس من صرف ولا نظام من بلاغة ولا وزن من عروض ولا مثال من خلق. ولهذه المحنة أو المشكلة أصلان: الاستعمار والجهل. أما الاستعمار فلأنه رأى أن الرابطة بين المسلمين على اختلاف أقطارهم وتباعد ديارهم هى الدين واللغة، ومادامت أمة محمد روحًا واحدًا بالإسلام، ولسانًا واحدًا بالعربية، فإن استغلالها موقوت وإن طال، وإن استقلالها آت وإن تأخر، لذلك سعت فرنسا سعيها الدائب فى الجزائر لفتنة البربر عن دينهم بإصدار الظهير المعروف، وقطع العرب عن لغتهم بطردها من المدارس والدواوين. ولكن دين الله كان أقوى من ظهير فرنسا، ولغة المصحف كانت أمضى من لغة السيف. واكتفت انجلترا على عادتها من الدهاء والكياسة بمحاربة الفصحى فدعت إلى العامية بلسان موظفيها ومبشريها ومستشرقيها؛ لأن اللغات العامية تختلف فى البلاد العربية اختلافًا شديدًا يكاد يجعل من كل لهجة لغة مستقلة. وإذا انهزمت أمامها اللغة المشتركة وهى الفصحى استحال التفاهم وضعفت العقيدة، وانقطعت الصلة، وتفرقت الوحدة، وتبددت القوة واستطاع المستعمر أن يلتقمها لقمة لقمة فلا يغص ولا يشجى. ولكن هذه الدعوة فشلت بضعف الاستعمار فى الشرق، وقوة الوعى فى العرب. وأما الجهل وهو الأصل الآخر لمحنة اللغة العربية فقد خلف الاستعمار فى هذه الدعوة المجرمة، والمراد بالجهل جهل أبناء العربية بها، وعزوفهم عن علومها وأدبها، وهو جناية المدرسة المدنية الحديثة، فقد فشلت بعد طول الزمن وكثرة التجارب فى تخريج القارئ الذى يقرأ بفهم، والكاتب الذى يكتب عن علم، والمفكر الذى يفكر عن أصالة، وليس أدل على هذا الفشل من أن الطالب يتعلم النحو عشر سنين دأبًا ثم لا يستطيع بعد ذلك أن يعبر عن فكره تعبيرًا صحيحًا لا بلسانه ولا بقلمه، فإذا دفعه استعداده الأدبى إلى الكتابة آثر العامية على الفصحى ودعا إلى التحلل من القواعد

والقيود ليجعل الفوضى نظامًا والخطأ مذهبًا والعجز شركة. كانت علوم العربية تدرس فى الأزهر ودار العلوم ومدرسة القضاء الشرعى وفيما يجرى على منهجه من معاهد لبنان وسورية والعراق والمغرب دراسة عميقة تمكن الطالب المجتهد المستعد من فهم ما يقرأ وفقه ما يعلم وتعليل ما ينقد وتحليل ما يذوق. فإذا اتصل النظر بالعمل واقترن الحكم بالتطبيق وصادف ذلك استعدادًا فى المتعلم ظهر الكاتب الذى يكتب فيجيد، والشاعر الذى ينظم فيبدع، والناقد الذى يحكم فيصيب، أما إذا فتر الاجتهاد وضعف الاستعداد ظهر الأديب العالم الذى يهيئ الوسائل ويقرب المناهل ويوجه المواهب ويسدد الخطى، ومن هاتين الفئتين تستمد الحركة الأدبية عناصرها الحيوية فتقوى لتزدهر وتنمو لتنتشر وتسمو لتخلد. وكان من خريجى هذا المنهج القديم أولئك الأدباء الأصلاء الذين حفظوا تراث اللغة وجددوا شباب الأدب وأسسوا هذه النهضة الأدبية الحديثة، ولا يزال من هذه الطبقة الكريمة فئة قليلة فى أقطار العروبة تستبطن لغتها وتتعمق أدبها وتعرف لماذا تكتب الجملة على وضع دون آخر، فإذا خلا المجتمع بعد أجل طويل أو قصير فهل يخلف من بعدهم خلف يحملون أمانة اللغة ويبلغون رسالة الأدب؟

الجواب عن هذا السؤال عند الأزهر وحده؛ فهو بحكم طبيعته وعلة وجوده معتصم اللغة ومنجاها فى الماضى والمستقبل، أما المعاهد الأخرى فكل شىء فيها يبعث على التشاؤم: منهج تطبيقى يكاد يخلو من القواعد، وتعليم سطحى مقتضب لا هدف له إلا اجتياز الامتحان العام بأية وسيلة، فالمطلوب تختصر، والمختصرات تختزل، فلا يبقى بعد ذلك فى ذاكرة الطالب إلا رموز على معان عائمة غائمة لا هى مستقرة ولا هى واضحة. ذلكم إلى زهادة فى الجد النافع من ثقافة اللسان والقلم تقعد النشء عن تعمق الأصول وتقصى الفروع، وتقنعهم بالقدر الذى ينقلهم من سنة إلى سنة أو من شهادة إلى شهادة، فإذا ما تخرج الناشىء بهذا الحظ المنكود من اللغة وكان فى نفسه ميل إلى الأدب، وفى طبعه استعداد للكتابة، انصرف عن كنوز الأدب العربى، لأن مفاتيحها ليست عنده، وأقبل على روائع الأدب الغربى يحاكيها ويستوحيها حتى إذا امتلأ ذهنه وفاض شعوره وأراد أن ينتج شيئًا يفيد الناس وجد فى نفسه الملكة التى تخلق وفى حسه

الصورة التى تمتع، ولكنه لا يجد فى لسانه اللغة التى تعبر، ولا فى قلبه الأسلوب الذى يؤثر، فيضيق ويسخط ويثور، ويزعم أن قواعد اللغة غصة لا تساغ، وأن إعراب الكلمة عقبة لا تذلل، ثم يتطرف فيدعو إلى إطلاق الحرية للكاتب فيكتب كما يشاء.

تلك حال المتخرج الأديب بطبعه أما المتخرج العادى فإنه يعود أميًا كما بدأ، لا يقرأ إذا قرأ إلا السهل، ولا يطلب هذا السهل إلا فى قصة عامية تخدر الشعور، أو فى مجلة فكاهية تنبه الشهوة، حتى تنشأ من إفراط القراء فى هذا الطلب، إفراط الكتاب الخفاف عن عرض الأدب اللذيذ الذى لا ينفع، أو الأدب الماجن الذى لا يرفع، ذلكم إلى طغيان الأدب الأوروبى بمذهبه ونزعاته وترهاته على عقول النائبين الذين ثقفوا هذه الثقافة الأدبية الهشة ففتنتهم عن أدبهم وصرفتهم عن تاريخهم، فالمتفرنسون منهم يعرفون هوجو ولا يعرفون المتنبى، ويدرسون فولتير ولا يدرسون الجاحظ، ويقرءون لا مرتين ولا يقرءون البديع، ومن هنا نشأت هذه التبعية التى فرضها الشباب على أدبنا لأدب الغرب، فأساليبهم الكتابية اليوم هى أساليب الكتابة فى الغرب، ومذهبهم الأدبية هى مذاهب الأدب فى الغرب، ومقاييسهم النقدية هى مقاييس النقد فى الغرب، حتى الرمزية وهى بنت الأفق الغائم والنفس المعقدة واللسان المغمغم يريدون أن تتبناها العربية بنت لصحراء المكشوفة والشمس المشرقة والطبع الصريح، وحتى الوجودية وهى بنت الخلق المنحل والذوق المنحرف والغريزة الحرة، يحاولون أن تتقبلها العربية لغة الرسالة الإلهية التى كرمت الإنسان وفصلته من سائر الحيوان بحدود من الدين والخلق لا يتعداها وهو عاقل، ولا يتحداها وهو مؤمن.

ليس الأمر فى الأدب كالأمر فى العلم، الأدب والعلم للناس، الأدب مواطن والعلم لا وطن له؛ الأدب روح فى الجسد ودم فى العروق يكون شخصية الفرد فيحيا مستقلاً بنفسه، ويبرز شخصية الشعب فيحيا متميزًا بأفراده، الأدب جنس ولغة وذوق وبيئة وعقلية وعقيدة وتاريخ وتقاليد. والعلم شىء غير أولئك كله، فإذا جاز طبعًا أن تأخذ من غيرنا ما يكمل نقصنا من العلم، فلا يجوز قطعًا أن نأخذ من هذا الغير ما يمثل أنفسنا من الأدب.

إن دراسة العربية على النهج الصحيح المنتج بعد المدرسة لا يكلف المتأدبين من الجهد والزمن أكثر مما تكلفهم دراسة الفرنسية والإنجليزية: ولكنهم فى عصر السرعة يطلبون القريب ويتوخون السهل ويتخطفون العلم ويتعجلون الإنتاج، ثم يحقدون على ما يلزمونهم التأنى ويجشمونهم الدرس ويقولون لهم إن أحدًا لا يعرف فى تاريخ الأداب القديمة والحديثة من يعد فى لغته كاتبًا أو شاعرًا أو قصاصًا أو مؤلفًا، وهو لا يعرف من قواعدها الأساسية ما يقيم لسانه وقلمه، وإذا كان الناس يقرءون الصحيفة أو الكتاب ولا يقعون فيها على الخطأ الذى يفضح المستور ويكشف الغش فالفضل لأولئك الجنود المجهولين من الأزهريين الذين يرابطون ليل نهار فى دور الصحافة والنشر ويسمونهم المصححين؛ فإنهم يمرون بأقلامهم الحمر على المعوج فيستقيم، وعلى المعجم فيعرب، وعلى الركيك فيقوى.

لا بأس أن ييسر النحو والصرف والبلاغة على الطلاب: ولكن البأس كله فى المدى الذى بلغه هذا التيسير، لا بأس أن نخفف على غير المتخصصين من عبء التقديرات والتعليلات التى فلسف بها النحاة النحو، ومن حفظ وجوه الإعراب التى بقيت فى اللغة أثرًا لاختلاف اللهجات فى الجاهلية فشوهت القواعد وجعلت كل خطأ صوابًا وكل صواب خطأ، ولكن البأس كله أشبه بالهيكل العظمى، فيه الخفة والبساطة والشكل، وليس فيه العضل والعصب والروح. إن ما يبقى من هذا المنقوص بعد النسيان، لا تحيا به لغة ولا يبقى عليه أدب، فإذا استطاع يومًا أن يجيز امتحانًا أو ينيل شهادة فلن يستطيع أبدًا أن يخرج أمثال من خروجهم الأزهر بشيوخه وكتبه، كمحمد عبده، وسعد زغلول، والمنفلوطى، والبشرى، وطه حسين، ولا أمثال من خرجتهم دار العلوم كشاويش، والمهدى، والخضرى والسكندرى والجارم ولا أمثال من خرجتهم مدرسة القضاء الشرعى. كأحمد أمين وعزام والخولى. ولا أمثال من خرجتهم دار المعلمين العليا، كالمازنى وشكرى وأبو حديد. ولا أمثال من خرجتهم كتب الأزهر كالعقاد، والرافعى، وشوقى، وحافظ فى مصر. وكالبستانيين واليازجيين، والشدياق ومطران والخورى فى لبنان. وكالمغربى والشهابى، وجبرى، والطنطاوى، فى سوريا. وكالرصافى، والزهاوى وكاشف الغطاء، والشبيبى، والأثرى فى العراق، وكالنشاشيبى والسكاكينى فى فلسطين.

إنى أدعو إلى التوفيق بين الفصحى والعامية، ومذهبى فى مجمع اللغة العربية إمداد الفصحى بما تزخر به العامية من ألفاظ الحضارة وتراكيبها التى دخلت فى الحياة العامة حتى تضيق مسافة الخلف بين اللهجتين وينتهى بها الأمر بفضل الصحافة والإذاعة والتعليم إلى لغة واحدة عامة فيها من الفصحى السلامة والجزالة والبلاغة والسمو، وفيها من العامية الدقة والطبيعة والحيوية والتجدد والوضوح. أما أن تكون لغتنا كلغة الهمج لا تقوم على قواعد، ولا تجرى على أنظمة، ولا تشعرنا بجمال، ولا تحفزنا لكمال، ولا تربطنا بماض، ولا تصلنا بمستقبل، ولا تجمعنا فى وحدة، فذلك مذهب لا يقول به رجل وهو جاد، ودعوة لا يستجيب لها إنسان وهو عاقل.

فإذا تركنا الأمور تجرى كما تجرى انتهت بنا إلى تغلب العامية لأن أساليبها غالبة على السمع، وقواعدها جارية على الطبع، فلا يحتاج تحصيلها إلى كتاب ومعلم ومدرسة، وإنما يحتاج إلى بواب وخادم وشارع وتغلب الأساليب العامية معناه كما قلت فصل الأدب عن الدين وقطع الحاضر عن الماضى وتوهين الصلات بين العرب. وفى يقينى أن أمر العربية لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوله: فقه أسرارها كل الفقه، وفهم قواعدها أدق الفهم، وحفظ أدبها أشد الحفظ، وذلك يستلزم الجهد والجد فى إعداد المعلم، والعلم والخبرة فى وضع المنهج، والمنطق والذوق فى تأليف الكتاب، والكتاب الأزهرى الذى تخرجنا عليه وما زلنا نرجع إليه كنز من المعارف لا يعوزه إلا سهولة مأخوذه وحسن تنسيقه وجمال عرضه، فالفرق بينه وبين الكتاب الحديث في العرض كالفرق بين حانوت من حوانيت العطارة فى الغورية، وبيت من بيوت التجارة فى قصر النيل، قد يكون فى الحانوت القديم ما ليس فى المتجر الحديث من السلع التواجر والطراف النوادر؛ ولكن اختفاءها فى ركن غير ظاهر، وعرضها فى معرض غير لائق، يضعف الإقبال عليها ويقلل الاستفادة منها، فإذا عرضت الكنوز الأزهرية عرضًا جميلا مشوقًا فى الدروس والمحاضرات والمذكرات والكتب كان ذلك خليقًا أن يدنى قطوفها من الطلاب على غير مؤونة ولا كد ذهن.

* * *

إن رسالة الأزهر قائمة كما قلت على ركنين من دين ولغة، ولكن الأمر فى تأديته إياها جد مختلف. الدين كامل لأنه من عمل الله، واللغة ناقصة لأنها من عمل الإنسان، والكمال الإلهى لا يتأثر بالمكان ولا بتغير بالزمان ولا يضيق بالحضارة ولا يبرم بالعلم، فهو جديد أبدًا، صالح أبدًا، ثابت أبدًا. أما الناقص فهو عرضة للفساد والجمود والتخلف، وموضع للزيادة والتجديد والتطور، لذلك كان الاجتهاد فى اللغة وعلومها أمرًا تحتمه الضرورة وتقتضيه الطبيعة؛ لأن اللغة لا يمكن أن تثبت ثبوت الدين، ولا أن تستقل استقلال الحى، فهى ألفاظ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، والأغراض لا تنتهى، والمعانى لا تنفذ، والناس لا يستطيعون أن يظلوا خرسًا، وهم يرون الأغراض تتجدد والمعانى تتولد، والحضارة ترميهم كل يوم بمخترع، والعلوم تطالبهم كل حين بمصطلح، ولا علة لهذا الخرس إلا أن البدو المحصورين فى حدود الزمان والمكان لم يتنبأوا بحدوث هذه الأشياء، ولم يضعوا لها ما يناسبها من الأسماء.

نشأ من إنكار حق الوضع اللغوى على المولدين وحصره فيمن يعتد بعربيتهم من عرب الأمصار حتى آخر المائة الثانية، أو أعراب البوادى حتى آخر المائة الرابعة، أن طغت اللغة العامية طغيانًا جارفًا حصر اللغة الفصحى فى طبقات العلماء والأدباء والشعراء والكتاب يكتبون بها للملوك، ويؤلفون فيها للخاصة، وسيطرت على حياة الأمة فى شئونها العامة وأغراضها المختلفة؛ لأن العامية حرة تنبو على القيد، وطبيعية تنفر من الصنعة، فهى تقبل من كل إنسان، وتستمد من كل لغة، وتصوغ على كل قياس. والناس فى سبيل التفاهم يؤثرون السهل، ويستعملون الشائع، ويتناولون القريب. وتخلف اللغة عن مسايرة الزمن وملاءمة الحياة معناه الجمود. والنهاية المحتومة لجمود اللغة اندراسها بتغلب لهجاتها العامية عليها وحلولها محلها، وقد تنبه مجمع اللغة العربية لهذا الخطر فقرر فيما استجابة لاقتراح عرضته، فتح باب الوضع اللغوى للمحدثين بوسائله المعروفة من الاشتقاق والتجوز والارتجال، وإطلاق القياس ليشمل ما قيس من قبل وما لم يقس. وتحرير السماع من قيود الزمان والمكان ليشمل ما يسمع اليوم من طوائف المجتمع كالبنائين والنجارين وغيرهم من أرباب الحرف والصناعات، واعتماد الألفاظ المولودة

وتسويتها بالألفاظ القديمة، وعلى هذه المبادئ وغيرها وضع معجمه الوسيط الذى سيظهر قريبًا.

أما الاجتهاد فى الدين فقد فتحت أبوابه أول الأمر لمن تجهز بجهازه واعتدبه بعدته، حتى إذا زخر الفقه الإسلامى على اختلاف مذاهبه ومدى عصوره بالآراء المحكمة والوجوه المحيطة، وجد فيه المسلمون جوابًا شافيًا عن كل سؤال يخطر على الذهن، وحلا جامعًا لكل إشكال يعرض فى المجتمع، وحكمًا عادلاً فى كل قضية ترفع إلى القضاء، فاستغنوا بغزارته وإحاطته عن الاجتهاد فيه، وانصرفوا إلى اجتهاد من نوع آخر هو الاجتهاد فى اختيار الرأى المناسب، وترجيح الحكم الموفق. جاء فى كتاب الولاة والقضاة للكندى أن قاضيًا شافعى المذهب كان بمصر فى عصر الإمام الطحاوى وكان يتخير لأحكامه ما يرى أنه يحقق لم يستطع أحد أن يطعن عليه فى دينه ولا فى خلقه ولا فى حكمه، سأل هذا القاضى الإمام الطحاوى عن رأيه فى واقعة من الوقائع فقال الطحاوى: أتسألنى عن رأيى أو عن رأى أبى حنيفة؟ قال القاضى: ولم هذا السؤال؟ قال الطحاوى ظننتك تحسبنى مقلدًا فقال القاضى: لا يقلد إلا عصبى أو غبى. هذه الثروة الفقهية الضخمة لم يحجبها عن الناس إلا أسلوب التأليف القديم، واليوم وقد تطورت المدنية وتغيرت العقلية ينبغى أن يطابق التعليم والكتاب مقتضيات العصر. هذه هى المحنة الثالثة التى تعانيها اللغة العربية اليوم.

وهى لا تختلف عن سابقتيها إلا فى أن موقف الأزهر منها يجب أن يكون إيجابيًا: يقابل العمل بالعمل، ويرد الكيد بالكيد، ويقاوم الدعاية بالدعاية، ويقف بالمرصاد لكل من يسول له جهله أو هواه أن يعبث بلغة الإسلام، ويوهن رابطة العرب. والأزهريون الذين حملوا أمانة الله، وبلغوا رسالة نبيه أكثر من عشرة قرون يستطيعون أن يدرءوا خطر هذه الإباحية عن اللغة والدين، متى صدقوا الجهاد، وذكروا أنهم جند الله، يرمى بهم العدو فى كل وقت وفى كل أرض وعلى أية صوره، فيعيشون للموت كالجنود، ويعملون للحياة كالقادة، ويعزفون عن الدنيا كالرسل، والله سبحانه وتعالى قد ضمن للعربية بقاء البيان ببقاء القرآن وعلى أيدى الأزهر- المؤمنين برسالته- صدق الله وعده، إن الله لهو خير الصادقين.

الأزهر من بعيد.. ومن قريب

كتب محمد زكى عبد القادر فى يومياته فى الأخبار عام ١٩٦١ يقول:

الأزهر عـزيز علىّ جدًا، لا لأنه مـنارة الإسلام والمسلمـين عـبر قـرون طويلة فحسب، ولكن لأنه اقتـرن بصباى، فقد كان عمى طالبًـا فى الأزهر وكنت تلميذًا بالمدارس الثـانوية أقيم مـعه ويرعى شئـونى وأنا وهو مغـتربان فى القـاهرة لطلب العلم. . وكنت لهذا ألتـمسه فى فناء الأزهر، وأراه يشهد الدروس، فـأجلس معه استمع فلا أفهم ولكننى أعجب لطول الدرس وطول الأناة ويشوقنى أن أرى الشيخ يلقى ما يلقى ويسأل من وقت إلى آخر: ظاهر. . ظاهر. . فيـسمع همهمة تقول: ظاهر يا سى الشيخ.

وكنت أخشى الأزهر عند الامسيات حين أكـره وحدتى فى مسكنى، فيقول عمى: لا عليك. . هات كتـبك واجلس معنا ذاكر دروسك. . وكنت فى سن صغيـرة أخشى فيها الوحـدة، فأوثر أن أحمل كتـبى. وآخذ مقعدى كـما كان يفعل طلاب الأزهر حينئذ، جالسين عـلى الحصر الممدوة، ومن فوقهم قناديل بيضاء جـميلة، ترسل نورًا كليلاً، ولكنه كاف لكى أرى وأقرأ من غـير صوت ولكى يروا ويقرءوا بصـوت، يجتمع مع الأصوات الأخـرى، فإذا الأزهر كله خلية نحل لا تكف عن الهمهمة، بل ما يشبه الضجيج. . وكان كلاهما يحول بينى وبين أن يأخذنى النوم الذى كان يطاردنى إذا آثرت أن أبقى فى البيت.

وفرغت من دراستى الثانوية، والتحقت بكلية الحقوق، وعمى يرعانى، وصلتى بالأزهر لا تنقطع، أغشاه لكى اقرأ وأدرس، وأغـشاه لكى أجلس إلى زملاء عمى من طلاب الأزهر، وأنصت أحيانًا إلى مـا يقرأون فلا أفهم شيـئًا أيضًا على الرغم من أننى حـينئـذ كنت قـد بلغت من الفـهم والدرس ما أفـضى بى إلى الدراسـة الجامعية. .

***

ومرت الأيـام وتخرجت، وافـترقت الحظوظ بينى وبين من عـرفت من طلاب الأزهر، ولكن صورة الأزهر ظلت خيالاً يلازمنى طوال حـياتى، وقرأت ما قرأت ووعيت ما وعيت وأدركت من تاريخ الأزهر الكثير، واقترنت القراءة عنه بالصورة التى كابدتها وعرفتها وثبتت فى خيالى.

وكنت أزوره بين الوقت والآخـر، صـحـيح أن الفـتـرات بين زياراتى كـانت متبـاعدة، ولكننى كنت أزوره لكى تظل صورة هذا المسـجد العتيق العـريق الأمين حيـة فى خاطرى وقـد اقترنت فـى حياتى بمطلع صـباى، وقـرأت تاريخه منعـمًا متأملاً، وقارنت بين مراحل تاريخه والمرحلة التى كان يعيش فيها، فوجدت الفرق الكبيـر بين الصورتين.. كان الأزهر فيـما مضى ومنذ إنشائه إلى تاريخـه الوسيط منارة العلوم الدينيـة والدنيـوية، كان ينبـوع المعرفـة فى الطب والفلك والهندسـة والكيمياء والجغرافيا إلـى جانب المعرفة فى علم الدين. كان يقدم للوطن والإسلام خلاصـة الرجال الذين رفـعوا ذكره ورفـعوا عنه العدوان.. كـان المنارة التى تشع المعرفة بكل أنواعها فى العـالم الإسلامى والعالم العربى. ثم شاءت ظروف الحكم والسياسة وقـهر الشعب أن ترد الأزهر بعض الشىء عن المشاركة الفـعلية فى حياة البلاد، فقصـرته على دراسة الدين وفصلته أو كادت عن شـئون الدنيا المتطورة من حـوله. وليس هذا فى شىء من الدين ولا هو فى شئ مـن الإسلام، فـالدين لا يفرق بين شئون الدين والدنيا، والإسلام منذ وجد منهج للحياة، ومشاركة خالصة فى سعادة الإنسان فى الدنيا بحسبانه عضواً فى جماعة متطورة لابد أن يأخذ حظه من العلم والحضارة والتقدم المادى.

✿✿✿

الأزهر الخالد

تمهيد:

الأزهر هو أعرق الجامعات العلمية فى العالم، فهو أطولها عمرًا وأجلها أثرًا فى تاريخ الفكر العربى والإسلامى، بل فى تاريخ العلم كله.

والأزهر طوال عصور التاريخ حارس التراث العربى وحامل مشعل الثقافة الدينية، والملاذ الذى تهوى إليه أفئدة المسلمين من كل مكان، والضوء الذى ينير لهم الطريق ويبصرهم سواء السبيل.

وللأزهر مكانة كبرى فى مصر والعالم الإسلامى جميعه، وآراء وفتاوى علمائه تقابل من كل مسلم فى العالم الإسلامى بمزيد من التقدير والإجلال والطاعة.

ولم تقم فى مصر جامعة علمية بالمعنى الصحيح قبل الأزهر، الذى له تاريخ طويل وذكريات مجيدة وآثار علمية ودينية عديدة.

من تاريخ الأزهر:

أنشأ الجامع الأزهر جوهر الصقلى قائد الخليفة الفاطمى المعز لدين الله بعد فتحه مصر بنحو عام، وقد شرع فى بنائه يوم السبت بقين من جمادى الأولى سنة ٣٥٩هـ - ٩٧٠م، ويذكر بعض المؤرخين أنه شرع فى بنائه فى يوم السبت الرابع من شهر رمضان فى العام نفسه، وقد كمل بناؤه لسبع خلون من شهر رمضان سنة ٣٦١هـ - ٢٢ يونيو سنة ٩٧٢م، وكان الغرض من إنشائه أن يكون رمزًا للسيادة الروحية للدولة الفاطمية - ومنبرًا للدعوة التى حملتها هذه الدولة الجديدة إلى مصر.

وقد أطلق على هذا المسجد اسم الأزهر نسبة إلى السيدة فاطمة الزهراء التى ينتسب إليها الفاطميون، أو لأنه كان يحيط به قصور فخمة تسمى بالقصور الزهراء، أو لأنه كان يظن أن هذا الجامع أكثر الجوامع فخامة ورواء، أو للتفاؤل بأنه سيكون أعظم المساجد ضياء ونورًا. . وقد احتفل بافتتاحه فى أول جمعة من رمضان عام ٣٦١هـ.

وأصبح هذا الجامع مسجد الدولة الرسمى، وقد حرص وزير المعز يعقوب بن كلس على أن يقيم حفلة علمية فى الأزهر، حيث كان يقرز على الناس فى مجلس خاص يوم الجمعة مصنفاته فى الفقه الفاطمى، كما كان يجتمع يوم الثلاثاء بالفقهاء وجماعة المتكلمين وأهل الجدل، وحرص الخليفة كذلك على تكليف كبار العلماء بإقامة حلقات علمية فى أروقة الأزهر لتدريس الفقه الفاطمى، وكان يمنحهم مرتبات شهرية. ولهذا صار الأزهر جامعة علمية، وظهر ذلك جليًا حينما بدأت حلقاته تتحول إلى دراسة جامعية علمية مستقرة. وذلك عام ٣٧٨هـ - ٩٨٨م حينما استأذن ابن كلس الخليفة العزيز بالله فى أن يعين بالأزهر جماعة من الفقهاء للقراءة والدرس فى كل جمعة من بعد الصلاة حتى العصر، وكان عددهم ٣٧ فقيهًا.

وفى عام ٣٨٠هـ رتب المتصدون لقراءة العلم بالأزهر.. وبذلك صار الأزهر معهدًا جامعيًا للعلم والتعليم والدراسة. ومن هذا التاريخ يبدأ الأزهر حياته العلمية الجامعية الصحيحة.

وقد استمرت الحركة العلمية والدينية فى الأزهر قوية مزدهرة فى عهد الفاطميين الذين وقفوا عليه الوقوف وأحاطوه بالرعاية، وكان فى مقدمة الأساتذة المدرسين فى الأزهر بنو النعمان قضاة مصر.

ولما قامت الدولة الأيوبية فى مصر عام ٥٦٧هـ. على يدى مؤسسها السلطان صلاح الدين الأيوبى، محا من مصر المذهب الفاطمى وأحل محله المذهب السنى، وغالى الأيوبيون فى القضاء على كل أثر للشيعة، وأفتوا بإبطال إقامة الجمعة فى الأزهر.. فلبثت معطلة فيه نحو مائة عام، فقضى الأزهر هذه المدة فى ركود طويل، وقد ظلت حلقات الدراسة فيه على الرغم من ذلك مستمرة دون أن تحظى هذه الحلقات فى ذلك العصر بكثير من رعاية الدولة.

وفى عام ٦٦٥هـ أعيد افتتاح الأزهر لصلاة الجمعة فى عهد بيبرس الذى شجع العلم فيه هو والأمراء والقواد، ووقفوا عليه الأوقاف الطائلة... واستمر الأزهر يؤدى واجبه الدينى والعلمى فى عهد المماليك وعهد الدولة العثمانية وعهد النهضة المصرية الحديثة.

وأول شيخ تولى مشيخة الأزهر كما يحدثنا التاريخ هو الشيخ الخراشى المالكى المتوفى عام ١١٠١هـ وتولى بعده الكثير من مشايخ الأزهر حتى بلغوا حتى اليوم ٤١ شيخًا آخرهم شيخ الأزهر الحالى الشيخ عبد الرحمن تاج[1].

وفى عهد محمد على وأسرته انتقصت أوقاف الأزهر وحقوقه، ولكنه ظل يؤدى واجبه العلمى والدينى بنشاط كبير. ومن الأزهر كان طلبة البعوث الذين بعث بهم محمد على إلى أوروبا وعادوا إلى مصر ينشرون العلم والمعرفة والنهضة فى كل مكان، وكانت جل المدارس التى أنشأها محمد على تأخذ طلبتها من طلبة الأزهر الشريف، ولما أنشئت دار العلوم عام ١٨٧١م ومدرسة القضاء الشرعى عام ١٩٠٧م استمدتا طلبتهما من الأزهر. وكان مدرسو الدين واللغة العربية فى جميع مدارس الدولة ومعاهدها من خريجى الأزهر الشريف. وكذلك كان طلبة مدرسة المعلمين الأولية وأساتذتها.

وقد قام الأزهر بنشاط كبير، وأسهم بنصيب ضخم من الجهاد الوطنى فى جميع المواقف القومية الوطنية، فهو الذى قاوم الاحتلال الفرنسى لمصر، وهو الذى أذكى لهيب الثورة العرابية، وهو الذى غذى ثورة عام ١٩١٩، وله فى كل موقف وطنى جهاد مذكور مشكور.

ومنذ آخر القرن التاسع عشر إلى عصرنا وضعت قوانين منظمة لشئون الأزهر. ومن أشهر هذه القوانين قانون عام ١٩٣٠م بإصلاح الأزهر الشريف، وآخر هذه القوانين قانون عام ١٩٣٦م الذى يسير الأزهر عليه اليوم فى نظامه الجامعى والعلمى، وفى تقسيمه إلى معاهد وكليات[2].

فضل الأزهر على العلوم والآداب:

الأزهر بيت العلم العتيق ومثابة الثقافة الإسلامية. حمل لواء المعرفة فى مصر وفى الشرق الإسلامى قرونًا متصلة وحفظ التراث الإسلامى فى الدين واللغة والعلوم ونشره على الآفاق طيلة ألف سنة أو يزيد. وقد تخرج فيه أفواج من

---

(١) وآخرهم الإمام الشيخ أ.د محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر حاليًا.

(٢) راجع الأزهر فى ألف عام - ٣ أجزاء - تأليف محمد خفاجى

العلماء خلال عصور التاريخ ممن انتشروا فى بقاع الأرض وحملوا معهم مشاعل المعرفة والثقافة التى تزود بها الأزهر فأضاءوا الأرض علمًا ونورًا ورشادًا.

ولا يزال الأزهر حتى اليوم كعبة العلوم والآداب ومعقد آمال المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها.

والأزهر هو الذى حفظ العلوم الإسلامية واللغة العربية من الضياع والاندثار وهو الذى حفظ للأدب العربى فى شتى بلاد العروبة، رونقه وبهاءه. وقد تخرج فيه العديد من العلماء والأدباء والكتاب والخطباء والشعراء فى كل عصر وكل جيل.

أثر الأزهر فى التوجيه الدينى:

والأزهر منذ أنشىء حتى اليوم هو الذى يتولى قيادة الحركة الدينية فى العالم الإسلامى، وآراء شيوخه فى الحجة القوية التى يقابلها المسلمون فى شتى بقاع الأرض بالطاعة والامتثال والقبول. وقد خرج الأزهر الكثير من رجال الدين منذ أنشىء إلى اليوم، وخريجوه هم الذين تولوا قيادة الحركة الدينية فى كل مكان من بلاد العالم الإسلامى.

وفى الأزهر هيئة كبار العلماء التى أنشئت بمقتضى قانون عام ١٩١١م. وفيه كذلك لجنة للفتوى عام ١٩٣٧م، وهاتان الهيئتان لهما أثر كبير فى التوجيه الدينى فى العالم الإسلامى.

ومن أعلام الأزهر وأئمته فى التوجيه الدينى الإمام محمد عبده (١٢٦٦هـ - ١٩٠٥م) وله فضل كبير فى الإصلاح الدينى وفى إصلاح الأزهر.

ومن أعلامه كذلك محمد مصطفى المراغى، ومصطفى عبد الرازق وسواهما، ممن قادوا الحركة الدينية ووجهوها توجيهًا قويًا فى العالم الإسلامى كافة.

والأزهر بحق قائد الحركة الدينية فى العالم الإسلامى قاطبة.

مكانة الأزهر فى العالم الإسلامى:

ولقد ورث الأزهر الحديث ميراثًا روحيًا وثقافيًا ضخمًا جليلاً عن الأزهر القديم، ورث عنه الرسالة الدينية التى قام بها منذ أن أنشىء لحمل أمانتها، والتى أخذها

بكلتا يديه ليؤديها إلى العالم شعلة مضيئة هادية، ومثلاً إنسانيًا رفيعًا، ومذهبًا فكريًا قادرًا على قيادة الحياة والبشرية جميعًا إلى السلام والإخاء والأمن والرفاهية.

وورث عنه الرسالة الثقافية التى جاهد من أجلها أجيالاً طوالا، والتى قامت عليها أروقته ومحاريبه وقبابه ومآذنه الشم، ودأبت على الكفاح فى سبيلها حلقاته الطاهرة، التى تجمع فيها شباب المسلمين - من شتى الأقطار والشعوب- على كلمة الحق والتقوى والمعرفة، استجابة لأمر الله، وتحقيقًا لفكرة الإسلام، وسعيًا وراء الحقيقة التى هى أكبر محرر للأمم والجماعات والأفراد، من أغلال الجهل والجمود والتأخر.

وعاشت حلقات الأزهر الجليلة طويلاً خلال هذه الأجيال، وهى تحمل عن العالم الإسلامى رسالة الإسلام الروحية والدينية والثقافية، وتؤديها ناصعة بيضاء كخيوط الفجر، مشرقة هادية كضوء الشمس، ومن هذه الحلقات تخرج زعماء العالم الإسلامى فى القديم، وكانت عن جدارة بمثابة مصنع يصنع الرجال والأبطال، ممن قادوا الشعوب الإسلامية إلى النهضة، والحضارة والعزة، مما جعل للأزهر مكانة كبرى فى العالم الإسلامى.

مواقف خالدة للأزهر:

ولا ننس أن الأزهر قد قاد فى القديم ثورتين كبيرتين تعدان من أسبق الثورات الدستورية العالمية، قاد إحداهما عام ١٢٠٠هـ - يناير ١٧٨٦م الشيخ الدردير، وقاد الأخرى عام ١٢٠٩هـ - ١٧٩٥م شيخ الأزهر فى ذلك الوقت الشيخ عبد الله الشرقاوى، وكسب الشعب المصرى من الثورة الأولى مبدأ دستوريًا جليلاً هو وجوب احترام الحاكم لإرادة المحكومين، وكسب من الثانية مبدأ آخر هو أن الأمة مصدر السلطان، وكانت بمثابة إعلان لحقوق الإنسان، ووثيقة فريدة فى سبيل التحرير سبق بها شعب مصر غيره من الشعوب، كما اعترف بذلك المؤرخون من العرب والغرب.

وقد حمل علماء الأزهر عبء الجهاد لتحرير مصر من الاحتلال الفرنسى منذ دخل جيش نابليون أرض الوطن فاتحًا. ولا ننس كذلك أن الأزهر قام بثورة ثالثة

فى صفر عـام ١٢٢٠هـ - ١٨٠٥م لإنهاء النفوذ التركى من مـصر، ولكن دجالاً سياسيًـا بارعًا يتدفق فى أعصابه الدم التركى استطـاع بدهائه أن يحول المعركة إلى مغانم شخصية له ولأسرته التى حكمت مصر نحو قرن ونصف من الزمان.

وكان قـائد الثورة المصرية الرابعـة كذلك أزهريًا صـميمًا، هـو الزعيم الوطنى القائد «أحمـد عرابى» الذى قاد الثورة العرابيـة للقضاء على نفوذ المسـتعمرين من الأتراك والمستـغلين من الإنجليز. كمـا كان زعيم الثـورة الشعبـية الخامـسة أزهريًا صمـيمـا هو المرحوم سـعد زغلول، الذى كـان يعمل للقـضاء على الاسـتعـمار الإنجليـزى وتحرير شعـب مصر من أغـلاله. ولا ننس كـذلك أن قادة ثورة مـصر الأحرار تتلمـذوا على شيخ أزهرى ورع زاهد متـصوف كان رائدًا روحـيًا لهم هو الشيخ محمد الأودن من علماء الأزهر المعاصرين..

الأزهر والتجديد:

ولقد تطورت البـيئة الثـقافيـة فى الأزهر فى العصر الحـديث: بتأثير الحـضارة الفكرية الغربية، وبفضل لفيف من علمائه الأعلام الخالدين.

ومن الحق أن الأزهر منذ بدأ القـرن التاسع عشـر كان يتطلع إلى ثقافـة الغرب وحضارته فى شىء من الفتور والكراهية، إيمانًا بقومية المسلمين السياسية والفكرية والثقافيـة، ولكنه لم يجحد فكرة السعى إلى النهضة، أو الإيمـان بالتطور: فسافر بعض أبنائه فى بعثـات حكومية إلى باريس ولندن وسواهمـا من عواصم الغرب، وكان من أشهرهم رفاعة الطهطاوى.

وتطلع بعض علمـائه فى أواخر القرن التـاسع عشر إلى مـعرفـة بعض اللغات الغربية لدراسة أصول حضارة الغرب الحديثة الفكرية والثقافية، وللرد على ما يثيره بعض الغربيين حـول الإسلام من شبهات، وكـان فى مقدمة هؤلاء الإمام مـحمد عبده، الذى كان أكبر رائد أزهرى للفكر المصرى فى العصر الحديث.

ولقد نهض شـيوخ الأزهر منذ أواخر القرن التـاسع عشر بعبء إصلاح البـيئة الثقـافية داخل الأزهر، وبعث روح التجـديد والحياة فى حلقات الأزهر العلـمية، لتكون على صلة بينابيع الفكر الحديثة المتدفقة.

وفى الحق أن الأزهر المحافظ المتمسك بتقاليده وشعـائره ونظمه وحياته الثقافية كان أرجح كفة من عوامل التجديد، وتيارات الجديد.

ومن أكثر من ربع قـرن من الزمان، أو بالتحديد فى مايو ١٩٢٨ تولى مـشيخة الأزهر الشيخ محمـد مصطفى المراغى وهو تلميذ من تلامذة الإمام محـمد عبده، ولكنه مـا لبث أن استـقال منهـا فى أكتوبـر سنة ١٩٢٩، وخلفه الشـيخ محـمد الأحـمدى الظـواهرى، ثم عاد الشـيخ المراغى إلى المـشيـخـة فى ٢٦ أبريل سنة ١٩٣٥، وظل فيها إلى أن توفى فى ٢٢ أغسطس ١٩٤٥م.

وعلى يد الشيخ الظواهـرى تحول الأزهر إلى جامعـة علمية لهـا كليات ثلاث: هى الشريعة واللغة وأصول الدين، وفيـها أقسام للدراسات العليا ذات نظام علمى جامعى، ولكن أثر ذلك لم يظهر إلا فى عهد الشيخ المراغى وعلى يديه وبتشجيعه ورعايتـه، فكان يشرف هو ومعـاونوه من شيوخ الكليـات الأزهرية على نظم هذه الدراسات، ويشـترك فى امـتحاناتهـا ومناقشـات رسائلها، ويرعـى خريجى هذه الأقـسام ويضـعهم فى منازلهم العـلميـة فى كليات الأزهر، ولذلك صـار الأزهر يخضع فى حياته الثقافية الجديدة للنظم الجامعية الصحيحة.

هذا عدا ما صنع الشـيخ من تقدير للكفايات العلمية، ورعاية للبـحث الثقافى الحر فى داخل الأزهر، فصنع بذلك نهضة ثقافية جديرة بالتأمل والتقدير.

الأزهر الخالد

الأزهر جامعة الإسـلام العريقة، ومنارته الهادية، وسيظل النور مـتألقًا منه إلى قيام السـاعة، ومن عجب أن تقوم فى مـصر دعوة إلحادية ترمى إلى إلغـاء التعليم الدينى بحجة توحيد التعليم، أو قل إلى إلغاء المعاهد الإبتدائية والثانوية الأزهرية، والتى تمثل ثلثى بناء الأزهر العالمى، ونحو ٨٠ فى المائة من طلبة الأزهر الشريف.

ونحن نسائل هؤلاء الداعين إلى توحيد الـتعليم: هل ألغت فرنسا أو إنجلترا أو أمريكا التعليم الدينى فى بلادها؟ كلا... وهل ألغت هذه الشعوب التعليم الدينى فى المستعمرات التى حكمها؟ كلا... وهل ألغت فرنسا المعاهد الابتدائية والثانوية لجامعة الزيتونة الدينية فى تونس بحجة توحيد التعليم؟ كلا...

إن هذا الموقف الذى يقفه طه حسين من الأزهر يدلنا على سخف شديد وتفاهة واضحة، فطه حسين هو سفير فرنسا الثقافى فى الشرق الأوسط، وهو الذى تعامل عام ١٩٤٧ مع وكالة يهودية وأصدر لها مجلة الكاتب المصرى، وحشد لها الأقلام ليكونوا جميعًا عمالاً وأجراء لدى الوكالة اليهودية فى مصر.

وفى الحق أن نقول: إن الأزهر ليس ملكًا لمصر وحدها، بل كذلك ملك العالم الإسلامى كله، وقد شارك العالم الإسلامى الأزهر فى الدفاع عن الأزهر ومقوماته، وأيدت الجماعات الإسلامية فى كل مكان الأزهر الشريف. وأن طه حسين الذى يثرثر فى الصحف ويقول فيما يقول: إن الأزهر لا يتعلم كما يتعلم الناس، يفوته أو ينسى إنه فى عام ١٩٥١ كان وهو وزير للمعارف يصرح فى وفود الأزهر بأن الأزهر هو المكان الأول الذى تحيا فيه علوم الدين والعربية، وينسى كذلك ما كتبه فى مناسبات عديدة فى تمجيد الأزهر وثقافته.

والدكتور لطفى السيد لا يمكن أن يكون متعصبًا للأزهر، وله كلمة فى التنويه بالأزهر وثقافته بمناسبة ترؤسه لجنة مناقشة رسائل العالمية من درجة أستاذ عام ١٩٤٤، وقد قال فى كلمته هذه: أحمد الله أن أصبح الأزهر اليوم فى مستوى علمى رفيع، وصرنا نتحدث فيه فى الفلسفة القديمة، ويتحدث أصحاب الرسائل العلمية من خريجيه عن (الإله عند أرسطو) وإنها لنهضة تبشر بالخير كل الخير بإذن الله، وكلمته مسجلة فى الجزء الثانى من كتاب (المنتخبات) لعميد الجيل الدكتور لطفى السيد، وشهادة الدكتور منصور فهمى وأمين الخولى وسواهم للأزهر، لا يمكن أن تحمل على أى لون من العصبية، وقد كان هؤلاء وسواهم ممن أسهموا فى أعمال مناقشة رسائل خريجى أقسام العالمية من درجة أستاذ فى الأزهر الشريف.

على أن مناهج الأزهر اليوم متخمة بالعلوم الحديثة فى شتى مراحل التعليم فيه، وهذه العلوم من الكثرة إلى حد أن صرنا نشكو من أنها أصبحت تستأثر بوقت الطالب الأزهرى، وتضعف مستواه فى العلوم الدينية والعربية.

وإنا لنرجو أن تزداد الثقة بالأزهر يومًا بعد يوم، وما ذلك على الله بعزيز، وإنه لم يحن على الأزهر إلا تدخل السياسة قديمًا فى شئونه، ونرجو للأزهر اليوم كل عزة وكرامة، ونهضة وتقدم، فى شتى جوانب نشاطه الروحى والفكرى والثقافى.

الدكتور طه حسين والأزهر

يرى د. طه أن إغلاق ثلثى الأزهر إصلاح له.. وأن إبعاد ٩٠ فى المائة من طلاب الأزهر عن معهدهم الذى ينهلون منه الثقافة الإسلامية الصحيحة يجب أن يكون هو الخطوة الثانية التى تخطوها مصر فى عهد ثوارها. والدكتور طه لم يدع فى يوم من الأيام إلى إلغاء جامعة من جامعاتنا اكتفاء بأخواتها، وهو الذى حارب إدماج أقسام اللغة العربية فى آداب الجامعات الثلاث فى قسم واحد. وفى عهده فى وزارة المعارف كان يشجع إنشاء المدارس الأجنبية والخاصة والحرة، ولم يزعم أن من مبادىء الإصلاح إدماج هذه المدارس أو الجامعات بعضها فى بعض، فكيف به يقف من الأزهر هذا الموقف العابث الذى لا يتصور طه نفسه خطره على نفسه وعلى مصر وعلى العالم العربى والإسلامى.

ولو كان الدكتور طه يحرص على سمعة الفكر المصرى المعاصر حقًا لما لجأ إلى هذا المنطق السوفسطائى العجيب الذى يجعل به الحق باطلاً والباطل حقًا، ويظن أن الناس قد صدقوا هذا المنطق المقلوب. وأنا أزعم أن الدكتور طه ليس سوفسطائيًا وإنما هو يحاول أن يلجأ إلى منطق السوفسطائيين ليقنع الناس برأيه لغرض فى نفسه. وأشهد أن فرنسا الاستعمارية لم تحاول فى يوم من الأيام أن تغلق الأقسام الابتدائية والثانوية من جامعة الزيتونة الدينية فى تونس، بدعوى توحيد التعليم، أو باسم إصلاح الزيتونة، والتعليم الابتدائى والثانوى فى الأزهر -وهو الذى تجمع مناهجه بين ثقافات وزارة المعارف وعلوم الدين واللغة على أوسع نطاق- ليس هو الذى تعمل الدولة على تصفيته لأن الشعب نفسه، والدولة نفسها، لا ترى فيه إلا الخير كل الخير لمصر وللعالم الإسلامى كافة. ولو قدر أن ألغى التعليم الابتدائى والثانوى من الأزهر لما استطاع مثل الدكتور طه أن يتعلم وأن يسمع به الناس.

والشعوب الإسلامية كافة ترسل أبناءها إلى الأقسام الابتدائية والثانوية فى الأزهر، فماذا يريد الدكتور طه لأبناء هذه الشعوب الإسلامية بعد إغلاق المعاهد الأزهرية الابتدائية والثانوية، أظنه سيحاول أن يشرع لهذه الشعوب، كما يحاول اليوم أن يشرع لمصر ولشعب مصر ولثورة مصر.

وفى البلاد الإسلامية معاهد ابتدائية وثانوية على غرار الأزهر، وبعضها تتبع الأزهر، فماذا تصنع يا دكتور طه بهذه المعاهد بعد إغلاق مثيلاتها من الأزهر فى مصر؟

وأنت تعلم أن مثل هذه المعاهد هى الوسيلة الوحيدة لتعليم الثقافة الإسلامية والعربية فى بعض الشعوب المسلمة التى يحكمها الاستعمار. ويعمل جاهدًا على أن يحطم فيها كل مقوماتها لتظل فريسة فى أنيابه إلى الآن.

وما رأيك يا دكتور طه وأنت تدعو إلى تعليم الشعب فى أن هذه الأقسام الابتدائية والثانوية هى التى كان يلجأ إليها أبناء الشعب ليتعلموا ويتثقفوا، ثم هى الوسيلة الوحيدة للتعليم لدى أغلبية الريف الذين لا يؤمنون إلا بالأزهر وثقافته.

والدكتور طه لا يجهل أن هذا التعليم الدينى قد قام تحقيقًا لمشيئة أهل مصر الإسلامية، ووقف عليه المسلمون فى مصر وغيرها أوقافًا طائلة، أو لا يزالون بالعون والرعاية فى مصر الإسلامية وفى غيرها من الشعوب المسلمة، وأنه هو الذى تحققت فيه مجانية التعليم وديمقراطيته وظروف تكافؤ الفرص أمام الشباب الإسلامى لا اليوم فحسب، ولا الأمس فقط، بل طيلة ألف عام أو يزيد.

والدكتور طه يدعو إلى توحيد التعليم تحت راية وزارة المعارف وجعل كليات الأزهر معاهد للتخصص فى الثقافة الإسلامية، وكيف يتخصص طالب فى شىء لم يمهد له؟ ومن الذى يستطيع أن يفهم بعد التوجيهية أصول الفقه وعلوم أصول الدين وفلسفة العربية فى كتاب سيبويه وغيره، وفلسفة اللغة فى الخصائص والمخصص وغيرهما.

والدكتور طه يقول: إنه يحب أن يشارك الأزهريون فى كل ميدان، فيكون منهم مهندسون وأطباء وسوى ذلك، وأنا أحب أن يشرح الدكتور للناس ذلك، فلقد أحب ألا يكون هناك تعليم ابتدائى أو ثانوى خاضع للأزهر، ثم فرض أن حامل التوجيهية سوف يدخل كليات الأزهر ليتخصص فى الدين واللغة، فمتى يكون مهندسًا أو طبيبًا؟ أيكون ذلك وهو يحمل التوجيهية فقط، أم سوف يكون كذلك بعد تخرجه من الأزهر؟ أليس هذا هو عين سوفسطائية الدكتور طه، التى ينعتها بلقب التجديد واسم المنطق.

والدكتـور طه، يعلم أن حامل التوجـيهية لن يـدخل الأزهر لأنه لا يستطيع أن يدرس بعد التوجيـهية علوم الأزهر وثقافته. أرح نفـسك يا دكتور من هذا الالتواء والتعقيد والتكلف البغيض، ادع فى الناس إلى إغلاق الأزهر لا لذنب جناه الأزهر ولكن لأنه لم يسـتطع أن يؤمن بمنطقك وبأفـكارك. ثم لأن له تاريخًا مـضـيئًـا، ومنزلة كريمة فى العالم الإسلامى منذ عشرة قرون.

إى والله عشـرة قرون كاملة، حقـق الأزهر فيها لمصـر العزة والكرامة ومـعانى القومية الصحيحة ورباها على الحرية، وتعشق الثورة والإيمان بمصر، مصر الخالدة العزيزة وظل فـيها معـقل القوميـة، وملاذ الفكر الحر المتـوثب المنطلق إلى أهدافه النبيلة فى الحياة.

الأزهر فى القرن العشرين[1]

من روح مصر، ومن ضـميرها الوطنى، وكفـاحها القومى، انبثق فـجر الحرية والثورة والكرامـة والعزة والاستـقلال لمصر الخالدة، مـصر التى تقهـر الأحداث، والتى تسلم أبناؤها الثائرون أمـانة الوطن المفدى، بعد أجيـال طويلة ملؤها النضال فى سبيل الشعب: حريته وعزته وكرامته.

وفى هذا المجـال نذكـر الأزهر، الأزهر العـريق فى التـاريخ، فى المجـد، فى الجهاد، والذى عرفت له مصر أروع الأعمال، وسجلت الأيام له أمجد الصفحات فى تاريخنا القومى والوطنى.

وعندما نريد الحديث عن «رسالة الأزهر فى القـرن العشرين» لابد أن نشير إلى تاريخ الأزهر فى الكفاح الوطنى، لأنه جزء لا يتجزأ من تاريخه الثقافى والدينى، ومن رسالته التى حملها خلال العصور والأجيال، بل من تاريخ بلادنا التى حملت رسالة الثقافة والحضارة، وألهمت الإنسانية أرفع معانى النهضة والتقدم والحياة.

وفى هذه السبيل نذكر الشيخ الإمام الدردير رضوان الله عليه، ونذكر كفاحه من أجل مصر وشـعبها الحر الأبى، فـفى عام ١٢٠٠هـ-١٧٨٦م أعلن علماء الأزهر الشريف الثورة ضـد الأمراء من المماليك، لإسرافهـم فى فرض الضرائب، ونهب

(١) محاضرة ألقيتها فى هيئة التحرير عام ١٩٥٥م.

أموال الشعب، وكانت الثورة بقيادة الشيخ الدردير، الذى بادر فأعلن تصريحه الخالد المأثور: سنثور مع الشعب، وننهب بيوت المماليك كما ينهبون بيوتنا، ونموت شهداء أو ينصرنا الله عليهم».

وجاء الأمراء يعتذرون للإمام الزعيم، ولم يقبل الشيخ اعتذارهم حتى ألزمهم بميثاق وطنى مكتوب، أعلن فيه لأول مرة حقوق الإنسان قبل ميلاد الثورة الفرنسية بسنوات ثلاث، ونص فيه على حرية الشعب، وعدم جواز فرض ضرائب إلا بإرادته، وعلى أن الأمة مصدر السلطان.

ونذكر كذلك الشيخ الإمام عبد الله الشرقاوى، وجهاده من أجل مصر. ففى عام ١٢٠٩هـ- ١٧٩٥م أعلن علماء الأزهر الشريف الثورة على المماليك، وأجمعوا على مقاومة أمرائهم بالقوة إلى أن يستجيبوا لمطالب الشعب، وكان قائد هذه الثورة هو الإمام الشيخ عبد الله الشرقاوى شيخ الأزهر أيام ذاك، وكان مجلس الثورة يعقد فى الأزهر، وأعضاؤه هم: الشيخ الشرقاوى، والشيخ البكرى، والشيخ الأمير، والسيد عمر مكرم، ولم تنته الثورة إلا بعد اعتذار أمراء المماليك، وبعد أن أصدر أعضاء مجلس قيادة الثورة وثيقة وقعوا عليها وألزموا الأمراء بالتوقيع كذلك عليها، وكانت إعلانًا وطنيًا جليلاً لحقوق الشعب، حيث تضمنت ما يلى:

١- ألا تفرض ضريبة إلا إذا أقرها مندوبو الأمة.

٢- أن ينزل الحكام على مقتضى أحكام المحاكم.

٣- ألا تمتد يد ذى سلطان إلى فرد من أفراد الأمة إلا بالحق والشرع.

وعندما دخلت الحملة الفرنسية مصر نبعت ثورة القاهرة الأولى من الأزهر الشريف عام ١٢١٣هـ-١٧٩٨م، وكان مجلس الثورة مكونًا من كبار علماء الأزهر آنذاك؛ ورئيسه هو الشيخ السادات؛ وكان يعقد اجتماعاته فى الأزهر. وقد بطش نابليون بالثوار الأحرار، وأغلق الأزهر، وأعدم ثلاثة عشر عالمًا من أبر علمائه بوطنهم ودينهم.

وكذلك قامت ثورة القاهرة الثانية عام ١٢١٤هـ-١٨٠٠م من قلب الأزهر، وكانت بزعامة الشيخ الأزهرى والسيد الوطنى عمر مكرم نقيب الأشراف فى مصر، وقد أخمدت هذه الثورة بقوة وعنف، وقبض على زعمائها، ونكل بهم تنكيلاً شديدًا.

وفى عام ١٢٢٠هـ-١٨٠٥م أعلن علماء الأزهر الثورة على الوالى التركى خورشيد باشا»، وأجمعوا على عزله، وكتبوا للخليفة العثمانى بذلك؛ وقد كان عمر مكرم زعيم هذه الثورة، ولا ننسى كلمة خالدة له يومذاك، عندما ذكره أحد قواد الأتراك بالآية الكريمة: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩]؛ فرد عليه عمر مكرم فى عزة وإباء: أولو الأمر هم العلماء وحماة الشريعة والسلطان العادل.

ولما ولى محمد على حكم مصر استبد بالحكم، وتنكر للشعب، وبطش بالحريات، وأسرف فى فرض الضرائب، وخان العهد الذى عاهد عليه العلماء بأن يحكم بالعدل والشريعة، فاجتمع فى الأزهر الشريف مجلس وطنى من العلماء، فى أواسط جمادى الأولى ١٢٢٤هـ- أول يوليو ١٨٠٩م لمقاومة محمد على حتى يخضع لمشيئة الشعب فى عدم فرض ضرائب جديدة، وإلغاء الضرائب المستحدثة، ورفض السيد عمر مكرم زعيم العلماء التوقيع على ميزانية محمد على السنوية، وقال كلمة خالدة مأثورة: «إن هذا الحاكم -يريد محمد على- محتال، وإذا تمكن فسيصعب إزالته، فلنحاربه من الآن، وأسرع محمد على فخلع السيد عمر مكرم من نقابة الأشراف، ونفاه إلى دمياط، وقد ألقى السيد عمر مكرم تصريحًا عقب إبلاغه بصنيع محمد على معه، جاء فيه: «إنى راغب عن منصب النقابة، زاهد فيه، فليس فيه إلا التعب. وأما النفى فهو غاية مطلوبى، حتى لا أكون مسئولاً أمام الله عن ظلم يقع على الشعب، وإنى لا أريد إلا أن أعيش فى بلدة لا تدين لحكم محمد على». وظل السيد عمر مكرم منفيًا فى دمياط وطنطا حتى توفاه الله عام ١٢٣٧هـ-١٨٢٢م.

ولسنا ننسى الثورة العرابية وزعيمها الأزهرى المصرى القائد: أحمد عرابى، وكيف وقف علماء الأزهر وراءه صفًا موحدًا، يدعون الشعب إلى الجهاد تحت

رايته، وأصدروا فتوى شرعية بمروق الخديوى توفيق عن الدين لانحيازه إلى الجيش المحارب لبـلاده. وأعلنوا فى المؤتمر الوطنى عـزل توفيق، ووقف أوامـره وتكليف عرابى بالدفاع عن البلاد، وأن يبلغ المجلس الوطنى هذه القرارات إلى السلطان.

وقد نكـل الإنجليز وتوفـيق بعد ذلك بعلمـاء الأزهر تنكيلاً شـديدًا. واستـمر شيوخه لا يبالون بالحكام من أسرة محـمد على، ولهم فى ذلك مواقف مشهورة، حـتى قامت الثـورة المصـرية عـام ١٩١٩. فنبعت من قلـب الأزهر، واشتـعلت شرارتها فى صحنه، وانبثق من منبره ومحـرابه فجر الحرية لشعبنا المجيد الذى نال ما تمناه بفضل كفاحه الطويل العتيد.

ولا ننس موقف الشيـوخ الثلاثة: عبد المجيد سـليم ومأمون الشناوى وإبراهيم حمروش، من سـياسة القصـر وعبثه بقـوانين الأزهر واستقلاله وحـريته، وكيف أصدروا بيـانًا مطبوعًا مـوجهًا إلى العـالم الإسلامى، ينددون فيـه بفاروق ورئيس ديوانه ورئيس وزرائه، ويسـجلون عليـهم فى صراحـة تدخلهم فى شئـون الأزهر وعبثهم بقوانينه. وللشيخ عبد المجيد سليم عندما هدده رئيس الديوان بالخطر كلمة مأثورة خـالدة: ما دمت أتردد بيـن بيتى والمسجـد فلا خطر بإذن الله، وله كـلمة أخرى ندد فيـها بفاروق وعبـثه ومجونه عندما أقـام فى كابرى لاهيًا عابثًـا، قالها الشيخ وأعلنها وسارت مسير الأمثال، وهى: «تقتير هنا وإسراف هناك».

هذه قطرة من كفاح الأزهر وأدائه لرسالته، وللإمـامة الملقاة على كواهل علمائه نحو الشعب. وهى تصور لنا فى وضـوح روح الأزهر وجوهره وسر خلوده وبقائه شاهق الذرى على مر الأجيال، راسخًا يرسل الضوء والنور والهدى إلى كل مكان رسوخ الجـبال الراسيـات. وهل هناك أروع من أن يصدر شيخ مـعمم فتـوى ببيع أمراء المماليك الأتراك لـيصرف ثمنهم فى مصالح المسلـمين، لأن حكم الرق سار عليهم، وهم أرقاء لسادتهم من أبناء مصر، لأن السلطان اشتراهم من مال الدولة، ولا يزال حكم الرق مـستـصحبًا علـيهم. وكـان من جملة هؤلاء الأمـراء نائب السلطنة، وكلهم أصحـاب حكم، وسلطان ونفوذ وجاه، وكـان ذلك فى منتصف القرن السابع الهجرى، وبعد منتصف الـقرن الثانى عشر الميلادى بقليل، وكان هذا الإمام هو الشيخ عز الذين بن عبد السلام رضوان الله عليه.

وبعد فإن رسالة الأزهر فى القرن العشرين تشمل الرسالة الدينية الكبرى، والرسالة الثقافية والأدبية، ورسالته الوطنية والاجتماعية.

فمن صميم رسالته الدينية:

١- إنشاء المراكز الإسلامية فى دول أوروبا وأمريكا والشرق الأقصى وأفريقيا لنشر رسالة الإسلام وتعاليمه الصحيحة.

٢- وتلخيص رسالة الإسلام فى مؤلفات حديثة، ونشرها بجميع اللغات العالمية.

٣- ومحاربة المادية والمذاهب الهدامة الوافدة علينا من أوروبا وأمريكا والدعوة إلى الروحية السامية المهذبة، وإذاعتها بين جميع الطبقات.

٤- والعمل على إنماء الأخوة الدينية والروحية بين المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها، ونشر رسالة التقدم الروحى والدينى فى البلاد الإسلامية.

٥- وإذاعة مبادىء الإسلام وأصوله الرفيعة الصالحة لقيادة الإنسانية بين مختلف الجماعات والطبقات، وإحياء الشعور الدينى وتنمية روح التدين بين الأفراد والشعوب.

ومن صميم رسالة الأزهر الثقافية والأدبية:

١- نشر التراث القديم فى شتى العلوم الإسلامية نشرًا علميًا حديثًا.

٢- ووضع مؤلفات حديثة فى جميع فروع الثقافة، وتناول مشكلاتنا العامة والخاصة بالدراسة والبحث على ضوء الدين.

٣- وإقامة معاهد دينية فى جميع مدن مصر والعواصم العربية والإسلامية لتعميم الثقافة الدينية الصحيحة.

٤- وترجمة معانى القرآن الكريم ترجمة دقيقة إلى شتى اللغات.

٥- والنظر إلى مناهج الأزهر وعلومه وكتبه الدراسية نظرة جدية جديدة تتفق وحياتنا الفكرية ومطالبنا الروحية.

٦- ودعم التقاليد الجامعية الصحيحة فى الأزهر مما يتفق وتقاليده القديمة الموروثة، وتعزيز النظام العلمى الجامعى فى، وإقرار نظام الدراسات العليا فيه على أسس جامعية رفيعة.

٧- وإنشاء أقسام جديدة فى كليات الأزهر لدراسة اللغات والآداب الأوروبية الحديثة، وأهم المذاهب الروحية والفكرية المعاصرة.

٨- وتنمية التعاون الثقافى بين الأزهر ومختلف المعاهد والجامعات فى الشرق والغرب.

٩- وكذلك نشر الثقافة العربية والأدبية، وإخراج أمهات كتب اللغة ومصادر الأدب إخراجًا علميًا منظمًا.

١٠- وتنظيم المواسم الثقافية والأدبية لزيادة ثقافة الشباب، والارتفاع بمستواهم الفكرى.

ومن صميم رسالة الأزهر الوطنية والاجتماعية:

١- العمل على بعث الروح الثورى فى الشعب.

٢- ومشاركة الدولة فى التوجيه الاجتماعى والوطنى فى صفوف الأمة.

٣- والمعاونة فى محو الأمية، وفى نشر الأمن، وإذاعة الوئام بين الناس، وفى خلق روح التضحية والقومية والإيثار والعدل وحب تحمل المسئولية فى نفوس الشباب.

٤- وتخفيف الآلام عن المنكوبين والمحرومين والأشقياء فى المجتمع، إلى غير ذلك من صميم رسالة الأزهر التى هى جزء لا يتجزأ من رسالة الإسلام ديننا الكريم.

ومن المؤسف حقًا أن تكون القوانين فى الأزهر رجعية عتيقة بالية إلى الحد الذى يحول بين الكثير من الشباب والتعليم الدينى، وأن تهمل أمور الشباب فيه إهمالاً خطيرًا فلا يلقون رعاية ولا توجيهًا خارج حجرات الدراسة. ولا يتمتعون برحلات علمية منظمة، ولا بنواد رياضية صغيرة أو كبيرة، ولا باتحاد منظم يرعى شئونهم إلى غير ذلك من شتى ألوان التقصير الذى نشكو منه ونطالب بتلافيه.

ويحضــرنى هنا رأى قديم للمرحــوم مصطفى صادق الرافــعى، إذ قال: إنه لا ضير على الأزهر أن تعاونه الشعوب والحكومات الإسلامية بالمال والنفقة الواسعة؛ ليسـير قدمًـا نحو أداء رسـالته كاملة غـير منقوصــة فى خدمـة الشعوب العـربية والإسلامية، وإنه لا ضير عليه كذلك من منح ألقاب علمية للمفكرين المسلمين فى كل مكان، فـإن فى ذلك زيادة لنفـوذه الدينى والروحى فى شـتى أنحـاء العـالم الإسلامى.

وبعد فلقد اجتـمعت كلمة مصر والأزهريين على النهوض بهذا المعـهد العتيق، ورفعه إلى الإمام بيد قوية وعقل فتى، وروح وثاب، ونحن لا ننسى موقف الثورة منا؛ ورعايتـها للأزهر وسط المحن والشدائد والدعـوات الإلحادية السافـرة، فلقادة الثورة وأبطالها الشكر والتـقدير على تصريحاتهم القوية النبـيلة التى أعزوا بها من شأن الأزهر، ودافعوا فيها عن حضارة الإسلام ومعهده العتيق.

ومنذ اليوم سيساند الأزهر الثورة وتساند الثورة الأزهر لخلق مصر الناهضة الحرة الأبية، ولإعزاز الدين والإسلام والوطن.

❁❁❁

الشيخ محمد عبد اللطيف السبكى

فقدت مصر والعالم الإسلامى فى مارس ١٩٦٩ عالمًا من أجل علماء الأزهر.. هو فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد اللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر، انتقل للرفيق الأعلى عن ٧٣ عامًا.. قضاها فى سبيل نشر لواء العلم والدين.. كان آخر من تولى منصب شيخ مذهب الحنابلة بالأزهر.. وآخر بحوثه التى أعدها بحثًا عن بيت المقدس وبحثًا عن الجهاد فى سبيل الله.. وآخر كتاب -ما زال تحت الطبع- هو كتاب الوحى ويقع فى ٣٠٠ صفحة وسيصدره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وكان قد أتمه قبل وفاته بساعات.

تخرج الشيخ السبكى فى الأزهر الشريف عام ١٩٢٥ وعين فور تخرجه مدرسًا بمعهد الزقازيق الدينى، ثم نقل أستاذًا بكلية الشريعة عام ١٩٣٥م.

وفى نفس العام عين عضواً بلجنة الفتوى حين كان الإمام الراحل الشيخ المراغى شيخًا للأزهر وتولى رئاسة اللجنة منذ خمس سنوات.. واختير مفتشًا عامًا للعلوم الدينية والعربية بالأزهر سنة ١٩٤٧، وفى عام ١٩٥١ عاد إلى منصبه أستاذًا بكلية الشريعة وظل بها حتى أحيل للمعاش عام ١٩٥٩، وقضى ٤٤ عامًا فى خدمة العلم والدين، وجند نفسه لتفسير الدين كما أنزله الله.

اتسع نشاط لجنة الفتوى فى عهده وأصبحت تتلقى الفتاوى وترد عليهم.. وكان للشيخ السبكى مكانة فى مقدمة العلماء الدارسين فى علوم الدين واللغة.. وعين شيخًا لمذهب الحنابلة بالأزهر وهو آخر من تولى هذا المنصب وفى عام ١٩٥٤ عين مديرًا لمجلة الأزهر وعضواً فى جماعة نشر الثقافة بالأزهر.

وفى السنوات الأخيرة عن رئيسًا للجنة إحياء التراث الإسلامى والعربى وعضواً بلجنتى الخبراء وموسوعة عبد الناصر للفقه الإسلامى بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

وقبيل وفاته بأيام راجع فيلمًا تليفزيونيًا عن الإسلام سجله تليفزيون النمسا وأعد مادته العلمية فضيلة الشيخ عبد الحكيم سرور مدير الشئون العامة بالأزهر.

وشاهد الشيخ السبكى -رحمه الله- الفيلم فى عرض خاص وأشاد بجودته، وسيترجم الفيلم إلى مختلف اللغات، ويعرض فى أنحاء العالم.

ترك سجلاً حافلاً من التراث الإسلامى.. فى مقدمته كتب نغمات القرآن، ورياض القرآن، وفى ظلال الكعبة والهجرة النبوية، كما ترك عدداً كبيراً من المقالات فى منبر الإسلام ولواء الإسلام والوعى الإسلامى ومجلة الأزهر والشبان المسلمين، والعديد من الأحاديث المسجلة بالتليفزيون والإذاعة.. فى برامج نور على نور، ورحاب الإيمان، ورأى الدين.

وأبناؤه هم المهندس حباب المعيد بهندسة جامعة الأزهر والدكتور عادل بالقصر العينى وهانى ووفاء بطب قصر العينى جامعة القاهرة.

لقد عاش الشيخ السبكى عالمًا ومعلمًا وسيظل مثلاً أعلى يذكره بنوه وتلاميذه وعارفو فضله -بالتقدير والوفاء- فى أرجاء العالم الإسلامى.

ومن مواقف علماء الأزهر ماذا حدث؟[1]

فى ١٤ أغسطس عام ١٨٥٩.. ماذا حدث؟:

استنكر رجال الأزهر الأمر الصادر بالسماح بإقامة «الحانات» بالقاهرة وكتبوا عريضة ضمنوها استنكارهم ورفعوها إلى جناب الباب العالى.. وجاء بالعريضة أن عدد الحانات بالقاهرة بلغ ١٢ حانة مما ينذر بالخطر الوبيل على سمعة الدين.

***

(١) إضافة جديدة اقتضاها الكلام.

نشاط أزهرى

عن نشاط الدعاة الأزهريين نشرت مجلة ليبيا الحديثة فى عددها الصادر فى ١/٤/١٩٦٩ حوارًا بينها وبين رئيس المركز الإسلامى فى بريطانيا الشيخ محمد إبراهيم الجيوشى -الدكتور فيما بعد- جاء فيه:

بدأت معه الحديث عن موضوع رسالة الدكتوراه التى يعد لها فى جامعة لندن.. موضوع شيق وجديد لم يطرقه أحد من قبل، هو البحث عن آثار مفكر إسلامى متصوف كان له أثر بعيد فى الفكر الإسلامى وخاصة فى التصوف.. وله بذلك منهج انصرف به عن كل شيوخ التصوف.. فمن المعروف أن شيوخ الصوفية يعتمدون فى نقل أفكارهم وآرائهم على تلاميذهم ومريدهم ثم ينقلها هؤلاء إلى أتباعهم وهكذا.. إلا أن الشيخ الحكيم الترمذى -موضوع البحث- لم يسلك هذا المسلك بل وضع أفكاره وآراءه فى كتب ورسائل بلغت أكثر من ستين كتابًا لا يزال معظمها مخطوطًا ولم يطبع منها إلا حوالى أربعة كتب.. وشعرت بأن الشيخ محمد إبراهيم الجيوشى المدير المساعد للمركز الإسلامى بلندن سيغوص فى أعماق هذه الكتب وتلك الدراسات الصوفية.. وأنا لا أزال أشعر بغمرة السعادة بعد أن أديت صلاة العيد فى المركز الإسلامى بلندن الذى يتجمع فيه أكثر من عشرة آلاف مسلم ومسلمة فى مثل هذه المناسبات، فيمثلون أروع صورة لتجمع المسلمين على اختلاف أجناسهم وجنسياتهم.. تراهم من الهند وباكستان وأفغانستان والملايو إلى آخر قطر عربى وكأنهم فى حج صغير..

- قلت لفضيلة الشيخ الجيوشى ما هى قصة المركز الإسلامى بلندن..

فكرت إنجلترا خلال الحرب العالمية الثانية أن تقوم بعمل تربط به أواصر الصلات بينها وبين العالم الإسلامى فقامت بتقديم هذا المركز إلى الحكومة المصرية فى ذلك الوقت ليبنى عليه مسجد المسلمين... وفى نظير ذلك قدمت الحكومة المصرية للجالية البريطانية فى القاهرة قطعة أرض لتقام عليها كنيسة لهم.. بنيت الكنسية عام ١٩٤٥م، ولم يبن المسجد حتى الآن.. اعترضت بلدية لندن على المئذنة فى

بادئ الأمر ثم علـى شكل البناء بحجـة أنه لا يتناسب مع الأبنية المجـاورة بعد أن حذفنا من نموذج البناء الأول المئذنة ولا تزال القضية معلقة حتى الان!

- ما هو عدد المسلمين فى بريطانيا ومراكز تجمعهم ونشاطهم؟..

اعتقد أن عـددهم يبلغ حوالى مليون أو أكثر منهم سبـعون ألفًا فى مدينة لندن والباقى موزع فى كل أنحاء الجزر البريطانيـة وأغلب المسلمين من الهند والباكستان حيث يشكلون ٩٥ بالمائة من الجالية الإسلاميـة واليمنيون من أكثر المسلمين العرب واذكر أنه كان يتزعمهم فى مدينة كـارديف رجل متدين هو الشيخ عبد الله الحكيم وكان له نشاط دينى واسع حتى أنه أصـدر صحيفة عربية ومطبعـة عربية طبعت له العديد من المؤلفات ثم توقفت الجـريدة عن الصدور بعد وفاة هذا الرجل الذى بنى مسجدًا فى مدينة كارديف يسمى مسجد نور الإسلام.

١- قسم دينى.

- قسم ثقافى.

٣- قسم اجتماعى.

القسم الدينى - يتمثل فى إقامة الصلوات وخاصـة صلاة الجمعة التى يحضرها حوالى خمسمائة رجل وتلقى الخطبة باللغتين العربية والإنجليزية ويبدو هذا النشاط ملحوظًا فى شـهر رمضان المبـارك حيث تقام صلاة التـراويح كل ليلة وإلى جانب ذلك الاحتفـال بالمناسبات الرسميـة كالمولد النبوى الشريف، والهـجرة وغزوة بدر وفتح مـكة المكرمة وليلة القـدر وليلة الإسراء. إلخ. وفى كل ذلك نحـرص على ربط المسلمين ببعضهم وربط هذه الأحداث بتـاريخنا المعاصر.. وفى الأعياد تجمع الزكـاة وتوزع على المحتـاجـين إن وجدوا ولكن الذى اتـبع فى العيـد الماضى أن الجانب الأكبر منها صرف للمنظمات الفدائية وفكرنا أن نصرف الجانب الآخر لهذه المنظمـات أيضًا لأنه فى نظرنا أحق الوجـوه إلا أن مجلس المركـز الأعلى رأى أن يأخذ رأى مشيخة الأزهر فى هذا.

القسـم الثقافى - يتـلخص فى تعليم اللغة العـربية لمن يرغب من المسلـمين.. وعندنا فى المركز الإسلامى فصل لتدريس اللغة العـربية مرتين كل أسبوع والدراسة

فيـه مناسبة للجمـيع، وهناك آخر لتعليم تـلاوة القرآن الكريم تلاوة صحيـحة.. بجانب هذا توجد محاضرات شهرية ينظمها المركز يوم السبت الأخير من كل شهر عن موضوع إسلامى يلقـيه أحد المحاضرين ثم يتبعه مناسـبة عامة.. وهناك نقطة مهمة هى أن كـثيراً من الكنائس والمدارس والكليات والنوادى والجمعـيات المختلفة فى بريطانيـا تطلب منا محـدثين يحدثونهم عن الإسـلام فنبعث إلـيهم بمتحـدثين يجيدون اللغة الإنجليزية ولهم اطلاع واسع بالثقافة الإسلامية ولم تكن هذه الظاهرة موجودة مـن قبل بهذه الصورة التى تزداد يومًـا بعد يوم، فالناس فى شوق لمـعرفة حقيقـة الإسلام. وهناك أيضًا مجلة يصدرها باللغة الإنجليـزية مرة كل ثلاثة أشهر فيها أبحاث تتعلق بالفكر الإسلامى العربى..

القسم الاجتماعى - ونشاطه واسع يشمل عقود الزواج واعتناق الدين الإسلامى ومشاكل المسلمين ومعظمـها نابع من البيئة التى يعيشون فيهـا والتى تخالف بيئتهم الأصلية كالطعام والشراب ومعاملة الناس وتربية أطفالهم تربية إسلامية فى مجتمع اضطروا لأسباب مختلفـة أن يعيشوا فيه.. وكثيراً ما تتصل بنا المسـتشفيات وتبلغنا بأن مريضًـا أو مريضة مـسلمة ترفض أن تأكل أكلة مـعينة فنذهب إلى المستـشفى ونوضح لهم ما ينبغى عدم أكله والواقع أنهم يستجيبون لمثل هذه التعاليم.. كذلك فإننا نقوم بزيارة بعض السجناء أو مـا شابه ذلك ويشكروننا على ذلك.. وبصورة عـامة فـإن هذا القـسم بالإضافـة إلى كل ذلك ينظم الصلة بينـنا وبين الجاليـات الإسلامية فى الجزر البريطانية..

❁❁❁

المرأة فى الأزهر

التحقت فاطمة الحلفاوية من بلدة «الكمايشة» مركز تلا منوفية قد التحقت بالأزهر فى سنة ١٣٠٢هـ.

وقطعت فى معهد طنطا مراحل التعليم كلها - ولما حاولت الحصول على الشهادة «العالمية» أخفقت فى الامتحان أمام لجنة كان رئيسها المرحوم الشيخ دسوقى العربى أثناء حصول «طه حسين حين أراد الحصول على العالمية».

وفى سنة ١٣٠٤هـ انتسبت بمعهد طنطا السيدة «فاطمة الغنامية» وهى من مدينة طنطا، وفى نفس العام التحقت سيدة أخرى اسمها فاطمة «العوضية» من بلدة طمبول الكبرى مركز السنبلاوين وجاء ذلك كله فى سجلات الأزهر الشريف.

✿✿✿

عميد الأدب العربى فى الأزهر

دخل الدكتور طه حسين الأزهر يوم الاثنين. ١٢ أكتوبر بعد غياب طال ٣٧ عامًا دخل يتكلم الفرنسية ويقدم لشيخ الأزهر مستر رودلف سالات مدير الشئون الثقافية بهيئة اليونسكو. ويسترجع مع الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر ذكريات الماضى القريب والبعيد.

وقبل أن يغادر طه حسين المعهد الذى تلقى فيه دروسه الأولى قال له شيخ الأزهر!

- إن عليك حقًا للأزهر. . إن خدمته واجبة عليك لقد وضع الأزهر أساس حياتك العلمية وحان الأوان لترد الدين.

لقد دام اللقاء ساعة جرى خلالها حديث فى الدين والعلم. والذكريات. . ولم يحضر هذا الحديث سوى صحفى واحد هو حنفى عاشور سكرتير عام التحرير بالجمهورية.

قال الدكتور طه حسين للأستاذ الأكبر: «إننى أحب زيارة الأحرار والارتباط بهم وأقصد من الحرية، حرية الفكر وحرية المعرفة، الحرية الموصلة إلى السمو فى الهدف والنبل فى الغاية والتى تحقق آمال الناس جميعًا فيما يهدفون إليه، أملاً يبنى ولا يهدم، ويعلى ويرفع ولا يخفض.

جئت فى صحبة المستر رودلف سالات ليقدم إليكم تحية هذه اليونسكو جميعًا مقدرين لكم جهودكم فى إثارة الوعى الدينى المنظم الذى يجمع ولا يفرق، وإنه ليقدر هو والهيئة أن الأزهر أقدم جامعات العالم وهو مصدر من مصادر الإشعاع العالمى، فهو جدير بالتقدير، ولذا رأى أنه من الواجب عليه أن يزور الأزهر جميعًا ممثلاً فى شخصكم».

وقال الأستاذ الأكبر للدكتور طه حسين: إننا نضع يدنا فى يدك وفى يد كل محب لإعلاء شأن العقل الإنسانى حتى نتمكن جميعًا بيد واحدة، وتماسك واحد،

أن نخوض غمار الحياة الحرة الرتيبة، وأنا أعتقد أن أول من يقدر الأزهر ويقدر جهاده إنما هو هيئة اليونسكو ونعتقد أيضًا أن توجيه العالم إلى الخير إنما هو إلى الأزهر.. إلى كل هيئة تنشد العلم وتسعى إلى المعرفة ومن بينها هيئة اليونسكو، وذلك مما يركز الأمن والاستقرار فى ربوع العالم، ويمنع من وقوع مثل هذه المذابح الدامية التى تقع دائمًا صراعًا بين الحق والباطل، وبين الحرية والاستعباد، وأنا أرى أنه لا يصح أن تقف الهيئات العالمية على حد البحث العلمى الجامد، وإنما يجب عليها أن تعمل دائمًا لتوطيد أركان الزمن وتركيز السلام، فإنه لا يجوز أن نستخدم النعم التى أنعم الله بها علينا من عقول مفكرة وآراء سديدة وقوة فى الإدراك، لا يجوز أن نستغل هذه أو نوجهها إلى الشر، وإلى إثارة الخواطر وتحطيم القوى، وذلك كله إنما يكون عن طريق التعارف الذى يبعث على الحب والتآلف، فإن الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف..

ثم التفت الأستاذ الأكبر إلى الدكتور طه حسين وقال:

لعلكم تذكرون يا أخى الدكتور أن الأزهر خطا خطوة واسعة فى سبيل التقريب بين المذاهب جميعًا، خطا هذه الخطوة حتى فى التقريب بين أهل السنة والشيعة، وكلية الشريعة الان تدرس الفقه المقارن بين المذاهب الأربعة وبين غيرها من المذاهب الأخرى، وأنا حريص على أن يعرف الطلاب ويدرك العلماء الأصول ويقدروا المراجع، وأنا شخصيًا أرى ذلك.. أى ليس فى الدين ما يلزم بمذهب معين، فكل الأئمة صح عنهم «إذا صح الحديث فهو مذهبى» وأنا حريص على أن يكون مرجعنا الكتاب والسنة نستقى منهما ونأخذ عنهما وننهل من منهلهما العذب، على أن كل ما يخالف هذا الأصل ويخالف الكتاب والسنة نرده ولا فقبله، وأبو حنيفة يا دكتور يقول: إن من لم يعرف من أين أتينا برأينا لا يصح أن يقلدنا، ولقد سمعنا فى أوقات كثيرة أن ابن تيمية ضال مضل ونفر المرجفون الناس من مذهبه ولكن تكشف لهم الأمر فعرفوا أنه هاد ومهد.

ثم تطرق الحديث إلى الذكريات .. فسأل الأستاذ الأكبر الدكتور طه حسين: أتذكر يا دكتور الموضوع الذى أسقطوك فيه فى الشهادة العالمية؟

فأجاب الدكتور طه: نعم، إنه المطلق والمقيد.

- ثم سأله الأستاذ الأكبر: كم سنة قضيتها فى الأزهر؟

قال الدكتور طه: أنا دخلت الأزهر سنة ١٩٠٢، وتركته سنة ١٩١٢، وبقيت فيه عشر سنوات، أنا أحب الأزهر وأؤمن بأنه المشعل القوى جدًا الذى ينير للعالم الطريق المستقيم، وأحب فيه العلم والمعرفة وأكره التزمت، أنا أذكر يا فضيلة الشيخ يوم إن كنت طالبًا وكان معى ثلاثة من الزملاء، وكنت أحضر النحو على الشيخ أبو النجا، وكنت حريصًا على النقاش العلمى، ولكن ذلك الشيخ لم يعجبه ذلك وكأننى قد أفرطت فى النقاش فطردونا من الدرس، وأقسم ألا يدرس ونحن فى الفصل، فامتثلنا وتركناه ورحنا نحضر على الشيخ عبد المعطى الشرشيمى فى زاوية العميان، وكان ما كان.

ثم عاد الدكتور حسين بالذكريات إلى الماضى البعيد فقال موجهًا حديثه إلى الأستاذ الأكبر: أتذكر فضيلتكم يوم أن جلسنا سويًا أنا وفضيلتكم والأستاذ على عبد الرازق وأخذنا نبحث فيما يجب علينا أن نقدمه لخدمة الشريعة الإسلامية وللعقل البشرى فاتفقنا يوم ذاك على أن يكتب الأستاذ على عبد الرازق فى العقيدة وتكتبون فى الشريعة وأكتب أنا فى تاريخ التشريع؟

فرد الأستاذ الأكبر وقال: إنه لمن حسن الحظ أن تجيئوا اليوم وقد انتهت المطبعة من طبع كتابى فى العقيدة والشريعة تحت عنوان «الإسلام عقيدة وشريعة».

فقال الدكتور طه حسين: وقد كتبت أنا أيضًا فى قسم التاريخ كتابًا باسم «مرآة الإسلام» ولا زلنا فى انتظار ما يكتبه الأستاذ على عبد الرازق.

مضى من الوقت نصف ساعة والمستر سالات والدكتور تقى والأستاذ عبد الحكيم سرور وأنا نستمع فى سعادة إلى الحديث الذى يدور بين الرجلين الفاضلين ثم قال المستر سالات -باللغة الفرنسية طبعًا- وقام بالترجمة الدكتور طه حسين.. قال للأستاذ: إننى لأستحيى أن أذكر النسبة بين عمر اليونسكو وعمر الأزهر المديد وبين عملها وعمل الأزهر المجيد، واليونسكو وإن كانت مؤلفة من جميع دول العالم فإننى أعتقد أن قدرتها على نشر السلام فى الأرض أقل بكثير من الأزهر

ولكننا نطمع فى الكثير من الأزهر وخاصة فى عهدكم الذى يؤمن المصلحون برسالتكم فيه.

ثم قال الأستاذ الأكبر موجهًا كلامه للدكتور طه حسين: إن عليك حقًا للأزهر وهذا الحق كذلك على كل من تتلمذ فى الأزهر وأخذ من الأزهريين، وإذن فخدمة الأزهر -إن شاء الله- سيصل بمعونة الله ومعونة لإخوانى المصلحين إلى جمع كلمة المسلمين ورجال الإنسانية على كلمة واحدة وهدف واحد.

قال الأستاذ الأكبر: إن الجمهورية العربية معنية كل العناية بأمر هذه البعوث ويظهر ذلك إقامة هذه المدينة التى تتكون من إحدى وأربعين عمارة ضمت خمسين جنسية من مختلف الجنسيات الإسلامية ليتفقهوا فى دينهم ويتعرفوا إلى نواحى الاجتماع والتعاون والديمقراطية الصحيحة فى إسلامهم، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم، وليكونوا رسائل حية لجمهوريتنا يربطون بيننا وبين إخواننا فى جميع الدول وهؤلاء يعد لهم الان منهاج دراسى يتفق وطبيعتهم ويحقق الرباط بيننا وبين دولهم ،يساعدنا ويساعدهم على تحقيق رسالة الإسلام، ولقد وفد إلى الأزهر فى هذه الآونة أحد المسلمين الأمريكان ليدرس فى الأزهر، وقد أمرت له بمنحة شهرية. أدعو الله لهذا ولغيره أن يكون جهاده وتعلمه فى سبيل العلم.. فى سبيل الربط الحر المتين بين دول الأرض بما ينشر السلام ويحققه.

ثم استطرد الأستاذ الأكبر قائلاً: إن مشيخة الأزهر تدعوك يا دكتور طه والمستر سالات والدكتور تقى، تدعوكم من الان لزيارة هذه المدينة المعدة على أحدث النظم فى العالم.

ثم سأل المستر سالات: لماذا لا تترجمون كتب فضيلتكم إلى اللغات الأخرى؟

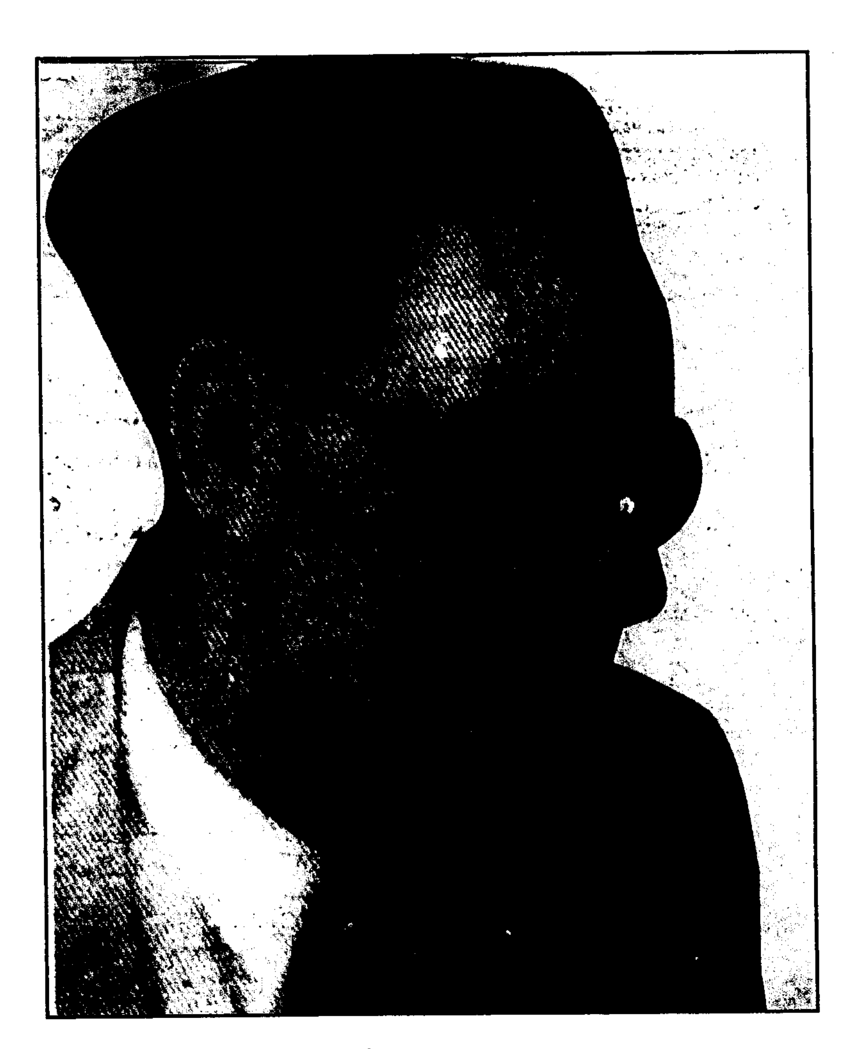
فأجاب الأستاذ الأكبر: إننى أعدكم بترجمتها.

فتدخل الدكتور طه حسين فى الحديث وقال: إننى أتمنى لو ترجمت إلى الإسبانية واذكر بهذه المناسبة أننى عندما كنت وزيرًا للمعارف أرسلت بعثة إلى إسبانيا فاشترك الأزهر بواحد وكنت أود أن لو انتفع به الأزهر وهو الآن أستاذًا فى كلية دار العلوم.

وبعد ساعة.. انتهى حديث شيخ الأزهر وطه حسين والمستر سالات.. انتهى حديثهم عن حـرية الفكر.. الحرية التى توصل إلى السمو فى الهـدف وتحقق آمال الناس جميعًـا فيما يهدفون إليه.. الحرية التى تأبـى توجيه العلم إلى الشر وتحطيم القوى.. الحـرية التى تهدف إلى التعـارف الحر على أسـاس العلم لا على أساس السياسة..

وانصـرف الضـيوف الثـلاثة.. وأحـسست بـأنهم خرجـوا بشىء جـديد عن الأزهر.. أقدم جـامعات العـالم وأحد المصادر الكبـرى للإشعاع العـالمى.. كانوا يسيـرون إلى الباب الخارجى وكـأنهم يحاولون الخطو إلى الوراء.. ليتـحدثوا من جديد.. عن حرية الفكر.. وحرية المعرفة.

❁❁❁



الدكتور طه حسين ابن الأزهر الشريف

محمد عبد المنعم خفاجى[(١)]

-أديبًا-

-١-

عالم يخطو إلى السبعين، فى صدره عزيمة الشباب، وعلى ظهره أعباء سنين طوال، قضاها مجاهدًا مكافحًا فى سبيل خدمة الثقافة والأدب، وعلى تجاعيد وجهه تلوح سمات المحتد وعراقة الأصل وطيبة النفس والتصميم على مواصلة الكفاح فى رحلة شاقة إلى المجد، والاعتماد على النفس دون محاولة للاستعانة بجاه أحد أو بنفوذه.

ومن وراء ذلك كله مؤلفات ينوء بحملها جلد إنسان، وذكر ذائع فى كل مكان من أرجاء العالم العربى والإسلامى، واعتزاز من كثير من المفكرين به وبأدبه.

وقد كتب عنه من المقالات ما لايمكن حصره، ونشرت عنه دراسات عديدة من أهمها:

١- كتاب صورة من الفكر المعاصر تأليف الأستاذ فكرى أبو النصر.

٢- كتاب من رواد الأدب المعاصر تأليف الأستاذ حليم مترى.

٣- الكتاب العربى.

وعنه كتبت تراجم فى كتب عديدة من أمثال: الأزهر فى ألف عام، وبنو خفاجة وتاريخهم السياسى والأدبى، ونشر كثير من شعره فى كتاب «مع الشعراء المعاصرين» وفى ديوانه «أحلام الشباب».

-٢-

ويمكننا أن نتعرف إلى المذهب الأدبى عند أديبنا فى كتبه، مما يمكن تلخيصه فيما يلى:

---

(١) ص ٣٤ جـ ٤ من الأدب الحديث -مكتبة الأنجلو بالقاهرة.

١- يؤمن أديبنا بضرورة الملكة الأدبية، والموهبة الذاتية كأساس لبناء الأديب من الجانب الفنى والثقافى، ومن ثم نجده يحيل كل الخصائص الذاتية التى تميز أديبًا عن أديب إلى أثر هذه المواهب.

٢- ويرى أن الثقافة الأدبية الحديثة للأديب يجب -فوق تناولها لجميع الثقافات الممكنة- أن تتناول التعرف إلى جميع الثقافات الأدبية القديمة والحديثة والمعاصرة عند جميع الشعوب، ومن ثمن يحرص على الاتصال بروائع الآداب الأوروبية المترجمة، ويرى وجوب التعاون والإخاء الأدبى بين الأدب العربى وهذه الآداب. كما يرى وجوب دراسة الآداب الشرقية عامة والعربية خاصة عند جميع الشعوب التى يتصل تاريخنا بتاريخها وحياتنا بحياتها، ومن أجل ذلك أسهم فى نشر كثير من الآثار الأدبية القديمة والمعاصرة لأدباء من أبناء مصر والبلاد العربية. وبحثه عن الشعر السودانى المعاصر الذى نشره فى كتابه «قصص من التاريخ» يعد بحثًا جامعًا أصيلاً جديدًا.

٣- وأديبنا يرى أن الأدب لابد أن يخدم هدفًا اجتماعيًا أو قوميًا أو إنسانيًا، وإلا فقد جزءًا كبيرًا من مقوماته، ومن أجل ذلك نراه فى كتابته عن الأدب المعاصر يشيد بروائع الآثار الواقعية فى الأدب والشعر (راجع مقدمة كتابه قصص من التاريخ).

٤- وهو مع ذلك يرى أن الأدب المعاصر تنقصه الملكة والذوق البلاغى، كما أن الأدب القديم كان ينقصه الاتجاه والمذهب والرسالة، ومن أجل ذلك فهو يبشر بأدب جديد تتجلى فيه خصائص الأدبين أكثر وضوحًا عما هى عليه الآن.

ومن صور آرائه فى الأدب الحديث ما كتبه فى مقدمة كتابه «قصص من التاريخ» بعنوان (الأدب والحياة) قال:

«الأدب لم يعد اليوم ترفًا وفنًا خالصًا، وتصاوير مزخرفة منمقة وبلاغة أدبية محضة، ولم يعد يقصد للترفيه والتسلية وقطع الوقت، وليس الأدب مقصورًا على إثارة الشهوات الجنسية كسبًا لجمهور القراء الفارغين التافهين، وليس بخورًا يحرق فى مواكب الطغاة تمجيدًا وتسبيحًا بحمدهم، ولا دعاية تنشر لتضليل الرأى العام

وإلهائه وكسبه بجانب الديمقراطية أو غيرها، فلم يعد لأمثال هذه الآداب بيننا قيمة، ولم يعد القارئ المثقف يؤمن بمثل هذا الأدب الأجوف، ولم تعد أحكام النقد وقفًا على طائفة من الكتاب والنقاد المضللين، الذين ساروا فى كل ركب، ومشوا تحت لواء كل موكب، ووقفوا حياتهم على الدعاية لسياسة الغرب باسم الصداقة والأحلاف والديمقراطية فى الشرق العربى.

ونحن نبدأ عهدًا جديدًا نحطم فيه هذه الأصنام الزائفة، وهذه الأقلام الجوفاء، وهذه الأغراض التى تاجرت بحريتنا الفكرية والأدبية، وأخضعت الأدب لأهواء السياسة ومشيئتها، وآثرت على حساب الأدباء المساكين.

نحن نمقت هذه العصابات الأدبية الضالة، التى قتلت النبوغ وحاربت الفكر وضاقت ذرعًا بمواهب الشباب من الأدباء فقبرتها، وسخرت الأقلام للتسبيح بحمدها بين الناس.

أصبح الأدب يدعو إلى الحرية والكرامة والحياة الطيبة للأفراد والجماعات والشعوب، الحرية الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والكرامة التى تدع الإنسان مؤمنًا بأنه لم يخلق عبدًا لإنسان، وإنما خلق إنسانًا يشعر بكرامته الإنسانية وقيمته فى المجتمع، والحياة الطيبة التى تتكافأ فيها الفرص، وتتساوى فيها المواهب، ويجد فيها كل إنسان له عملاً لائقًا، وعيشًا شريفًا، ومستوى ماديًا مناسبًا وعناية واحدة من الحاكمين، والتى تنعدم فيها الفروق بين الناس، وتقل فيها المشكلات أمام الفرد، فلا يضطر إلى الانتحار ،لأنه لا يجد الخبز لنفسه وأولاده، ولا يعيش متسولاً عالة على الناس، ولا يقعد به المرض أو الجهل عن أن يعيش وأن تحفظ عليه كرامته فى وطنه.. يجب أن يكون الأدب اليوم صدى الحياة المدوى، وصوتها المجلجل فى كل سمع، ولسانها المعبر عن آمال الإنسانية وآلامها وأفراحها وأحزانها وسعادتها وشقائها، وأن يعبر فى وضوح عن حياتنا التى نحياها: حياة الفلاح فى حقله، وحياة العامل فى مصنعه، وحياة الموظف فى وظيفته، وحياة الفتاة التى نادينا بحريتها، وحطمنا الأغلال دونها، ثم لم نعمل شيئًا فى سبيلها، لتستطيع الاحتفاظ بحريتها الطبيعية التى تحميها لها الحياة، فلم نساعدها على العمل الشريف ولا على الزواج المناسب، وعلى حياة الأسرة

الهادئة، وتركناها وحدها فى الميدان، تقضى حياتها محرومة من الزواج السعيد الصالح، والأولاد الذين تتشوق فى لهفة إليهم.

والوضوح والبساطة والجمال والصدق هى الخصائص الأدبية الأولى، والعناصر الفنية الأساسية لكل أدب جميل بليغ. ولكن خلود هذا الأدب وذيوعه يتوقف فوق ذلك على مضمونه وعلى أن يكون الأدب إنسانى النزعة، رفيع الهدف والغاية، يعمل مساعداً لنواميس الحياة على التقدم والنهضة والازدهار».

-٣-

والعوامل الثقافية التى أثرت فى عقلية أديبنا، يمكن تلخيصها فيما يلى:

١- العامل الأول: ثقافة الأسرة، وهى أسرة تنتمى إلى أصول عربية قديمة بسط صاحبنا تاريخها فى كتاب خرج منه حتى الآن تسعة أجزاء -ومن هذه الأسرة أعلام قديمة وحديثة ومعاصرة من الأدباء والعلماء والشعراء والكتاب، وهو كتاب «بنو خفاجة».

٢- العامل الثانى: ثقافته فى الأزهر الذى عاش فيه تلميذاً من سنة ١٩٢٧ إلى ١٩٤٦ حيث تخرج من كلية اللغة العربية يحمل شهادة «العالمية من درجة أستاذ فى البلاغة والأدب، وتعادل الدكتوراة حرف (أ) من الجامعات المصرية -وتخول لحاملها التدريس فى كليات الأزهر وكليات الجامعات المصرية، وكانت الرسالة التى قدمها هى «ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان» وهى مطبوعة.

٣- العامل الثالث: مطالعاته الشخصية فى الأدب قديمة وحديثة ويقول لنا: إنه حتى تخرجه طالع ما لا يقل عن خمسة آلاف كتاب فى الأدب عدا الكتب الثقافية الأخرى.

٤- اتصاله الوثيق بالبيئات والمدارس والمذاهب الأدبية المعاصرة، ودراساته فى كلية اللغة لتلاميذه.

٥- الاستعداد الشخصى والملكات الذاتية، التى تكون لصاحبها أفكاراً ثقافية وأدبية خاصة متميزة.

٦- اتصاله المباشر بالبيئات الثقافية الأجنبية وكان لعمله فى الليسيه الفرنسية مدرسًا بها أثر ما فى حياته، وكذلك اتصاله بالعديد من العناصر والبيئات الثقافية.

ومؤلفات الخفاجى تنقسم إلى عدة مجموعات:

١- فالأولى طائفة من المؤلفات فى الدين، من بينها: الإسلام دين الإنسانية الخالد، الإسلام وحقوق الإنسان، الإسلام رسالة الإصلاح والحرية، مبادئ الإسلام الخالدة (بالاشتراك)، من ماضى الإسلام وحاضره (بالاشتراك)، الذكر الحكيم، مأثورات نبوية.

٢- والثانية كتب فى التاريخ ومن بنيها: بنو خفاجة وتاريخهم السياسى والأدبى وهو فى تسعة أجزاء، الأزهر فى ألف عام وهو فى ثلاثة أجزاء قصة التصوف فى مصر، الصوفى المجدد.

٣- كتب فى النقد ومن بينها: مذاهب الأدب، فصول فى النقد، موقف النقاد من الشعر الجاهلى، وحدة القصيدة فى الشعر العربى، حكومة القاضى الجرجانى فى النقد الأدبى.

٤- كتب فى التاريخ الأدبى القديم والحديث والمعاصر، ومن بينها: الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى، الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، الحياة الأدبية فى العصر العباسى، والحياة الأدبية فى الأندلس والعصر العباسى الثانى، والحياة الأدبية بعد سقوط بغداد فى عصر بنى أمية، والحياة الأدبية العربى بين الجاهلية والإسلام، الأدب العربى فى ظلال الأمويين والعباسيين، وهما (بالاشتراك)، والأدب العربى وتاريخه وهو فى أربعة أجزاء (بالاشتراك).

وقصة الأدب فى مصر، فى خمسة أجزاء قصة الأدب فى الأندلس فى خمسة أجزاء، قصة الأدب المعاصر فى أربعة أجزاء، قصة الأدب فى الحجاز بالاشتراك مع الأديب الحجازى عبد الله عبد الجبار وسيقع فى عدة أجزاء، صور من الأدب الحديث فى أربعة أجزاء.

٥- كتب فى تاريخ أعلام الأدب العربى، ومن بينها: ابن المعتز وأثره فى الأدب والنقد والبيان، رائد الشعر الحديث فى جزءين، أعلام الأدب فى عصر بنى

أمية فى جزءين، أشعار الشعراء الستة الجاهليين، أعلام الأدب العربى (بالاشتراك)، الشعراء الجاهليون، مع الشعراء المعاصرين. أبو عثمان الجاحظ.

٦- كتب فى الأدب ومن بينها: فصول فى الأدب، من بلاغة العرب وهما بالاشتراك، نداء الحياة، الشبيه فى شعر ابن المعتز وابن الرومى، وغيرها.

٧- كتب فى البلاغة العربية ومن بينها الإيضاح فى البلاغة فى ستة أجزاء وعبد القاهر وأثره فى البلاغة العربية، والبلاغة العربية.

٨- كتب فى اللغة العربية وهى عديدة.

٩- كتب قديمة نشرها الخفاجى وحققها وهى عديدة كذلك، ومن بينها: البديع لابن المعتز، فحولة الشعراء للأصمعى، قواعد الشعر لثعلب.

ورسائل ابن المعتز، إعجاز القرآن للباقلانى، فصيح ثعلب، مقامات الحريرى بشرح الشريشى، وغيرها.

وللخفاجى مقدمات لكتب كثير من الأدباء المعاصرين، وممن كتبوا عنه: الدكتور أحمد زكى أبو شادى، والناقد مصطفى السحرتى. روكس العزيزى. عبد الله زكريا الأنصارى. عبد الله عبد الجبار. محمد سعيد العامودى. وديع فلسطين. حسن جاد. حليم مترى. أحمد الزين صاحب مجلة العرقان بلبنان. الشيخ محمود النواوى. كامل أمين. محمد فوزى العنتيل. رضوان إبراهيم. إبراهيم الواعظ من أدباء العراق. عبد المسيح حداد. أحمد الشرباصى. كمال السوافيرى. فكرى أبو النصر. جميلة العلايلى. أبو الوفا التفتازانى. أبو السعود الجهنى، وغيرهم.

ومن شعر الخفاجى قصيدته «الشهداء»:

بطولتهم لكل فتى نشيد	وذكر فدائهم أبدا جديد
ومجد جهادهم فى الدهر باق	يضن به على الدهر الخلود
شباب للعلا ثاروا غضابًا	تناديهم وقد ثاروا الجدود
مشيئة مصر أن تحيوا كرامًا	فذودوا عن حقوق الشرق ذودوا

حـيـاة العـز أو مـوت زؤام ... ولا يجـدى التـردد والقـعـود
دعـاهم للعـلا داع فـهـبـوا ... جنود فـى نضـالهـم أسـود
فـمـا يلهـيـهـم فى الروع وعـد ... ولا يثـنى عـزائمـهـم وعـيـد
أبـاة والأبى يـعـيـش حـرًا ... كـأن مـضـاءه القـدر العـمـيـد
يثـور عـلى الحـديد فـلا حـديد ... ويزأر فى الـقـيـود فـلا قـيـود
ويـنهـض للـعظـائم فـى جـلال ... ويفـعـل مـا يريـد كـمـا يـريد
لمصـر حـيـاتـهم كـانـت فـداء ... وشـعـب تلـك غـايـتـه يسـود
هم الشـهـداء قـد ضـحـوا كـرامًا ... فكـل بيـن واديه شـهـيـد
ويوم فـدائهم للمـجـد ذكـرى ... ويوم جـهـادهم لـلشـرق عـيـد
هم الـكرمـاء قـد بروا وجـادوا ... ويحـيـى ذكـرهـم بر وجـود
قـبـورهم نفـوح شـذًا وعـصـرًا ... وتحـفـوهـا الأزاهر والـورود
وفى البـيـداء تـخـشع فى جـلال ... ويخـشع من جـلالـتـهـا الوجـود
كـسى الشـهـداء تلك البيد مـجـدًا ... تشـيـد بذكـرهن أرض وبيـد
وليـس لما بنى الـشـهـداء مـثل ... وليـس لتـضـحـيـاتهم نـديد
ويهـتـف باسـمـهـم شـعـب أبى ... تكاد الأرض إذ غـضـبـوا تمـيـد
عـزيز أمـسـه الماضـى كـريم ... طريـف مـجـده البـاقـى تليـد

-٦-

ويقول الشاعر المصرى كامل أمين، من قصيدة له وجهها إلى الخفاجى:

يا أخـا الخيـر «يا خفـاجة» والخيـر شبـاب الندى وروح الحيـاة
كل أرض نما به الـبـر روح ألبـسـتـه الحـيـاة ثوب النبـات
قـد عهـدناك يا أخى تعـبر الناس فـتسـعى بهم كـسعى الفـرات
تبـعث اليـأس القنوط من الآمـال كـبـعث الحيـاة بعـد المـمات

يا أخى أين يوم كنت ألاقيك وكلى مجرح من كفاحى
لم أجد فى الحياة لما تمزقت سواك أمرًا يداوى جراحى
كنت أجتاز زحمة الناس كالبيد لم تفض بغير الصياح
ضحلة البر والتعاون تجتر الشحاح الندى بها من شحاح

***

كم أرتنى الخطوب من صور الناس زيوفا قد فتحت عينيا
رب خدن ظننته ملء كفى نفض الخطب من يديه يديا
كان كالشوك لا نبات ولا ظل وإن كان كالنبات نديا
فإذا فزت من تجارب دنياك بحر كسبت بالحر دنيا

***

يا أخى كيف مد سحرك فى الليل فمد الصباح بين بيانك
ريشة الساحر الصناع بكفيك وسحر البيان تحت لسانك
وخيال الحديث يجذب كاللحن فماذا عزفته فى كمانك
الكمان الذى استحال يراعا هز داود فيه من ألحانك

-٧-

وفى قرية صغيرة قديمة من أعمال مركز المنصورة، تسمى «تلبانة»، ولد الخفاجى فى ٢٢ يوليو عام ١٩١٥ بين أحضان الطبيعة الجميلة فى الريف، وبين الفلاحين المكدودين المرهقين الذين يعيشون فيه عيشة تجمع إلى البساطة سذاجة التفكير، وإجهاد العيش، وشظف الحياة.

وفى إبان الحرب العالمية الكبرى، وما تلاها من أحداث الثورة الوطنية المصرية عام ١٩١٥ ولد ونشأ الخفاجى.. تنطبع فى ذهنه صور من كفاح الحياة والإنسانية ومن جهاد مصر فى سبيل حريتها وآمالها، هذا الجهاد الذى ظل أمدًا طويلاً شغل

المصريين كافة، وموضع تفكيرهم، وألهم المقعد الناصب لهم فى حياتهم المعاصرة.

ولم يترك الخفاجى القرية إلا فى أثناء دراسته، وظل وفيًا لها ولأهلها الأبرياء البسطاء طول حياته.

وهذا الميلاد وما صاحبه وتلاه من أحداث فى حياة الخفاجى يصوره فى قصيدة ساحرة له عنوانها «يوم الميلاد» جاء فيها:

يوم ميلادى حمده صيغ لى اسما	وارتدت فى سناه روحى جسما
ورأيت الوجود طفلاً صغيراً	يستطيب الدنيا رضاعا ونوما
ويحب الحياة مهداً وثيراً	وأبًا صاغه الحنان وأما
ونشيداً وأغنيات عذابًا	تملأ الغرفة الصغيرة نغما
ومناغاة إخوتى فى المهد	وقبلات تشبع المهد لثما
والسماء الزرقاء تسحر عينى	فأحصى النجوم نجمًا فنجما
وأرى كل ما أشاهد حلمًا	وأرى صادق الحقيقة وهما

ومنها:

ما أنا؟ صورة لجد وجد	وكتاب عنهم ينبىء علما
أنا مرآة صورت كل ما طاف	بوهم الحيا وهمًا وحلما
أنا أغنية تلحنها البيئة	رمزاً على الحياة ووسما
أنا قيثارة العصور ولحن	ربما بالحياة زادك فهما
ونشيد فم الخلود يغنيه	أمانا على الزمان وسلما
بين نجد وفى العراق ومصر	عاش قومى يأبون ذلا وضيما
ملكوا الملك شيدوا العرش ساسوا	الناس بالعدل والشجاعة حزما
أنصت التاريخ القديم إليهم	ولهم طالما أشار وأومى

فـزعت بغـداد وأتراك بغـداد　　لقـوم لم يقـبلوا قط ظلـمـا

ثم أضـحى المجـد التليـد حطامـا　　والجـلال القـديم أصـبح وهمـا

وعـيـون التـاريخ تهـزأ بـالدهر　　الوفـى الذى تحـول خـصـمـا

بين أرض الريـف الجـميلة نـشئت　　وشـمت الحـيـاة صـحـوا وغـيـمـا

وحـملت الأعـبـاء طفـلاً صـغـيراً　　وحـسـمت الأمـور بالحزم حـسـمـا

وبنيت المسـتقـبل الضـخم صرحـا　　ودعـمت البـنـاء وحـدى دعـمـا

ومنها:

يا لذكـرى المـيـلاد عـودى وعـودى　　فـالرجـاء البـعـيـد بالوصل هـمـا

امـلأى العـيش بهـجـة وسـرورا　　طالما ذقـتـه شـجـونًا وهمـا

أنطقى الدهر، أسمـعى الدهرى لحنى　　والليـالـى فطالما كن صـمـا

أنا أحـيـا على الرجـاء وأسـعى　　لأنال المنى كـفـاحـا ورغـمـا

أنا مـا أبتـغـى يجل عن الـوصف　　وجـل مـا أرتجى أن يـسـمـى

أنا أحـيى التـاريخ مـجـداً وجـاهًا　　وأعـيـد الأيام يومًـا فـيـومـا

-٨-

إن الخفاجى لم يكن وحـده فى الحياة، إن تاريخ قومه يمتـد إلى أكثر من ألف وخمسمائة عام.

فهو من سلالة عربيـة عريقة، أرخ لها فى كتابه «بنو خفاجـة وتاريخهم السياسى والأدبى»، والخفاجـيون قبيلة عـربية حجازية كـبيرة نشأت فى العـصر الجاهلى وزاد نفوذها، وهم من العقليين العامريين القيسيين، وقد تعددت فروع القبيلة بعد الإسلام وهاجرت سلالات منها إلى الشام ومـصر والعراق والمغرب والأندلس، ومنهم أعلام خالدون فى كل مكان، ولا ننسـى الشاعر الأموى توبة الخـفاجى العربى الحـجازى، والأمير ابن سنان الخـفاجى الحلبى المتوفى عام ٤٦٦هـ، والشهاب الخـفاجى المصرى المتوفى عام ١٠٦٩هـ وابن خفاجة الأندلسى الشاعر المشهور، وغيرهم.

ومن الخفاجيين أسر حاكـمة فى حلب فى القرن الخامس الهجرى، وفى العراق فى القرن الرابع إلى السابع الهجرى، وكـانت ولاياتهم فى الناصرية بقرب الكوفة وكان يتـولاها منهم أمير بعد أمـير، وكانوا فى شبـه استقلال داخلى عـن الخلافة العباسية.

إن هذا الماضى العريق يحمله الخفاجى فى قلبـه ودمه وأعصابه ويقف مزودًا منه بإيمان راسه، وعبقرية حادة، وقوة ضخمة تعاونه على كفاحه فى الحياة.

وحفظ الخـفاجى القـرآن الكريم وتعلم مـبادئ وأطرافًـا من الثقافـة الأولى فى مكتب القرية أو المدرسة الأولى التى كـان يتعلم فيها الشبـاب فى ريف مصر إلى عهد قريب.

وفى عام ١٩٢٧ رحل إلى مـدينة الزقازيق يتلقـى ثقافتـه الابتدائية والـثانوية فى معهدها الكبير، الذى تخرج منه عام ١٩٣٦، وبين هذين التاريخين قصة كفاح طويل ليس هنا فى هذا الكتاب مجال تسجيلها، إنما موضعه فى كتاب مفصل آخر.

ومن أهم ما ظهر على الخـفاجى فى هذه الفترة الاتجـاه الوطنى الذى دفعه إلى الكفاح فى سـبيل وطنه فى الأزمات السيـاسية التى مرت بمصـر منذ عام ١٩٣٤، وكان رئيس اتحاد طلبة أبناء الشرقية فى مدينة الزقازيق، وكان هذا الاتحاد قوة كبيرة سياسيـة فى هذه الفترة، والخفاجى وأصدقاء له هم الـذين كونوه، وكانت مؤتمراته الوطنية تنشر فى الصـفحة الأولى فى جريدة الجهاد المصـرية، وفى شتى الصحف فى هذه الفترة.

ومن أهم مـا يلاحظه الخفـاجى على الثـقافـة المصرية فى هذه الفـترة انعـدام التوجـيه وضعف تربية الملكات، وإهمـال شئون الطالب النفـسية والعقليـة إهمالاً كبيرًا. وقد جاهد الخفاجى فى أزمة الأزهر عام ١٩٣٥ مع زملائه جهادًا طويلاً.

والتحق الخفـاجى بعد مرحلة الثانوى بكـلية اللغة العربية بـالقاهرة وهى إحدى كليات الأزهر الشـريف وبدأ دراسته فيـها فى أول أكتوبر عـام ١٩٣٦، وفى اليوم الثانى من أكتـوبر من هذا العام توفى والده، وبعد ذلك بعشـرين عامًا أى فى يوم الخميس ٢٧ جمادى الثانية ١٣٧٥هـ - ٩ فبراير ١٩٥٦ توفيت والدته.

وفى خلال هذه الفترة اشترك الخفاجى فى الحركة الوطنية؛ وتابع دراسته وعمل أحيانًا فى الصحافة فى جريدة السياسة والدستور، وفى صحف أخرى، وكتب المقالات والبحوث والدراسات فى شتى الصحف والمجلات.

وكان قيام الحرب العالمية الثانية فى هذه الفترة عام ١٩٣٩ أهم حدث عالمى تأثر به الشباب العربى أيما تأثر، بل تأثر به شباب العالم قاطبة.

وفى هذه الفترة تأثر بآراء عالمين، ومفكرين كبيرين من رجال الفكر والثقافة والإصلاح، هما الأستاذ الأكبر الشيخ إبراهيم حمروش شيخ الأزهر فيما بعد، والأستاذ الكبير الشيخ محمد عرفة عضو جماعة العلماء بالأزهر.

وكان الأستاذ الأكبر الشيخ حمروش عميد كلية اللغة آنذاك وكان بعقله الواسع وأفق تفكيره البعيد وثقافته العلمية العريقة أرفع مثال لطلاب كليته، يستمدون منه القدوة ويحتذون حذوه فى الفهم والتفكير.

وكان الأستاذ الكبير محمد عرفة أستاذًا للخفاجى فى الفلسفة والبلاغة، ومن ثم تأثر بآرائه التجديدية العلمية تأثرًا خاصًا.

وتخرج الخفاجى فى يوليو عام ١٩٤٠ من كلية اللغة يحمل شهادته العالية.

والتحق بأقسام الدراسات العليا فى كلية اللغة العربية فى أكتوبر عام ١٩٤٠ فى قسم البلاغة والأدب، فعكف فى خلال الأحداث العالمية التى صاحبت الحرب العظمى، وفى أحداث مصر القومية التى امتدت من هذا التاريخ، وفى خلال أزمات الأزهر التى كانت نتيجة للصراع بين الحكومة والقصر والتى كان الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى مظهرًا لكثير من صور الحرب الخفية فى هذه المعركة، فى هذه الظروف عكف الخفاجى على دراساته العليا إلى أن تخرج عام ١٩٤٥ يحمل شهادة النجاح فى الامتحان التمهيدى لشهادة العالمية من درجة أستاذ.

ثم قدم رسالته الجامعية «ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد البيان» ونوقش فيها فى أكتوبر عام ١٩٤٦، ونال بها بتفوق شهادة العالمية من درجة أستاذ فى الأدب والبلاغة من كلية اللغة العربية وهى أرقى شهادات الأزهر الجامعية وتعادل الدكتوراه الممتازة حرف (أ).

ومن الجدير بالذكر أن الخفاجى قدم للكلية مع رسالته المخطوطة ثلاثة كتب له مطبوعة عن ابن المعتز فى جوانب تخدم موضوع رسالته وهذه أول مرة يقدم فيها باحث رسالة علمية مخطوط ومعها ثلاثة كتب تخدم رسالته وفى موضوعها.

وكان هذا الجهد الأدبى موضع تنويه الأدباء والعلماء والصحف فى حينه.

ولا ننسى أن نقول: إن خفاجى أمضى مع عمله الضخم هذا سنوات طوالاً يشغل وظيفة أستاذًا فى الليسيه فرانسيه فرع شبرا.

وقد ترك بعد حصوله على شهادة العالمية من درجة أستاذ وظيفته فى الليسيه ليتولى أستاذية البلاغة فى معهد أسيوط الكبير الذى عمل فيه من نوفمبر عام ١٩٤٦ حتى أكتوبر عام ١٩٤٧، ثم فى معهد الزقازيق الذى كان طالبًا فيه من قبل، والذى عمل فيه من عام ١٩٤٧ إلى عام ١٩٤٨.

وانتقل الخفاجى فى ١٧ أغسطس عام ١٩٤٨ إلى كلية اللغة العربية مدرسًا للأدب والنقد والبلاغة فيها، وهو اليوم أستاذ فيها.

ومن الطريف أن نذكر أن الخفاجى متزوج من عام ١٩٤٨ وله ولد هو ماجد خفاجى، وتوفيت له بنت كان اسمها «وفاء خفاجى».

وهو عضو فى شتى الهيئات العلمية والأدبية فى مصر والعالم.

وله العديد من المؤلفات. وهو من أكبر دعاة التجديد والإصلاح والوحدة العربية، ومن أكبر الثائرين على النظم السياسية الجائرة السائدة فى كثير من شعوب العالم العربى المتخلفة عن ركب الحياة والحضارة وعن مبادئ الإسلام الكريمة.

-٩-

ومن صور مقالات الخفاجى كلمة كتبها بعنوان «أيام المجد»:

أيام عشتها وكأنى عشت بها الدهر كله، فقد جمعت المجد من أطرافه، واهتزت خلالها النفس هزة الفرح والإعجاب.

أيام ويا لها من أيام، لقد حسدت عليها نفسى، وحسدت الجيل الذى أعيش به، وحسدت وطنى مصر لأن تاريخه احتواها، ولأن العالم كله قد اهتز إعجابًا به وبها.

أيام ويا لها من أيام، فلو قدمت اليوم لما كان قد بقى لى من أمنية فى الحياة أتمناها لى ولوطنى المجيد.

فأولاها: أيام الثورة الوطنية عام ١٩١٩ فى مصر، وقد شاهدتها فى قريتى الخضراء طفلاً صغيرًا. وشاهدت المظاهرات الوطنية التى كان يقوم بها أهالى القرية وأنا بينهم فى شوارع قريتى الصغيرة وحاراتها. يهتفون للوطن بالحرية والاستقلال، وللإنجليز بالدمار والهلاك، ويطالبون بحرية للوطن العزيز: مصر وطن الأحرار والمجد والتاريخ، وكم كان يسعدنى وأنا طفل صغير أن أخرج مع جموع الفلاحين نحمل الهراوات والعصى ونستقبل بها السيارات الوافدة على طريق القرية، فإذا كان فيها أجانب استوقفناهم وطالبنا منهم أن ينزلوا معنا نحن الثائرين، ويهتفوا معنا بحرية مصر واستقلالها وسقوط إنجلترا والاستعمار.

وثانيتها: أيام ثورة مصر الكبرى فى معركة القنال، حيث قامت المعركة فى أرض القنال بين قوات البوليس المصرى وجيوش الاحتلال، وضرب المصريون فيها أروع الأمثال وأمجد صفحات البطولة التى دونها التاريخ وعرفها الزمن وقد انتقم الإنجليز لهذه الثورة الوطنية الجليلة الخالدة بأيدى الخونة المصريين فى ذلك الحين، وعلى رأسهم صاحب العرش فاروق بن فؤاد، فأحرقوا القاهرة وكبتوا الحريات، وأعلنوا الأحكام العرفية، وأقالوا الوزارة الدستورية القائمة آنذاك وصبوا على البلاد سوط عذاب، ومع ذلك فقد صمدت مصر فى وجه الأحداث صمود الجبال والأبطال.

وثالثها: أيام الثورة المصرية القومية الكبرى، ثورة التحرر والتحرير فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢، حيث استيقظت فى صباح هذا اليوم الجميل، فشاهدت جيش الوطن قد احتل مرافق القاهرة: وأقام حكمًا جديدًا فى البلاد، قضى على الخونة والفساد والإقطاع وسماسرة الحكم، وأخذ يصنع البلاد، ويكون فيها جيشًا قويًا، يحمى حرية الوطن واستقلاله.

ورابعتها: أيام معارك الوطن الكبرى فى أواخر أكتوبر ١٩٥٦، وأوائل نوفمبر من هذا العام، حيث تآمرت إنجلترا وفرنسا ومعهما عدوتنا إسرائيل التى يحركها

الاستعـمار كما يشـاء، وغزوا بقواتهم منطقة سـينا، ثم انهالت الطائرات والقنابل تدمر مدن مصر ومنشآتها وفق ما يشـاء الأعداء، وصمدت مصر والمصريون صمود الأبطال.

وقامت المعركة فى بورسعيد، هذه المعركة الخالدة التى كتب فيها المصريون أروع الصفـحات طول عصـور تاريخهم المجيـد، والتى دار فيـها القتـال من شارع إلى شارع، ومن منزل إلى منزل، ووقف جـيش مصر وشعـبها فى بورسعـيد يصدون العدوان، ويقـاومون جنود الإمـبراطورتين العجـوزتين ومعهم جـنود إسرائيل من مجـرمى الحرب، ومن الهابطين من الجو، والـصاعدين من البحـر. وتتبع الوطن المصرى أنباء القتال أولاً بأول؛ وساعة بساعة، ووقفوا حول المذياع يسمعون وصف المعركة. وينصـتون لأنبائها، يزدهيـهم الفخر والكبرياء والمجـد والعظمة لبطولات جـيشـهم النادرة، وعظمـة الشـعب المصـرى الكامنة المتـوارثة خـلال الأحقـاب والأجيال، وكأن مـجرمى الحرب إيدن ومولييه أرادا أن ينتـقمان من مصر لتأمـيمها قناة السويس فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ فرصدوا لها الأساطيل الجيوش والطائرات.

ولكن مجرم الحرب إيدن، ومـجرم الحرب مولييه، ومعهـما تابعهم بن غوريون هزموا وانتصرت مصر فى معركة بورسعيد وقاوم المصريون فى أرض المعركة وثبتوا ثبات الجبال، واحتمى إيدن ومولييه بقرار هيئة الأمم المتحدة الذى نص على وجوب وقف القتال فى الساعة الثانية صباح الأربعاء ٧ نوفمبر عام ١٩٥٦.

وهل أنسى الأسبوع الأول للحرب، وكانت غـارات طائرات الأعداء مستمرة على القاهرة كل دقيـقة، حيث لا يجد أحد مـتنفسًا يأخذ فيـه لحظة هادئة متمتعًـا بنعمة الأمن والتفكير والتحرر من الخوف، وكنا فى القاهرة نطفئ الأنوار منذ دخول الليل، وتنقطع الطرق، وتتوالى صـفارات الإنذار كل دقيقة، ونسـمع أزيز المدافع وأصوات القنابل فى كل مكان، وكانت طـائرات العدو تتهاوى كـأنها الورق أمام مدافع مـصر وبسالة أبنائها. لم نكن نجد دقـيقة واحدة نخلو فيها إلى أنفـسنا للتفكير أو التأمل أو القراءة أو الاستـمتاع بالطعام، وكانت المعسـكرات تنتظم شباب مصر وشيـوخها من المتطوعين للدفاع عن وطنهـم الأكبر، وكنا نتساءل بأى حق يبيح مـجرم الحرب إيدن ومولييه لأنفسهـما حق غزو الشعوب التى خلقها الله حرة طليـقة من كل قيد، وفشل

إيدن وفشل موليه ومعهما بن غوريون، فهم فشلوا فى تحطيم الروح المعنوية فى شعب مصر أو فى تحطيم المقاومة الشعبية فى وطنى مصر. وانسحب المعتدون من بورسعيد مكرهين فى الرابع والعشرين من ديسمبر عام ١٩٥٦.

أيام كلها مجد وذكريات خالدة، كتبت فيها مصر صفحات رائعة من المجد، والمجد لمصر ولشعبها الحر الأبى، وللعرب الأحرار الميامين.

-١٠-

ومن صور الخفاجى هذه القطعة وهى بعوان «يا وطنى».

يا وطنى الخالد: لك المجد ولك أمجد صفحات التاريخ.

يا وطنى، يا مصر يا أم الحضارة. ومهد المدنية، ومعلمة الشعوب، لك العز والثناء، ولك الحرية والفداء، ولك العظمة والكبرياء.

يا وطنى: لقد كتبت اليوم أروع أعمال البطولة فى دفاعك المجيد عن بورسعيد، مما شهد به العالم، وسجلته الأحداث، لقد قاتل شعبك المجيد، قتال الأبطال من شارع إلى شارع ومن منزل إلى منزل، فعلمت البرابرة الغزاة أن أرض مصر حرام على المستعمرين، وأنها أمنع من العقاب، مادام شباب مصر وشيوخها حريصين على أن يفتدوها بالمهج والأرواح.

يا وطنى: لقد وقفت خلال عصور التاريخ ضد الغزاة الفاتحين مقاتلاً باسلاً، ومحاربًا صلبًا، فطردت الهكسوس والفرس واليونان والرومان من أرضك، وطردت الصليبيين والتتار من ثراك الطاهر، وأقمت بسواعد أبنائك حضارات مشرقة، وإمبراطوريات مصرية ضخمة انحنى لها التاريخ، وهتف بذكرها الزمان.

يا وطنى: بيد أحمس ورمسيس، وبيد عمرو بن العاص وصلاح الدين، وبيبرس وبرقوق، وعرابى وجمال: رفعت أعرق لواء، وأمجد راية، وأرفع شعار للحرية والمجد والعظمة والجلال والقوة

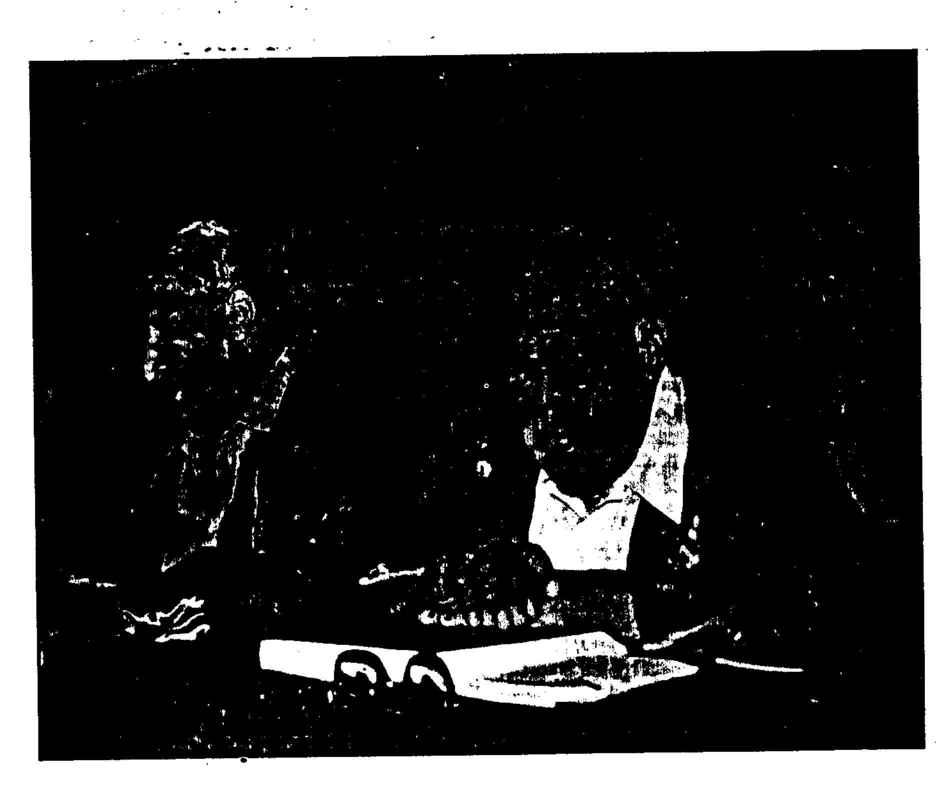
يا وطنى: إن الإمبراطورية المصرية فى عهد عمرو بن العاص وخلفائه، ثم عهد المعز وذريته، ثم فى عهد صلاح الدين الأيوبى وسلالته، ثم فى عهد المماليك، ثم

فى القرن التاسع عـشر: كانت من أعظم الأعمال فى التاريخ، وكـانت رمزًا وعزة ومنارة للإسلام والمسلمين، وكهفًا تأوى إليه الحضارة والثقافة الإسلامية.

يا وطنى الخالد: لقد وقف الإنجليز فى القرنين التاسع عشر والعشرين لنهضتك وحريتك ومـجدك بالمرصاد، فقـضوا على الأسطول المصرى فى نافاريـن، وقضوا على الجيش المصرى وحرموه ثمرة انتصاراته الحربية العظيمة فى عهد محمد على، ونهبـوا إمبراطورية مـصر بسـياسة الخـداع والتضليل، ثم صفـوا بقاياها فى عـهد إسمـاعيل، ثم ورثوها فى عهـد توفيق بعد الاحـتلال، ولكنهم وشرفك وكـفاح أبنائك ونضال شعبك الحر الأبى لن يتمكنوا من هزيمة مصر سياسيًا ولا حربيًا فى عهد الأحرار.

بمجدك وتاريخك، وبأبطالـك وأبنائك، وبثورة شعـبك الأبى، وبثراك الطاهر، سنقاوم الغـزاة، وسننتصر على الـغزاة، والنصر لنا بفـضل الله، وبسواعد شـعبنا العريق.

❁❁❁



على اليمين أ.د. محمد عبد المنعم خفاجي وعلى اليسار أ.د. علي
علي صبح أثناء مناقشة رسالة دكتوراه في كلية اللغة العربية

الشيخ السيد سابق.. بين عمق التحليل وسلامة الأسلوب

فى الثانى والعشـرين من ذى القعدة ١٤٢٠هـ -السادس والعشـرين من فبراير ٢٠٠٠م لبى فضيلة الشـيخ السيد سابق نداء ربه بعد حياة حـافلة بالجهاد والعطاء العلمى والدعـوة إلى الله فى مـوازنة حكيـمـة بين ثوابت الإسـلام والمتـغيـرات العصرية، وبما ييسر فى الفروع، ولا يخل بالأصول فى نهج فريد ينهل من ينابيع الإسـلام، فاتسـمت جـهوده بالإبداع والأصـالة، وأنبـأت عن زيادته المبكرة فى التفانى فى خدمة الإسلام وتطوير علومه لخدمة البـشرية. وتجىء موسوعته الفقهية «فقـه السنة» -أبرز ما كـتبـه بمجلداتها- الثـلاثة، والتى ترجمت إلى العـديد من اللغات الأجنبـية وتوخى فيها تيـسير علم الفقـه وتسهيل عرضـه، مقرونًا بالأدلة الأساسـية، ومـستنبطًا الأحكـام من القرآن الكريم والسنة النبـوية المطهرة بـأمانة علميـة، ودقة فـقهـية و،إيجاز مـهيب، وأسلوب سلس اتـسم بالعمق والبـلاغة والأصالة، فانتفع بفيوضاتها العلمية والروحية طلابه وأبناء الأمة الإسلامية فى كل مكان على وجه البسيطة.

وولد فضيلة الشيخ السيد سابـق محمد التهامى عام ١٣٣٣هـ -١٩١٥م، وتعلم فى المعاهد الأزهرية إلى أن حصل عـلى الشهادة العالمية من كليـة الشريعة بالأزهر الشـريف عام ١٣٦٦هـ- ١٩٤٧م، وعـين بوزارة الأوقاف فـتولى أعمـالاً إدارية وتدريسية متعددة أهمها وكالة المسـاجد، وإدارة الثقافة والتدريب والدعوة، وتقديراً لمكانته العلمية اختارته جامـعة الأزهر الشريف لتدريس الحديث النبوى لطلاب كلية أصول الدين.

اختير لإدارة المبرة المصرية بمكة المكرمة وانتقل للتدريس سنة ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م بجامعـة أم القرى بمكة المكرمة، وتولى منصب رئيس قسم القضـاء الشرعى بكلية الشريعة، ثم أسـتاذ الدراسات العليا فى كلية الدعوة، وإلى جـانب ذلك: شهدت رحاب المسجد الحرام مجالسته العلمية والفـقهية فشغف بحكمته وموعظته الحسنة،

وصدره الرحب، وسرعة بديهته، ورجاحة عقله، وحسن نهجه، ودقة عبارته، وشمول عرضه وتحليله كل رواد المسجد الحرام من أنحاء الدنيا. . وفى ذلك يقول أستاذنا الدكتور أحمد عمر هاشم: «كانت مجالسه العلمية وإجاباته على الأسئلة الفقهية تتميز بالدقة والإيجاز والوضوح، وكانت مجالسه تحف بها المهابة، ومع ذلك كان يتخللها شىء من الترويح عن النفس بالفكاهة المهذبة التى تنقل سامعيه إلى جو باسم، ومناخ أخوى مرغوب، فقد كان يمثل شخصية العالم الجليل، والداعية المثالى والفقيه المتمكن».

ولكفاءته العلمية وقدراته الفكرية دعى لإلقاء العديد من المحاضرات فى تجمعات المسلمين وأقلياتهم فى أوروبا وأمريكا والاتحاد السوفيتى «سابقًا» داعيًا إلى قيم الإسلام، مبينًا سماحته ونصرته للحق والعدل، مدافعًا عما يلحقه به المرجفون من دعاوى كيدية، مؤكدًا عظمة الإسلام وعالميته ونبذه لأى عرقية أو إقليمية، وحرصه على حياة الإنسان الذى خلقه رب العزة -تبارك فى علاه- لعبادته، وإعمار الكون بصالح الأعمال.

شارك فى العديد من المؤتمرات الإسلامية، مواصلاً نهجه فى الدعوة لإعادة بناء ثقافتنا العربية والإسلامية، مطالبًا الهيئات الإسلامية بالتكاتف وحسن التنسيق مع هيئات المجتمع المعنية الأخرى لدفع عجلة التنمية الثقافية والعلمية لتنشئة الأجيال على التمسك بالدين والعلم حتى يقترب اليوم الذى نرى فيه عالمًا عربيًا إسلاميًا يمسح عن وجهه آثار الغفو الطويل.

وإلى جانب تلك الجهود أثرى الشيخ السيد سابق -رحمه الله- المكتبة الإسلامية والعربية بكنوز من المؤلفات الفقهية والدراسات الإسلامية المهمة نذكر منها: «باقة الزهر»، القاهرة: دار الكتاب العربى، ١٣٧٩هـ- ١٩٥٩م، «العقائد الإسلامية»، «إسلاميات»، «عناصر القوة فى الإسلام»، «دعوة الإسلام»، «إلى الإسلام»، «من الإسلام»، «خصائص الشريعة الإسلامية»، «مصادر الشريعة الإسلامية»، وغيرها.

وتقديرًا لذلك العطاء كرمته مصر: حيث منحه الرئيس محمد حسنى مبارك وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى تقديرًا لأعماله البارزة، كما فاز الشيخ السيد

سابق -رحمه الله- بجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية عام ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م بالاشتراك مع الشيخ الدكتور يوسف عبد الله القرضاوى فى موضوع: «الدراسات التى عنيت بالفقه الإسلامى تأليفًا وتحليلاً وتيسيرًا» وهى المرة الثانية التى يفوز بها مصريان بعد أن فاز به فى نفس المجال عام ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م والدكتور محمد رشاد بن محمد رفيق سالم، والدكتور فاروق أحمد حسن دسوقى، والدكتور مصطفى محمد حلمى سليمان»، وكان موضوع جائزتهم: الدراسات التى تناولت العقيدة الإسلامية دراسة وتحقيقًا.

وفى يوم الإثنين ٢٢ من ذى القعدة ١٤٢٠هـ- ٢٧ فبراير ٢٠٠٠م تقدم فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر جموع المصلين على راحلنا الكريم بمسجد رابعة العدوية -بمدينة نصر- القاهرة، وقلوب مشيعيه تسأل المولى القدير أن يكون مثواه مع النبيين والصديقين والشهداء وأن ينفعنا بعلمه ويجعله فى ميزان حسناته يوم يقوم الناس لرب العالمين[1].

❁❁❁

(١) صوت الأزهر: عبد المقصود السعيد عبد المقصود عدد ١٧/ ٩/ ٢٠٠٥.

لو أن للدين رجالاً

الإسلام هو المنهج الذى وضعه الله لهداية البشر كى يصلوا بالسير عليه إلى شرف الدنيا وكرامة الآخرة.

وقد استهدف هذا المنهج أعلى الأهداف وأسمى الغايات.. فمن أهم الأهداف.

١- تحرير النفس.

٢- تنمية الذات.

٣- تكوين أمة.

٤- تحقيق السلام.

تحرير النفس:

من الأهداف الأولى للإسلام تقوية الصلة بالله عن طريق الإيمان والصلاة والذكر والشكر والدعاء والعبادة والطاعة. ومتى قويت الصلات بالله تحررت النفس من معوقات التقدم نحو الخير والحق والكمال والجمال.. ويتمثل هذا التحرر فيما يلى:

١- التحرر من الخضوع للطغاة والمستبدين.

٢- والتحرر من الخوف والقلق والاضطراب.

٣- والتحرر من القيم الزائفة، قيمة الجاه والمال والنسب.

٤- والتحرر من الهوى والشهوة والمتاع الزائل.

٥- والتحرر من الجهالة والضلالة وفى هذا يقول الرسول ﷺ: **«احفظ الله يحفظك.. احفظ الله تجده أمامك.. إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك»**.

---

(١) كلمة للشيخ سيد سابق الداعية الإسلامى.

تنمية الذات:

والإسلام يعطى الأهمية القصوى لتنمية الذات وتكوين الشخصية فهى حجر الزاوية فى بناء المجتمع القوى الرشيد.

وتنمية الذات ثمرة التربية العقلية وتقوية الإرادة وتزكية النفس.

أ- فالتربية العقلية قوامها الاستزادة من العلم والحكمة والتطلع إلى المعرفة والثقافة والتفكير فى ملكوت السموات والأرض والسياحة فى دنيا الله الفسيحة.

وغاية هذه التربية:

* تعميق جذور الإيمان وترسيخها حتى يصل الإنسان إلى درجة اليقين عن طريق الحجة والبرهان.

* الكشف عن سنن الله فى الكون كى يستخدمها فى ترقية حياته.

* فتح الميادين أمام العقل كى يكشف ويخترع ويبدع ويصل إلى الكمال المنشود.

ب- وتقوية الإرادة بتعويدها الصبر والثبات واحتمال المشاق واقتحام الصعاب رغبة فى الوصول إلى معالى الأمور وتطلعًا إلى تحقيق جلائل الأعمال.

وفى الحديث الصحيح بقول الرسول ﷺ: **«إن الله يحب معالى الأمور وأشرافها ويكره سفسافها»**.

إذا غامرت فى شرف مرور

فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت فى أمر حقير

كطعم الموت فى أمر عظيم

جـ- وتزكية النفس تتم بتخليصها من الهوى وكبت الشهوات الدنيئة وتصفيتها من الرياء والنفاق والأثرة والأنانية والحقد والحسد وغرس العواطف الكريمة والمشاعر النبيلة.

ويحتاج الإنسان كى يصل إلى هذا المستوى الرفيع إلى ما يلى.

١- الأمل والعمل.. يقول الرسول ﷺ: «ليس الإيمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل، وأن قومًا غرتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحن نحسن الظن بالله وكذبوا، لو احسنوا الظن لأحسنوا العمل».

٢- اليقظة والحرص على الإصلاح والتقدم والترقى.. يقول الرسول ﷺ: «إحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإذا أصابك شىء فلا تقل لو أنى فعلت. كذا كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان».

٣- مجاهدة النفس وتحدى المغريات والمثيرات والوقوف منها كالطود الشامخ أمام العواطف الهوج قال: تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧- ٣٩].

ومتى تزكت النفس كان الإنسان جديراً بوصف الإنسانية.

تكوين الأمة:

والإسلام يحرص على إيجاد كيان قوى وأمة قادرة تستطيع إحقاق الحق وإبطال الباطل وتأديب الطغاة وتطهير الأرض من الشر والظلم والفساد، ومن أجل ذلك دعا إلى كل ما من شأنه أن يجمع القلب إلى القلب ويضم الصف إلى الصف حتى يكونوا كما وصفوا فى الحديث «كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا» و«كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر».

فدعا إلى التآخى والاتحاد وإلى التعاون والتضامن وإلى المودة والمحبة إلى العطف والرحمة وإلى التضحية والإيثار وإلى التواصى بالحق والتواصى بالصبر وإلى الحرية والمساواة وإلى كفالة المحتاج ورعاية المعوز. ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

تحقيق السلام:

والإسلام يعرف أن الناس وإن اتفقوا فى بعض النواحى فإن هناك عوامل تفسدهم وتجعل الفرق بينهم بعيدًا والبون شاسعًا، فالتربية الفاسدة والتقليد الأعمى

والتعصب الذميم والجهل الممقوت، كل ذلك يمنع كثيرًا من الناس من الخضوع للحق والسير وفق منهج الصواب. قال تعالى: ﴿وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].

والسلام إنما يتحقق بإقامة العدل وإعطاء كل ذى حق حقه والمحافظة على النفس والعرض والمال والجدية والكرامة بالنسبة لكل قرار بغض النظر عن دينه ولونه وجنسه ولغته ومركزه الاجتماعى.

فالإنسان أهل للتكريم من حيث كونه إنسانًا. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٠].

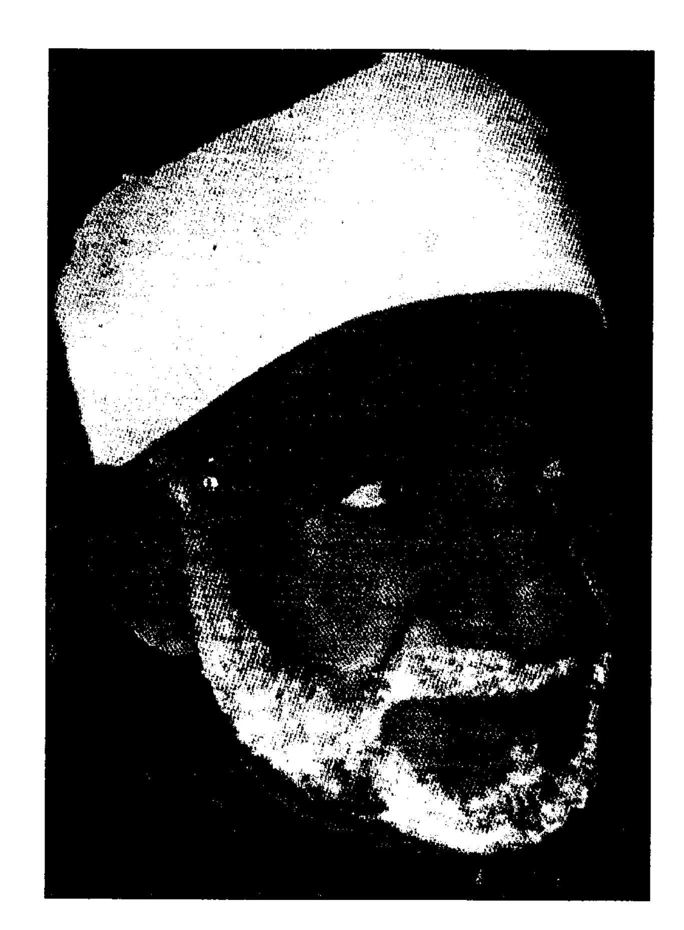
مرت جنازة رجل من الكافرين على رسول الله ﷺ فقام لها، فقالوا: يا رسول الله إنها كافر، فقال: «أو ليست نفسًا؟».

وهكذا يعمل الإسلام على تحريم النفس وتربية الفرد وتكوين الأمة وتحقيق السلام ليأخذ البشر طريقه إلى التقدم الصحيح والكمال المنشود.

﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

وما أصدق ما قيل: يا له من دين لو أن له رجالاً.

❁❁❁



الشيخ الإمام محمود شلتوت

الشيخ محمود شتلوت[(١)]

توفى رحمه الله فى ١٠ ديسمبر ١٩٦٣ ففقدت مصر عظيمًا من عظمائها وعالمًا تفقه فى مختلف نواحى الحياة الدينية والاجتماعية كان بصيراً بالأحكام الشرعية الملائمة لحاجات الناس ومقتضيات العصر ومفسراً ملمّا بكتاب الله وسنن الكون وعالمًا اجتماعيًا يعرض أمراض المجتمع ووسائل علاجها.

* فى عام ١٩٢٨ بدأ الشيخ شلتوت ينشر مقالاته فى الصحف محاربًا الروتين وداعيًا إلى إصلاح الأزهر وتطويره حتى عام ١٩٣١ حين تعارضت آراؤه الإصلاحية مع المشرفين على سياسة الأزهر فى ذلك الوقت حتى انتهى الأمر إلى فصله وبعد الفصل. لم يهدأ أو ييأس بل تابع نقده ونشر أفكاره واشتغل بالمحاماة والبحوث العلمية خلال أربع سنوات حتى أعيد إلى الأزهر وكيلاً لكلية الشريعة ثم مفتشًا بالمعاهد الدينية.
* ومنذ تولى الشيخ شلتوت أمر الأزهر أعاد النظر فى تنظيم المناهج وأدخل الدراسات القانونية فى كلية الشريعة لتتم المقارنة بين دراسة الفقه الإسلامى والقوانين المعاصرة وأدخل فقه الشيعة مما كان له أكبر الأثر فى التقريب بين جماعات المسلمين فى أنحاء العالم.

وتقديراً للشيخ شلتوت منحته جامعة شيلى الدكتوراه الفخرية عام ١٩٥٨.. كما منحته جامعة جاكارتا الدكتوراه الفخرية عام ١٩٦٠.

وكان المسلمون فى يوغوسلافيا واليابان والجزائر وروسيا وألمانيا وإيطاليا قد وجهوا إليه الدعوة لزيارة المسلمين فيها وتفقد أحوالهم.

ولقد أجمع العلماء وأهل الرأى أن التوفيق قد حالف الأزهر عندما ولى أمره الشيخ شلتوت فوجد فيه مفكراً وعالمًا من اليقظة الفكرية والدراية العملية ما يمكنه من القيام بدوره.

* قبل أن تصعد روحه إلى بارئها بدقائق... جلس يتحدث إلى زواره عن الإسراء والمعراج ثم توقف قليلاً وتبين للحاضرين أنه يعانى أزمة طارئة وحاول الأطباء انقاذه وسارعوا بأنابيب الأوكسجين ليساعدوه على التنفس ولكن روحه كانت قد صعدت إلى بارئها.

---

(١) إضافات جديدة لما سبق مستقلة حرصًا على أمانة التحقيق أن يظل كما نشر فى الطبعات السابقة.



الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد

أعلام معاصرون

الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد[(١)]

رائد مدرسة التحقيق العلمى

يمثل الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد جيلاً كاملاً من الكفاح العلمى الكبير، حتى ليعد رائدًا عظيمًا لمدرسة التحقيق العلمى، سار على ضوئه المحققون، وشراح كتب التراث الإسلامى العربى.

وقد تتلمذ الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد على جيل الرواد الإسلاميين الكبار، الذين ازدانت بهم الحياة المصرية فى أوائل القرن العشرين، وكانوا دعامة النهضة العربية والأدبية فى العالم العربى كافة.

وقد تخرج الشيخ محمد محيى الدين من الأزهر الشريف عام ١٣٤٧هـ الموافق ١٩٢٥م يحمل شهادة العالمية أعلى شهاداته العلمية آنذاك، وكان نجاحه بل تفوقه يومئذ مثار الدهشة، فقد جاء الأول على أقرانه من فحول العلماء.

وشغل فى هذه الحقبة الطويلة الكثير من المناصب العلمية الرفيعة: أستاذًا بالأزهر، فأستاذًا بكلية اللغة العربية، فمفتشًا عامًا بالمعاهد الدينية، فوكيلاً لكلية اللغة، فأستاذًا بكلية أصول الدين، فرئيسًا لمفتشى العلوم الدينية والعربية بالأزهر، فعميدًا لكلية اللغة العربية، فعضوًا بالمجمع اللغوى، وعضوًا بلجنة الفتوى بالأزهر، وعضوًا فى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وفى كثير من الهيئات العلمية، ولا ننسى أنه اختير عام ١٩٤٠ للسفر للسودان؛ ليشارك فى تأسيس مدرسة الحقوق العليا فى الخرطوم، وقد قام حينذاك بمهمته خير قيام، وكان مضرب المثل فى علو المنزلة وسمو المكانة بين السودانيين والمصريين على السواء.

ومثل الأزهر فى كثير من المؤتمرات الثقافية واللغوية والأدبية، ووجه الثقافة فيه الوجهة الرفيعة العميقة، التى أثرت فى بناء الجيل الحاضر تأثيرًا كبيرًا.

---

(١) إضافات جديدة لما سبق ليظل ما سبق كما هو حرصًا على أمانة التحقيق.

ويمثل الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد أفكارًا لغوية، لها منهجها ودقتها وعمقها، فهو يرى ضرورة تربية الحس اللغوى، لينتهى بصاحبه إلى الذوق الأدبى، ويبدأ بالكلمة لينتهى إلى الأسلوب فالأدب نفسه، ودور الكلمة فى الأدب دور كبير، وأثرها فى بناء العمل الأدبى ضخم وجليل.

والشيخ محمد محيى الدين يقف دائمًا فى مجال الريادة:

- فهو أول من فكر فى تأليف كتب دينية مزدانة بالمناسب للأطفال، فألف خمسة أجزاء: اثنين للبنين، واثنين للبنات، وكتابًا مشتركًا، وقد ذاعت هذه الكتب آنذاك، حتى كان المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام يذكر أنه شاهد لها ترجمات بالفارسية وبالتركية.

- وهو من أول من عنى بكتب التراث وتحقيقها تحقيقًا علميًا دقيقًا، مما يتجلى لنا فيما حقق من أمهات كتب التراث فى الأدب والنقد والبلاغة واللغة والنحو والصرف، ولذلك يعد بحق شيخ العلماء المحققين.

- وهو أشهر شارح ومفسر لكتب القدماء فى مختلف فنون العلم، وقد سهل بذلك على الجيل المعاصر قراءة هذه المصادر، والإفادة منها والاغتراف من بحرها.. وقد اختارت مؤسسة (بريل) فى هولندا نشر شرحه على: (شرح ابن عقيل) بالحروف البارزة ليقرأه المكفوفون، ونحن نشكر لها هذا العمل العلمى والإنسانى معًا.

- وإذا عدنا إلى الأعمال العلمية لهذا العالم الجليل من أعلامنا المعاصرين نجدها تنقسم ثلاثة أقسام.

القسم الأول: دراسات أدبية ولغوية وإسلامية ألفها، وكانت مثلاً لرصانة العلماء، وعمق البحث، ودقة التأليف، ومنها:

١- دراسة كبيرة له عن المتنبى ونقد شعره، نشرها فى مجلة الأزهر تباعًا، وتعد من أهم المراجع عن أبى الطيب وشعره.

٢- دراسة عن الفكر الإسلامى عند الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر الأسبق، وقد نشرت فى مجلة (الكتاب) التى كانت تصدر عن (دار المعارف) عدد: نوفمبر ١٩٤٥م.

٣- تصريف الأفعال: وهو كتاب مشهور لم يؤلف مثله حقًا، مكملاً لمنهج القدماء فى دراسة الأفعال، وطبع عـدة طبعات، وكان مرجعًا علمـيًا للأساتذة والطلبة فى كليات اللغة ودار العلوم والآداب.

٤- أحكام المواريث فى الشريعة الإسلامية -المعاملات الشرعية- الأحوال الشخصية -أصول الفقـه. وهى كتب أربعة مشـهورة، كانت تدرس فى كليـات الحقوق وأصول الدين، وفى مدرسة الحقوق العليا فى الخرطوم، وطبعت عدة طبعات.

القسم الثانى: كتب من أمهات التراث فى مـختلف العلوم، حققها عالمنا الجليل تحقيقـًا علميًا دقيقًا، عنى فـيها عناية فائقة بتقويم النـص، وضبط مشكله، وشرح غريبه، ومنها:

سيرة ابن هشام -الموازنـة للآمدى- يتيمة الدهر للثعالبـى- العمدة لابن رشيق- نفح الطيب للمقرى- وفيات الأعـيان لابن خلكان- زهر الآداب للحصرى- فوات الوفيـات لابن شاكر- مـعاهد التنصيـص للعباسى- مـروج الذهب للمسـعودى- مقالات الإسلاميين للأشعرى- وغـير ذلك مما يضيق المجال عن حصره، ومما تلقاه قراء العـربية فى كل مكان بالتقـدير والإعجاب، إذ رأوا فيـه طاقة علميـة فريدة، واتخذوا منه عمدة المصادر لجميع طلاب الجامعات فى العالم الإسلامى العربى.

القسم الثالث: كتب من التراث شرحها شرحًا وافيًا، وذلل صعوباتها للباحثين، وأضاف إليهـا الكثير من الدراسـات.. ومنها أهم كتب الثقـافة العربية: كـشرحه للأجرومية الذى خرج بعنوان: (التحـفة السنية)، وظل إلى اليوم يدرس فى جميع أنحاء العالم العربى والإسلامى، وطبع أكثر من خـمس وعشرين طبعة. وكشرحه للأزهرية وشرحـه على: (شرح قطر الندى لابن هشـام) الذى طبعه ثلاث عـشرة طبعة. وكشرحه على: (شـرح شذور الذهب) لابن هشام. وشرحه على: (شرح ابن عقـيل) فى أربعة أجـزاء كبـار، وطبع خمس عـشرة طبـعة. وشرحـه على: (أوضح المسالـك) لابن هشام، ويقع فى أربعـة أجزاء ضخـام، وطبع نحو عـشر طبعـات. وشرحه على: (المفـصل) للزمخشـرى، وهو من أصول اللغة العـربية. وشرحه على: (شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك) ويقع فى أربعة أجزاء كبيرة، وهو يطبع الآن للمرة الثالثة.

وشرحه على كتاب: (الإنصاف فى مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين) فى جزأين كبيرين، ويدرسه المستشرق الفرنسى بلاشير لطلابه بالسوربون، مؤثرًا لهذه الطبعة على الطبعة الأوروبية.

وكشرحه على: (متن التلخيص فى البلاغة) وطبع عدة طبعات.

وقد تتلمذت على عالمنا الجليل أجيال عديدة من الشباب، وفى مقدمتهم أساتذة وعمداء كثير من الكليات الدينية واللغوية والأدبية فى مصر والسودان والعالم العربى، ومنهم جمهرة من كبار رجالات الدولة فى العالم العربى.. وما أكثر تلاميذه فى الشرق والغرب، وجميع المستشرقين فى العالم يولون بحوثه وتحقيقاته عناية فائقة، واهتمامًا كبيرًا.

وكذلك قد تتلمذت على يديه وفضيلته عميد فى كلية اللغة العربية وكنت طالبًا بالسنة الأولى بالكلية، وكانت شخصيته مهابه وقورة دقيقه منظمة فى هندام وزى أزهرى أنيق، وفى أثناء سنوات الدراسة بالكلية تتلمذت على يد أستاذى الدكتور محمد خفاجى حيث كان أستاذًا فى عمادة العلامة الكبير الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد رحمه الله تعالى.

وقد توفى -رحمه الله- فى شهر المحرم سنة ١٣٩٣هـ الموافق مارس ١٩٧٣ عن نيف وسبعين عامًا.. أجزل الله له الثواب كفاء ما قدم لدينه ولغة كتابه الحكيم ولتراث العربية وآدابها من جهود خالدة على مرور الأيام.

❁❁❁

الشيخ عبد السميع شبانة

أحد علماء الأزهر الذين شاركوا فى تحقيق رسالته والنهوض بطلابه، تخرج على يديه آلاف العلماء من أبناء العالم الإسلامى.

كان -رحمه الله- يعطى جهده كله لخدمة العلم والعلماء. كان بيته منتدى يجتمع فيه طلاب العلم من كل جنس بما يدور فى مجلسه من مسائل علمية سواء ما يتصل منها بالعلوم الدينية أو العربية..

فلم يكن -رحمه الله- يقف عند حدود تخصصه فى النحو أو الصرف بل جاوز ذلك إلى العلوم الشرعية فكان حجة فيها يأتى إليه الناس يستفتونه فى أمور دينهم فيرشدهم إلى الحق والهدى.. كان فقيهًا فى علم المواريث وقد صدرت له آلاف الفتاوى التى كانت تستند عليها المجالس العرفية فى حل المنازعات بين الأسر والأفراد.

ولد رحمه الله فى ١٢ يناير سنة ١٩٠٣ فى بلدة فرسيس من محافظة الشرقية.. وبعد أن أتم حفظ القرآن الكريم، ألحقه والده بالأزهر الشريف والمساجد المحيطة به حتى حصل على الشهادة العالمية ونال إجازة التخصص القديم التى تعادل درجة الدكتوراه سنة ١٩٣٢م.

بدأ دوره فى الدعوة إلى الله وتبصير الناس بأمور دينهم بعد أن عين أستاذًا فى معهد الزقازيق فكان يتنقل بين قرى محافظة الشرقية ومدنها يخطب فى الناس ويبين لهم الحق من الباطل فلم يكن يمضى أسبوع من غير أن يشترك فى ندوة دينية أو يلقى عظاته التى كان يقبل الناس عليها.

وفى الوقت نفسه كان أحرص ما يكون على أهل بلدته فكان يعقد لهم مجالس العلم ويساعد أبناءهم في دراستهم حتى عرفت قريته (فرسيس) بأنها بلد العلم حيث كان أبناؤها يعرفون مسائل الدين وكل ما يتصل بالعبادات والمعاملات بسبب تعليم الشيخ لهم.. وكان يتخرج من الأزهر منها في كل عام أكثر من ثلاثين عالمًا وهى القرية الصغيرة التى لا يتجاوز تعدادها فى هذا الوقت ألفى نسمة.

واختــارته مشيخــة الأزهر للتدريس فى كليــة اللغة العربيــة سنة ١٩٣٩ لمكانته العلمية.

ألف الكتب الكثيرة فى النحو والصرف وقد أعيد طبعها مرات كثيرة وأسهم فى تطوير كلية اللغــة العربية وأحدث تغيــيراً شاملاً فى دراسة النحــو والصرف بها مما كان له أثره النافع على المتخرجين منها.

بعد أن التحقت بكلية اللغة العربية عام ١٩٦٢ تتلمذت على يدية فى اللغويات علمى النحو والصرف وكان موسوعة علمية فى علوم اللغة والعلوم الشرعية، وقمة فى التواضع الجسم وسعة الصدر للجمــيع ولطلاب العلم بالمناقشة والحوار والإفهام وهذه الصفات وأكــثر منها كان يتصف بها أســتاذى الدكتور محمــد خفاجى الذى تتلمذت عليه آنذاك.

وبقى رحمــه الله مشرفًــا على قسم اللغــويات بكلية اللغــة العربية رافــضًا كل المناصب التى يتــهافت عليــهــا الجمــيع، حتى توفى رحــمه الله فى ٢١ مــايو سنة ١٩٦٨.. ففقد العالم الإسلامى بموته عالمًا ورعًا..

❁❁❁

الشيخ محمد الطنطاوى

منذ خمسة عشر عامًا أخرج الشيخ محمد الطنطاوى المدرس بكلية اللغة العربية كتابه المشهور «نشأة النحو»، الذى كان له أثره فى نفسى وعقلى بل عند علماء العربية وثقاتها جميعًا. وأشهد أنى فرحت بالكتاب فرحًا كبيرًا ظهر فيما كتبته عن الكتاب من نقد آنذاك، ولست أدرى رأى النقاد فيما كتبته، ولكنه كان فى وجهة نظرى يفى هذا السفر النفيس حقه، ومما جاء فى هذه الكلمة:

«لمنزلة النحو من الدين والعربية، ومن التراث الإسلامى العظيم، ومن لغة الشرق ولسانه، ولتجديد النشاط العلمى فى مدارس النحو الحديثة، ولأداء واجب كبير لعلماء العربية الراحلين وشيوخها السالفين الأمجاد، وحرصًا على خدمة اللغة وطلابها.. لهذا كله ألف الأستاذ الجليل محمد الطنطاوى رسالته: نشأة النحو فجأت سفرًا جليلاً وأثرًا خطيرًا فى الناحية التاريخية لعلم قواعد العربية.

ومما يجعل لهذا السفر الحافل مكانة عظيمة بين كتب العربية ومؤلفاتها أنه الحلقة المفقودة لكتب طبقات النحاة التى ألف فيها العلماء من قرون، وأنه أثر فريد فى بابه ونوعه، فلم يظهر فى مدارس النحو الحديثة فى مصر والشرق العربى كتاب قبله فى النواحى التاريخية لمدارس العربية ورجالها ومؤلفاتها فى القديم والحديث.

وقد كتب الأستاذ فصول كتابه بلغة جمعت بين بلاغة الآداء وجمال الأسلوب وجزالة التراكيب، والنقد التحليلى التاريخى لأطوار علم العربية ومذاهبه ومدارسه ورجالاته، وفى الكتاب فصول عظيمة الأهمية فى أسباب تدوين القواعد العربية، وعن الرجل الذى ذهب بشرف وضعها وتدوينها، وعن نشأة النحو وأطواره فى مراحله المختلفة، وعن حياة شيخ العربية الأول أبى الأسود الدولى، وعن مدرسة النحو الأولى بالبصرة، ورجالها، ومدرسة الكوفة التى نشأت بعد ذلك ورجالها، ويبين المؤلف نزعات مذهبى النحو بالبصرة والكوفة، والمناظرات التى قامت بين رجالهما، ويحلل أسباب الخلاف بين مدرسة البصرة والكوفة، والبواعث التى دعت إلى سوء كل مدرسة واستقلالها، والعناصر التى بنيت عليها، والاتجاهات

التى اتجهت إليهـا والمسائل العلمية التى اختلفت فيـها، وآثار هذا الخلاف العلمى، ويعقد الموازنات بينهما. . . ثم يتكلم عن مـدارس النحو التى قامت ببغداد وفارس ومصـر والشام والأنـدلس، ومنهج كل مدرسـة وعلمائهـا وآثارها. . كل هذا فى أسلوب قوى دقيق وبحث علمى عميق.

والكتاب وهو يعرض علينـا النحو من أول نشأته إلى العصر الحـديث يمتاز عن كتب الطبقات القديمة بسعة البحث وكثرة التفصيل، ودراسة مدارس النحو القديمة دراسة مسـتفيضة، ويمتـاز عن كتب المستشرقـين بنفوذ مؤلفه إلى أعمـاق العربية وأسرارها ووقوفه على أطوارها».

ولم يكن كتاب «نشأة النحو» هو الصلة الفكـرية بيننا وبين الشيخ، ولكن كثيراً ما جلسنا فى دروسه ومحاضراته فى كلية اللغـة معجبين نتلقف طرائفه، ويسحرنا بشمائله وتواضـعه وعلمه، بل كان لى كذلك حظ التلمذة عليـه منذ أكثر من ربع قرن، وكان يدرس لنا علوم البـلاغة فى الفرقة الثالثة من القـسم الابتدائى، وكان له كـتاب ألفه فـى هذا المجال، وسمـاه «نفحـة الريحان فى عـلم البيـان»، وكان الكتاب يحوى مباحث كثيرة دقيـقة، ولكنه لم ينح فيه هذا المنحى التجديدى الممتع الذى لمسناه فيما بعد فى «نشأة النحو».

وللشيخ الطنطاوى عـدا ذلك كتابه «تصـريف الأسماء، الذى أشـهد أنه يجب دراسته فى أقسام الدراسات العليا لا فى الفصول الدراسية فى الكلية نفسها. . وله كذلك مقالات كان ينشرها فى مـجلة «رسالة الإسلام» التى تصدرها دار التقريب، والتى لا يطلع عليها أحد، وما كان أجدره أن ينشر هذه المقالات فى كتاب ليتسنى للناس أن يقفوا على علم الرجل وسعة إطلاعه.

أما حـياة الشيخ فـبسيطة بسـاطة نفسه وأخلاقـه، ولكنها حيـاة كبيـرة بمغزاها وأثرها.

ولد الشيخ فى ٧ سبـتمبر ١٨٩٥ ببلدة أكـوة الحضة مركز تلا منوفـية من أسرة متدينة محافظة تعـيش فى الريف عيشة الهدوء والاستقامـة، ومهد له والده السبيل إلى التعليم الدينى، فأدخله مكتب القرية لحـفظ القرآن الكريم، وحفظ كتاب الله،

وأخذ يتلقى تجويده على يد فقيه من فقهاء القرية، ثم بعث به والده إلى الجامع الأحمدى فى طنطا عام ١٣٢٧هـ ١٩٠٩ فى أول عهده بالنظام، فانتسب إلى الشعبة الأولى على مذهب الإمام مالك، واستمر فى التعليم يحوطه التوفيق حتى نال الابتدائية عام ١٣٣١هـ-١٩١٣م، ثم تزوج إتباعًا لسنة الريف فى الحرص على الزواج المبكر، واستمر يوالى كفاحه العلمى حتى كان فى طليعة الناجحين فى الشهادة الثانوية عام ١٣٣٥هـ-١٩١٧م. وفى القسم العالى بسنواته الأربع دأب فى التحصيل، وجد فى الإطلاع. وثابر على الدراسة حتى فاز فى النهاية بنيل شهادة العالمية النظامية عام ١٣٤٢هـ، ١٩٢٣م. ثم أنشىء قسم التخصص وافتتح فى يناير ١٩٢٤، فتقدم إليه والتحق بشعبة «النحو والصرف والوضع» واجتاز مراحله الثلاث بتفوق، وفى السنة الأخيرة حازت رسالته فى الإعلال تقدير أساتذته ولجنة الامتحان كذلك.

ولما عقد الشيخ المراغى عام ١٩٢٨ لمسابقة بين خريجى التخصص للتعيين فى وظائف التدريس بالأزهر ومعاهده كان حظ الشيخ فيها حظًا طيبًا، فعين مدرسًا فى معهد الزقازيق الدينى فى اليوم السابع والعشرين من ربيع الثانى عام ١٣٤٦هـ، ١١ أكتوبر ١٩٢٨م، ولكنه مات وهو قرير العين بابنه الشيخ المدرس فى الأزهر الشريف، ومكث أربع سنوات فى معهد الزقازيق كان فيها محل تقدير شيوخ المعهد وأساتذته وطلابه ومفتشى الأزهر الشريف، ومن ثم انتقل منه إلى كلية اللغة العربية عام ١٩٣٣ مدرسًا، وظل فيها إلى أن توفاه الله إلى رحمته عام ١٩٥٥م.

✿✿✿

الشيخ عبد الجليل عيسى

من جديد، وبعد مرور خمسة وسبعين عامًا، على وفاة الإمام محمد عبده، طيب الله ثراه؛ تنتفض هذه المدرسة العجيبة، مدرسة الإمام محمد عبده عن رائد من أعلامها، يتلقى من يدى الرئيس محمد أنور السادات، فى عيد الثقافة، جائزة الدولة التقديرية، إكبارًا وتقديرًا من الدولة لعلمه، ولما أسداه فكره إلى جيلنا المعاصر من آثار جليلة.

إن تفسير الشيخ عبد الجليل عيسى للقرآن الكريم يسير على منهج الأستاذ الإمام، من موضوعية ونفاذ بصيرة، وعقلية أصيلة تزن كل شىء، وتحكم فى عمق على الآثار والمرويات والمأثورات.

وكتابه «اجتهاد الرسول» يحمل طابع الإمام العقلى فى كتابه المشهور «رسالة التوحيد»، فهو قبس من جذوة الفكر العلمى، التى أنار بها الإمام محمد عبده الطريق لجيله، وللأجيال التى خلفته.

والشيخ عبد الجليل عيسى هذا الأزهرى النابغة، عاش حياته نضالاً ورأيًا وعملاً، من أجل أن يكون للعالم صوت فى مجتمعه، وعمل دائب فى خدمة وطنه، وجهاد متصل من أجل كلمة الحق تقال فى كل وقت وكل مكان.

وانتماؤه العربى والإسلامى عزز فى نفسه الشعور بأصالة تراثنا، وبعظمة الماضى وجلاله، وبمجد الأزهر العلمى العريق؛ وكانت هذه الانتماءات كلها هى مكونات شخصيته.

وفى ظل ما يقرب من قرن كامل عاشه ويعيشه عالمنا الجليل، كانت الأحداث الكبرى فى تاريخ وطننا، التى شارك فيها الشيخ بقلمه وروحه ونضاله.

توفى رحمه الله عام ١٩٨١.

كان أحد علماء الأزهر الذين وقفوا على أسرار الشريعة الإسلامية، وملكوا ناصية اللغة العربية والبيان فى العصر الحديث -عرفته شيخًا لمعهد شبين الكوم

الدينى الذى أنشىء فى عهد الإمام المراغى -رحمه الله- وقد اختاره أول شيخ له، لأنه كان موضع ثقته، وأحد تلاميذه المقربين إليه وكان للشيخ عبد الجليل فى قلوبنا مكانة كبيرة من التقدير والاحترام والحب والاعزاز، لأنه وضع نصب عينيه النهوض بهذا المعهد الدينى، ولأنه كان له مزيد من الهيبة والسطوة، ولحرصه الشديد على مصلحتنا، وظهورنا بمظهر الطالب الأزهرى المثالى الذى يحرص على عزته وكرامته، وفى سبيل ذلك كان لا يسمح لأحد بدخول المعهد إلا إذا كان يلبس الزى الأزهرى كاملاً، وإذا نمى إليه أن أحدنا لا يظهر فى الخارج بصورة سلوكية مشرفة، قام بفصله من المعهد مدة ولا يسمح له بالحضور إلا بعد تعهد من ولى أمره بضمان سلوكه واستقامته، وذلك بعد أن يتحرى الأمر، وقد انعكس علينا هذا جداً واستقامة، وتفوقًا فى العلم والأخلاق.

والشيخ عبد الجليل من الرعيل الأزهرى الأول الذى اشترك فى المظاهرات وقاد مع زعماء الأزهر ثورة ١٩١٩ ضد الانجليز، وكان يحدثنا بذلك فخوراً، لينقل إلينا شرارة الوطنية -وكان معروفًا عنه أنه أشد تلاميذ المراغى إخلاصًا، حيث ترسم خطاه فى ميادين إصلاح الأزهر وتطويره تطويراً يساير سمة العصر العلمية، مع الاحتفاظ بعناصر التراث الأصيل للأزهر وكان للشيخ قلم موهوب فى كتابة الموضوعات المتعددة.

✿✿✿

الشيخ سعاد جلال

توفى رحمه الله فى يونيو عام ١٩٨٣، وكان علمًا من أعلام الشريعة الإسلامية وأستاذًا جليلاً فى كلية الشريعة الإسلامية.

قال عنه زميله الدكتور الشيخ عبد الجليل شلبى:

عرفت «الشيخ محمد سعاد جلال» منذ أكثر من نصف قرن عرفته أول ما جئت إلى القاهرة طالبًا فى كلية اللغة العربية سنة ١٩٣٧، وكان هو فى السنة الثالثة فى كلية الشريعة وكانت الكليتان فى مبنى واحد، فتعارفنا بلحظة، وتآلفنا فى لحظة، ثم مضت الأيام تزيد مودتنا قوة، وتكسو تآلفنا إخاء وإعزازًا.

والتحق الشيخ سعاد عقب تخرجه بتخصص المادة، ليدرس الفقه الإسلامى وأصوله، وكان هذا التخصص يستغرق نحو سبعة أعوام، وكان طلابه يختلفون فى درجاتهم العقلية ويتباينون فيما يحصلون من علمه تباينًا واسعًا، فقد كان الأزهر حديث عهد بالدراسات العليا، وكانت دراسته تقوم على درس الكتاب لا على درس الموضوع، وقليلون من أبناء هذا القسم بنوا أنفسهم، وكما كان يقول المرحوم أحمد أمين: إن من ينبغ من أبناء الأزهر لم ينبغ بمنهجه وتوجيهه ولكن نبغ على الرغم من منهجه وتوجيهه، وكان الشيخ سعاد من هؤلاء.

وعدا الناحية العلمية، أو لعله بسببها، كان نزوعًا إلى الخير ونفع الناس بما لديه، وكانت موهبته الخطابية مما يساعده على بث علمه وإذاعة أفكاره وهى أيضًا مما هيأ نمو مدرسته وكثرة تلاميذه، كان وهو لا يزال فى هذا التخصص يخطب يوم الجمعة فى مسجد الخازنداره بشبرا وذهب وزير الأوقاف يومئذ ليصلى فى هذا المسجد، وربما جذبه إليه اسم الشيخ سعاد، فأعجبه حديثه فقرر له علاوة استثنائية تقديرًا لكفائته وعلمه، وبعد أن أنهى الشيخ دراسته كان يخطب ثانيًا فى مسجد المحكمة بمصر الجديدة ثم بمسجد قاهر التتار فمسجد عمر مكرم بالقاهرة وكان يتطوع بإلقاء الدروس الدينية فيها، فكان له بها مدرسة ثانية، بعد مدرسته فى كلية الشريعة.

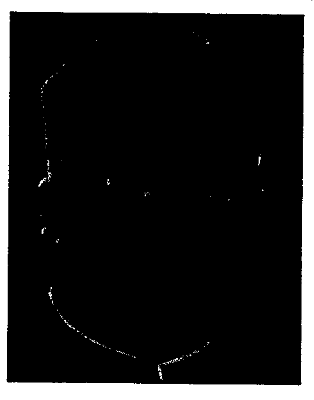
وكان من لباقته فى دروسه أنه يوازن بين قانون الشريعة والقوانين الوضعية، ويوازن بين مجتمعاتنا والمجتمع الإسلامى فى حذق وحسن تصوير، وهو مع هذا يتحاشى الاحتكاك بتيارات السياسة، ولكن كانت تلميحاته أبلغ من تصريحات الآخرين، وكان تلاميذه فى كلية الشريعة يحبون درسه ويقدرون تفكيره، وهم الآن فى شتى المعاهد والمدارس داخل القطر وخارجه يشعرون بدينهم له.

ثم انضم إلى هاتين المدرستين حديثه «قرآن وسنة»، وبه أضاف إلى تلاميذه تلاميذ لا يعرفهم ولم يروه، ولكنهم أحبوه على البعد، وعرفوه من غير أن يلقوه.

ومات الشيخ سعاد جلال، فشيعت جنازته فى غير حشد، ففى ذمة الله وذمة التاريخ.

✿✿✿

الدكتور أحمد الشرباصى



من مواليد بلدة البجلات مركز دكرنس، مديرية الدقهلية، وتاريخ ميلاده ١٧ نوفمبر سنة ١٩١٨. تخرج من كلية اللغة العربية سنة ١٩٤٣، وكان ترتيبه «الأول» بين المتخرجين كما كان «الأول» بين زملائه فى سنوات الدراسة بالكلية.

نال شهادة العالمية والتخصص فى التدريس سنة ١٩٤٥، وكان ترتيبه «الأول» بين الحاصلين على هذه الشهادة.

كانت هذه أول مرة يجمع فيها متخرج بين «الأولية» فى الشهادة العالية و«الأولية» فى التخصص.

اشتغل مدرسًا فى وزارة المعارف مدة، ثم نقل مدرسًا فى معهد الزقازيق، فمعهد القاهرة فمعهد سوهاج، فمعهد القاهرة. واختير أمينًا للجنة الفتوى بالأزهر.

ألف ما يزيد على العشرين كتابًا فى مباحث الدين والتاريخ والأدب والاجتماع، ومن هذه الكتب: حركة الكشف، محاولة بين صديقين، سيرة السيدة زينب. واجب الشاب العربى، المحفوظات الأزهرية، لمحات عن أبى بكر، محاضرات الثلاثاء، صلوات على الشاطىء، أمين الأمة أبو عبيدة، عائد من الباكستان، مذكرات واعظ أسير، النيل فى ضوء القرآن من أجل فلسطين، فى رحاب الصوفية، غربة الإسلام، أيام الكويت، القصاص فى الإسلام، فى عالم المكفوفين، الحاكم العادل عمر بن عبد العزيز.

أذاع سلسلة أحاديث فى الراديو عن الدين وصلته بالحياة، كان يقصد فيها دائمًا إلى تزكية المجتمع بالمبادىء الدينية الفعالة فى إصلاح الحياة والأحياء. ومن هذه الأحاديث سلسلة «الإسلام والشباب» وسلسلة «آداب المجتمع فى الإسلام» وسلسلة «الإسلام ومنهج الاستقامة» وسلسلة «أدب السنة فى بناء الأسرة».

اشترك ببحوثه ومناقشاته وآرائه فى مؤتمرات كثيرة، مثل: مؤتمر الشعوب الإسلامية بالباكستان، ومؤتمر العلماء بالباكستان، والمؤتمر الإسلامى بالقدس، ومؤتمر الخريجين العرب بالقدس، والمؤتمر الرياضى بالقاهرة. ونظم عدة مؤتمرات إسلامية واجتماعية وقومية فى دار المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين.

نال دبلوم الدراسات اللغوية والأدبية من معهد الدراسات العربية العليا سنة ١٩٥٥، وكان ترتيبه «الأول». وكان مجموع درجاته أكبر من أى مجموع فى جميع شعب المعهد المذكور.

يعرف اللغة الإنجليزية، وتقدم أكثر من مرة قبل قيام الثورة فى مصر لبعثة خارجية علمية، وحيل بينه وبين ذلك بسبب خطبه ومقالاته التى كان يقاوم فيها الفساد الماضى والطغيان البائد.

دعا منذ عشرين عامًا إلى إدخال نظام الكشافة فى الأزهر، وألف فى ذلك كتابًا، وخطب وكتب عن ذلك مرارًا، كما دعا حينئذ وبعد ذلك إلى نشر التربية الرياضية فى الأزهر والمعاهد.

ألقى سلسلة من المحاضرات فى عدة مواسم دراسية على مبعوثى البلاد العربية إلى «المركز النموذجى لتوجيه المكفوفين بالزيتون»، وهؤلاء المبعوثون يأتون للتخصص فى شئون المكفوفين وتوجيههم، وألف كتابه «فى عالم المكفوفين» الذى نال جائزة الأمانة العامة لجامعة الدول العربية سنة ١٩٥٦.

رحل رحلات علمية واجتماعية وإسلامية إلى: فلسطين، والأردن، ولبنان، وسوريا، والكويت، والباكستان، واليونان، وتركيا، وله بحوث ودراسات عن هذه البلاد، وتكررت رحلاته إلى أكثر هذه البلاد.

كان مبعوثًا علميًا للأزهر الشريف فى الكويت عام ١٩٥٢- ١٩٥٣ وألف كتابًا عن الكويت وشئونها المختلفة فى قرابة خمسمائة صفحة.

اختير لألقاء محاضرات عن الشريعة الإسلامية على طلبة معهد الخدمة الاجتماعية فى مستوى جامعى منذ أول سنة ١٩٥٧ الدراسية.

قام بمهمة الرائد العام لجمعيات الشبان المسلمين منذ عهد بعيد، وكان ينظم محاضرات: «أحاديث الاثنين» ومحاضرات «مواسم التفسير»، كما يشارك بمحاضراته وكلماته فى أعمال الشبان المسلمين المختلفة، وينشر بحوثًا فى مجلتها منذ سنوات، وله محاضرات فى جمعيات كثيرة إسلامية وقومية ورياضية، وهو عضو فى كثير من هذه الجمعيات.

أسندت إليه أمانة الفتوى فى الأزهر الشريف بالإضافة إلى عمله فى التدريس بالأزهر.

دعاه رئيس الجمهورية أكثر من مرة للخطابة فى الأزهر الشريف فى مناسبات تاريخية مشهورة، مثل يوم معركة القتال، ويوم الوحدة بين مصر وسوريا، ويوم الجمعة الأخيرة من رمضان ويوم عيد الفطر، وغيرها.

كلفته رياسة الجمهورية عن طريق الاتحاد القومى برحلة إلى سورية قبيل إعلان الاستفتاء على الوحدة بين مصر وسورية فى مطلع سنة ١٩٥٨، وألقى هناك عشرات الخطب والمحاضرات فى مختلف المدن السورية حثا على الوحدة وتعريفًا بالعروبة والإسلام.

دعاه الرئيس شكرى القوتلى إلى إلقاء خطبة تاريخية فى المسجد الأموى بدمشق يوم الاستفتاء على الوحدة. وقد أذيعت هذه الخطبة بالراديو، ثم نشرت ونوهت بها الصحف كثيراً.

اختارته وزارة الشئون الاجتماعية والعمل سنة ١٩٥٥ عضواً فى اللجنة التى وضعت مناهج الدراسة لقسم الدراسات الاجتماعية لطلبة الكليات الأزهرية.

منذ سنة ١٩٤٠ وهو يقوم بالخطابة الدينية المصطبغة بالصبغة الاجتماعية، وقد تنقل بين مسجد المنيرة، ومسجد الشامية، والجامع الأزهر، ومسجد الرفاعى، وغيره من المساجد.

ألف جملة مسرحيات إسلامية وتاريخية، مثل أكثرها على مسارح: جمعية الشبان المسلمين، ودار الأوبرا، وحديقة الأزبكية، والغرفة التجارية، وغيرها.

اشترك فى موضـوع فيلم «خالد بن الوليد» بوضع المعلومات التـاريخية والحوار وشارك فى السيناريو.

كتب وخطب كثيرًا فى الدعـوة إلى التقريب بين الدين والفن وشعاره هو: **«إذا تدين رجل الفن وتفنن رجل الدين التقـيا فى منتصف الطريق لخدمـة العقيدة الإسـلامية السليمة والفن القويم»**.

اختارته إدارة الشئون العامـة للقوات المسلحة فى أكتوبر سنة ١٩٥٨ ليكون رائدًا لبعـثة الضباط الأنـدونيسية المركـونة من قادة التربيـة الروحية التى قـدمت لدراسة الشئون الإسلامية والروحية والأخلاقية للانتفاع بها فى تعبئة الروح المعنوية بالجيش الأندونيسى.

وكانت له صلاته المستمرة بالقضايا العامة للبلاد العربية والإسلامية.

كتب كثيرًا فى إصلاح الأزهر لأداء رسالته الكبرى فى مصر والعالم الإسلامى.

وكانت كتاباته ومحاضراته -فـوق اتجاهها الإسلامى والعربى- وقد حصل على الدكتـوراه فى الأدب والنقد من كلية اللغة العـربية عام ١٩٦٧وكانت تتـسم دائمًا بالنزعة الإنسانية.

توفى إلى رحمة الله عام ١٩٨٠.

كتب إلى عام ١٩٥٨ من دمشق يقول:

أخى البحاثة الدءوب الأستاذ الجليل محمد عبد المنعم خفاجى:

سلام الله عليك ورحـمته وبركاته. أكـتب لك هذه الرسالة من دمشق الفـيحاء بعد أن قضيت أسبوعًا فى هذا الشطر الشمـالى من الجمهورية العربية المتحدة؛ وقد جلنا فى أنحـاء هذا الإقليم الكريم فـزرنا طرطوس وقـدمـوس واللاذقيـة وحلب وحماة ومعرة النعمان (بـلد أبى العلاء) وحمص وغيرها، وألقيت فى كل بلدة من هذه البلاد أكـثر من خطبة عـن الوحدة والعروبة والإسـلام ومقومـات هذه الأمة المؤمنة، وقد سعدنا فى اليوم التـالى لوصولنا بمقابلة الرجل العظيم الرئيس شكرى القوتلى، وخطبت أمامـه، وأهديت إليه نسخة من كتابى «الحـاكم العادل عمر بن

عبد العزيز» لأنه كان مصرى المولد وتولى الخلافة فى الشام وجمع فى خلافته بين مصر وسوريا وغيرهما من بلاد العروبة والإسلام.

وقد تفضل الرجل المجاهد فتقبل الهدية وعلق عليها بأنها أحسن هدية يتلقاها لأنها تذكره بالزهد والورع والعدالة... ثم رد على خطبتى بخطبة جليلة قيدنا خلاصتها، وكان ذلك كله فى القصر الجمهورى السورى. وقد طلب منى أثناء خطبته أن ألقى خطبة الجمعة يوم الاستفتاء ٢١ فبراير ١٩٥٨ فى المسجد الأموى الجليل لكى تذاع بالمذياع وليسمعها ألوف المصلين بالمسجد، وقد استجبت لذلك، وجعلت خطبتى دائرة حول معانى الوحدة وثمرات الاتحاد، وقد ذكرت فيها أيضًا عمر بن عبد العزيز وضربت بعض الأمثلة من حياته، وكان لها والحمد لله أثر طيب حميد كما ذكر لى الناس هنا وهناك.

دمشق الآن يا أخى فى بحر لجى من الفرح والسرور والبهجة.. المظاهرات فى كل مكان، الهتاف يملأ الآذان.. الرجال والنساء، الشيوخ والشباب، الطلاب والطالبات.. الجميع يصفقون ويهتفون..

إنك لا تستطيع أن تفرق مبلغ هذا الشعور الجارف الفياض إلا إذا رأيته بعينيك..

إننا الآن بين أشقائنا وأحبائنا، وفى بلادنا... البلد واحد، والقائد واحد، والوجهة واحدة... نصر الله كلمة الأمة، وأعز بها شأن الحق والعدل، وثبتها فى طريق اليقين والإيمان...

تحياتى لك ولأهلك ولكل أحبائك، وإلى لقاء قريب، وسلام الله عليك ورحمته.

دمشق فى ٢٢/٢/١٩٥٨

أحمد الشرباصى

وكتب عنه صديقه محمد رجب البيومى يقول:

أصدر للأستاذ أحمد الشرباصى كتابه القيم: «فى عالم المكفوفين»...

والكتاب كما يراه كثير من الناقدين مجهودًا علميًا إنسانيًا، فلا غرابة إذا أخذ نصيبه من ثناء المنصفين!!.. ويقول زميله د. رجب البيومى عنه:

رجعت بذاكرتى إلى الوراء، أيام كنت طالبًا بالسنة الأولى بمعهد دمياط الدينى، وقد سبقنى فى التخرج فيه زميلى أحمد الشرباصى، تاركًا خلفه ثناء مستطابًا، تفيض به ألسنة المدرسين فى المعهد، وآراء الأدباء، خارج الدراسة، من أندية السمر، ونزهات الراحة، ودهشت كثيرًا حين علمت أن الطالب المتخرج فى المعهد الابتدائى قد أصدر كتابًا أدبيًا فى موضوع توجيهى تحت عنوان: «حركة الكشف»، ولم يكن الكتاب مقالات متناثرة فى موضوعات متفرقة، تزدحم بها الأساليب الإنشائية والخيالات البعيدة، كما نلاحظ دائمًا فى إنتاج الشداة من الناشئين، والطامحين من المراهقين؛ ولكنه كان كتابًا هادفًا يسعى إلى غرض، ويدور حول فكرة، فاجتمعت له الأصالة والجدة مع التوجيه الدافع، والحرص الغيور،..

وقد انتقل الإعجاب بهذا الكتاب إلى الدوائر الأدبية فى القاهرة، فأفردت له مجلة الرسالة (عدد ١٠ يناير سنة ١٩٣٨) صفحة خاصة تحدث فيها الأستاذ محمد سعيد العريان عن الكتاب وصاحبه، فقال فيما قال:

«ها هوذا أزهرى فتى يضرب المثل لإخوانه الأزهريين فى الفتوة الرحيمة، التى تعمل للإنسانية... يا له من فتى متمرد؛ لا... لا تسموه متمردًا، إنه يعرف ما عليه من تبعات الرجولة فى غده، فأعد للغد عدته، فلا عليه إن كان هو وحده الفتى الكشاف من الأزهر الكبير وروافده.. إنى لفخور به»!!..

وأخذنا حينئذ نطالع مقالات أسبوعية يفاجئنا بها الشرباصى فى مجلات مختلفة، وكان عجيبًا أن تصدر «السياسة الأسبوعية» (فى ٩ يوليو سنة ١٩٣٩) عددًا خاصًا عن ذكرى الإمام محمد عبده، يتحدث به منصور فهمى وجاد المولى وأمين الخولى ومحرم والجارم وغيرهم من أدباء الصف الأول، ثم يكون للفتى الناشىء بهذا العدد مقالان اثنان لا مقال واحد (ص ١٨، وص ٣٠).

شىء رائع حقًا، ونشاط حميد مشكور دفع بالأستاذ فليكس فارس -وهو يومئذ فى طليعة كتاب الرسالة الشيوخ- أن يسجل تقديره فى تقريظ مشجع يقول فيه (الرسالة، عدد ٦ فبراير سنة ١٩٣٩):

«إن المؤلف يذهب فى محاولته ذهاب من رسخت عقيدته متعالية عن تردد المحاولين، وإن العبقرية العربية تنتبه فى هذا الجيل الذى سيقدم ليحل محلنا على الذروة نحن النازلين منها إلى الأغوار. لقد ولدت أقلامنا أقلامًا خيرًا منها».

وثناء فواح كهذا الثناء تعبق به مجلة الرسالة الارستقراطية جدير بالتقدير والاعتبار..

مضت الأيام والشرباصى لا ينى عن رسالته الأدبية، بل يزاحم الأدباء إنتاجًا وتأليفًا على طراوة العمر ولدونة اليفاع، وكان لابد لهذا النشاط المتوثب أن يخرج للناس كتابًا ثالثًا تحت عنوان: «بين صديقين»؛ وكان لابد لجمهرة المنصفين من الأدباء أن يسابقوا إلى تكريمه وتشجيعه، فهيأت جمعية الشبان المسلمين ساحتها مساء الأربعاء ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٤٠م لحفلة تكريمية ساهرة خطب بها كبار الأساتذة ونوابغ الأدباء، وقد أظهر الوفاء دلائله الصادقة فى نفوس كريمة تحتفل بالنشاط الدائب، وتبارك الجهد الموصول؛ وأنت تدرك كفاح الكاتب الناشىء حين تسمع زميله الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف يتحدث عنه، فيقول[1]:

«لقد كنت أتلقى بريد الرسالة فأجد الشرباصى فى اليوم الواحد كاتبًا فى (المكشوف) اللبنانية و(الحديث) الحلبية و(التفيض) العراقية (المجلة الدمشقية)!!... وهذه الحقيقة الماثلة تنطق بنشاط حافل، تمده الموهبة، وينمية الإطلاع!!..

وقد آثرت أن أستشهد بالنصوص ليعلم هذا المبتسم عن ريبة واتهام أننى لا أبارك وحدى جهود أديب طامح، فإذا كان لابد من الابتسام فليوجه إلى جميع من يستمعون القول فيحبون أحسنه، ويهتفون بقائله: مرحى مرحى فقد سلكت الطريق!!..

وإذا كان لنا أن نحكم على إنتاج الكاتب، فإننا نلاحظ أنه من مبدأ أمره قد احتفل بالأدب العربى دراسة وتحليلاً، فقرأ وحفظ وناقش، وأعد نفسه ليكون أستاذًا فى الأدب العربى وحده، فهو غاية يهدف إليها، ولم يدر أن الأيام ستجعل هذه الغاية وسيلة إلى هدف أسمى ومطلب أحب، تلك هى الدعاية للإسلام ونصرة الحق الصريح!.

---

(١) كتاب تكريم الشباب، ص ٢٣.

لقد أكب الشرباصى على دراسة الأدب فى مختلف عصوره، فأفاد إفادة غزيرة، ولا زالت أبحاثه الأدبية ترتفع إلى قمة عالية. وقد قرأت له سلسلة عن «الخطابة فى الأندلس» بمجلة الأزهر، فشاهدت من أصالة الرأى وبراعة الاستنتاج وطرافة النقاش ما أعجب وأمتع؛ بل أذكر أن أحد أساتذة العراق المرموقين قد كتب مؤلفًا تحت عنوان: «بعث الشعر الجاهلى» فانبرى الشرباصى لنقضه فى مجلة المقتطف، وأبدى من غزارة المادة وقوة العارضة ما جعل الدكتور المؤلف فى حرج وضيق، ولو تفرغ أحمد للأدب وحده لرأينا مجهودًا حافلاً تنشرح به الصدور!!..

ولكن الأستاذ يتعرض فى نقده الأدبى إلى مأزق ضيق يكابد منه تبريحًا أى تبريح!... فهو يحرص على التشجيع والتنويه، وتدفعه المجاملة أحيانًا إلى إهمال حقوق النقد الصريح، وكثيرًا ما تقرأ له بحثًا أدبيًا عن كتاب معاصر أو شاعر صاحب، فلا ترضى عما يشيع فيه من تنويه وتقدير... فإذا اضطر الكاتب إلى النقد ساقه فى ثوب حريرى ناعم... وقد تخلو إليه فيحدثك عن بعض المآخذ التى رآها ولكنه تحامل على نفسه فأغفلها؛ وتلك حال تذكرنى بشاعر العربية الابتداعى خليل مطران، فقد كانت له فى الشعر رسالة ناهضة مجددة، ولكن قيود المجتمع وقوانين المجاملة دفعته -فى ضيق منه- إلى النظم السطحى فى حفلات الأعراس ومواقف التأبين، والخلق السمح يجد حرجًا شديدًا فى مغاضبة الناس، فتكون المأزمة الضائعة للإنتاج الأدبى وصاحبه المسكين.

لقد قرأت فى كتاب «أيام الكويت» بحوثًا أدبية عن شعراء مقلدين لم يتصلوا بالنهضة الفكرية الحديثة؛ والأستاذ المؤلف ينظر إليهم بعين الرضا الكليلة عن العيب؛ فكنت أقول فى نفسى: أرضى الناقد عن نظمهم التقليدى فهتف بأصحابه مع الهاتفين، أم أنه احتقر الموازين الجديدة للشعر الحديث؟!...

ولم يطل التساؤل، فقد قرأت للأستاذ بحثًا استعراضيًا عن كتاب «الشعر بعد شوقى» للدكتور محمد مندور، فوجدت الكاتب يتفق معى فى الاتجاه!!.. وينحى باللائحة على ذوى الهمود من الجامدين، وإذ ذاك تصورت الحرب النفسية التى قاساها الشرباصى ليوائم بين الرأى الصريح والخلق السمح الحليم!!...

على أن أحمد فى مجاملته للزملاء لا يتهاون قيد شعرة مع كبار الأساتذة من الأدباء، وقد تعرض لغضب صاحب مجلة أدبية لامعة، حين نشر نقدًا أدبيًا لبعض آرائه بمجلة الثقافة سنة ١٩٤٠م، كما أغضب الأستاذ أحمد أمين حين انحاز مجاهرة إلى تأييد غريمه الدكتور زكى مبارك فى هجومه على صاحب الجناية الأدبية!...

ومع مناصرته لزكى مبارك فقد وقف الشرباصى الطالب الشاب موقف الناصح المرشد من دكتور نابغة نقاد، إذ يقول له على صفحات الرسالة (عدد ١٦ أكتوبر سنة ١٩٣٩م):

«أى صديقى الدكتور، قد انتهى لغو الصيف، وجاء جد الشتاء، فلا تكسل ولا تنم، على أنى أرجو أن تتحاشى ما يسبق إليه قلمك من عبارات تنال من شخصية الأستاذ أحمد أمين وتجرح شعوره» فأى توجيه ذاك؟!..

وقد كان التحاق الشرباصى بكلية اللغة العربية بالقاهرة نقطة تحول كبير فى إنتاجه واتجاهه، وكان المظنون به أن يتوسع فى الدراسة الأدبية وحدها، ولكنه وجد بالقاهرة مجالاً للنشاط الإسلامى عن طريق المحاضرة والمناظرة والخطابة، فانفرجت دائرة كفاحه إلى حيث تتسع وتمتد، ورصد نفسه إلى خدمة الفكرة الإسلامية بالقلم واللسان!!.

وصاحب اللسان البليغ لا يرى فى أسلوبه الخطابى ضرورة لقيود المقال المركز، ومن هنا سرت عدوى اللسان إلى القلم فى كتابة الشرباصى، فقد تجد بها تفصيلاً وإطنابًا لا يرضيان صاحب المنطق المحدد؛ ولكن الشرباصى يتعمد الإثارة الانفعالية فى نفوس القراء، إذ يهمه أن يجتذبهم إلى فكرته مستعملاً شتى ضروب التأثير، من منطق عقلى، أو مهيج عاطفى، أو حافز وجدانى، وإذا قرن القارىء شخصية الداعية بشخصية الكاتب فى بعض مؤلفات الشرباصى فقد أراح واستراح!!..

اقرأ مثلاً كتب الرجل: ١- النسل فى ضوء القرآن. ٢- واجب الشاب العربى. ٣- أمين الأمة أبو عبيدة بن الجراح. ٤- صلوات على الشاطىء.. فستجد المنطق العقلى سابحًا فى أمواج التأثير الوجدانى، ولهذه الطريقة حسناتها فى استنهاض الهمم وحفز البواعث، وإن كانت لا تسلم من نقد يؤكدة عقل منهجى محدود..

لقد أصدر الكاتب مؤلفًا صغيرًا عن السيدة زينب، كما أصدرت السيدة بنت الشاطىء مؤلفًا عنها، وصاحبة السيرة رضى الله عنها ذات مجال محدود لا يسمح بكتاب خاص، فماذا صنع الكاتبان؟!..

لقد لجأت الدكتورة الجامعية إلى الأساطير والأخيلة تنسج فيها خيوط البحث التاريخى، ولم أعجب بهذا المنهج، فنقدته نقدًا صريحًا بالسنة العشرين من مجلة الرسالة سنة ١٩٥٢م. أما الشرباصى فقد هدف إلى العاطفة الدينية يستثيرها استيثارًا حبيبًا، وقد عالج مشاكل دينية واجتماعية تتصل بالموالد والأذكار والصلوات، فجاء بحثه نميرًا مستطابًا ينعش الروح المؤمنة، ويرضى الوجدان الصافى، ولكنه لا يخرج عن مجال التأثير الخطابى إلى مجال التأمل والاستنباط، وفائدة القارىء فى المجال الأول محتومة مفروضة، فقد زاد إيمانًا، ورسخ عقيدة، وصفا نبعًا وأخلاقًا، وذلك ثراء أى ثراء.

هذا وقد فرغ الكاتب إلى البحث العلمى الدينى فى بعض مؤلفاته القوية مثل: «القصاص فى الإسلام، و«محاضرات الثلاثاء». ولم يضيره فى شىء أن يعرض بحوثه الدقيقة النافعة فى ثوب رائق واضح، فالحقيقة العلمية لا ينتقص معدنها أسلوب مشرق واستطراد نافع، وإنما يضيرها أن يتشعب بها القول فى متاهة لا تحد، وهذان الكتابان من النفاسة جوهرًا، والوضوح أسلوبًا، والتحديد منطقًا، فى مستوى رفيع، وإذا اكتمل للمؤلف كل ذلك فقد نجح وأفاد...

يقول فضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف فى معرض الحديث عن «محاضرات الثلاثاء» فى «منبر الشرق» عدد أول فبراير سنة ١٩٥٢: «من عادتى ألا أكتب عن كتاب إلا بعد أن أقرأ أكثر مباحثه على الأقل، فإن استمالنى لمتابعة القراءة فيه بغزارة مادته، وطلاوة عبارته، وجودة معانيه مضيت فيه إلى نهايته... وقد أهدانى فضيلة الأستاذ أحمد الشرباصى كتابه: «محاضرات الثلاثاء» وأنا أعلم أنه رجل موهوب، ازدان علمه بتقواه، وأسلوبه بالأدب الرفيع، وقلمه بالسلاسة والرواء، فعكفت على قراءته كعادتى فوجدت فيه طلبتى» إلخ...

وإذن فقد أصبح الاتجاه الإسلامى للداعية الأديب محور الحديث فى الخطابة، ومجال القلم فى التأليف... وقد سافر بحافز من هذا الاتجاه إلى ممالك الإسلامية

كثيرة، وصادف محنًا وعقابًا جمة، ولكنه لم يترك تجاربه تهرب من الذاكرة هروبًا لا رجعة منه، بل أفرد لها كتبًا خاصة من إنتاجه مثل: «أيام الكويت» و«عائد من الباكستان» و«مذكرات واعظ أسير». . .

وقد سلك فى كتابته مسلكًا يلتزمه الكثيرون، فهو يدون الحوادث اليومية مجزأة متصلة، تتماوج فى سلسلة متعاقبة، يومًا وراء يوم، وأذكر أنى كتبت إليه فى رسالة خاصة نقدًا لهذه الطريقة، إذ أرى أن الأوفق أن تمتزج هذه اليوميات، لتتداخل فى أبواب عامة، تتخذ لها عناوين دالة موحية. . .

وكنت أعتقد أن هذا المنهج لا يختلف فيه اثنان، ولكنى وجدت من كبار الأدباء من يعدل إلى طريقة الأستاذ الشرباصى منددًا بما أشرت إليه، فقد كتب الدكتور محمد عوض محمد بالرسالة (العدد السابع من السنة الأولى) ينقد كتاب: «جولة فى ربوع أفريقية» للرحالة محمد ثابت، فيفضل أن يكتب المؤلف مذكرات يومية أثناء السياحة، يصف فيها حركاته وسكناته، وما مر به من الحوادث وكل شىء رآه، وبديهى أن ذلك لا يتضح بجلاء فى الأبواب الكلية كما أريد، ولكل وجهة هو موليها. . .

وقد لاحظت أن أفكار الكاتب فى نشأته الأولى لم تتبدل فى شبابه المكتمل، بل أكسبها الزمن عراقة وأصالة دون أن يميل بها إلى استئصال وإبادة. ولتوضيح ذلك: قرأت للشرباصى على سبيل المثال -ثلاثة فصول مختلفة عن الأستاذ الإمام محمد عبده، وقد كتبت فى فترات مختلفة، تبتدىء من سنة ١٩٣٨ وتنتهى سنة ١٩٥٦م، فلاحظت أن الروح التى تغمر مقال «محاولة» هى نفسها التى تترقرق فى مقال «محاضرات الثلاثاء»، وهى نفسها أيضًا تتوهج ببزوغ فى مقال أخير نشر بالعام الماضى فى مجلة الأزهر سنة ١٣٧٥هـ. . . ولا عجب إذا أكثر الشرباصى من الحديث عن الإمام المصلح، فهو مثل يحتذيه من ناحية، وعالم أزهرى كبير له رحمة الماسة من ناحية ثانية!! . .

لقد أصبح توفيق الشرباصى فى محاضراته المتتالية حديث الكثيرين، فكيف إذا ضمت إليه مؤلفاته التى تتقاطر متتابعة دون انقطاع، وقد يجمع المؤلف الواحد منها ضروبًا فى القول تتباعد مصادر ومراجع، وتتحد هدفًا وغاية؛ وتلك حقيقة سجلها

الأستاذ محمود تيمور حين قال عن كتاب «فى عالم المكفوفين» بالرابطة الإسلامية، عدد ١٦ أبريل سنة ١٩٥٦:

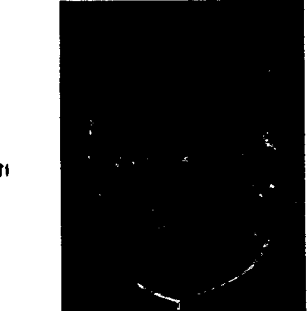
«وأكبر ظنى أيها الصديق أنك ستشق بكتابك هذا على من يريدون إلحاقه بفن من فنون التأليف، فإنهم يحارون فيه. . . إن ألحقوه بالعلم فهو ذاك، لما حوى من دراسة وتحقيق، وإن وصلوه بالتاريخ فله منه نصيب موفور، وإن درجوه بالاجتماع فما ظلموا، وإن عدوه كتابًا فى الأخلاق فليس هو منها ببعيد».

هذه شهادة منصفة، وهى بعد تحقيق لنبوءة الأستاذ أحمد شفيع السيد -الأستاذ بكلية اللغة العربية- حين سجل إعجابه -من أمد بعيد- بتلميذه الطالب أحمد الشرباصى، فقال عنه من قصيدة عامرة تنطق بسماحة الأستاذ وتقدير التلميذ:

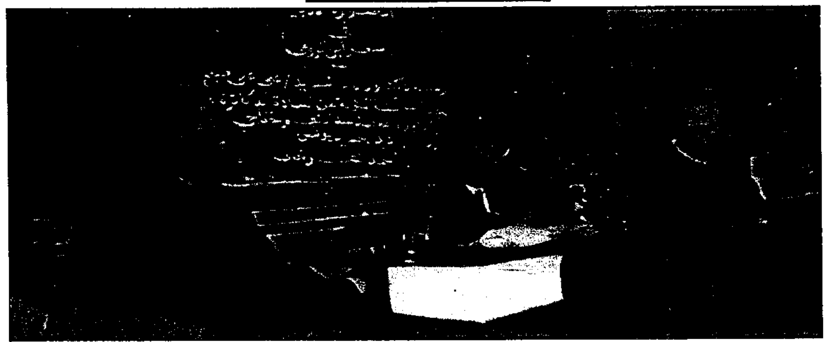
قبس من الإصلاح لاح بصيصه ... سيزيده كر المدى إشعالاً

وإذا رأيت الفجر يبسم ضوؤه ... فارقب لأنوار الضحى إقبالاً

البحر ماذا كان؟ كان جداولاً ... والبدر ماذا كان؟ كان هلالا



الدكتور أحمد الشرباصى



من اليمين أ.د. أحمد الشرباص، ثم أ.د عبد الحميد يونس ثم أ.د محمد خفاجى ثم الباحث على صبح فى مناقشة الدكتوراه



على اليمين أد. محمد عبد المنعم خفاجى ثم نجله د. ماجد ثم الدكتور على صبح

الدكتور الخفاجي-
محمد عبد المنعم خفاجي -عالمًا-

فى قرية صغيرة قديمة من أعمال مـركز المنصورة، تسمى «تلبانة»، ولد الخفاجى فى ٢٢ يوليو عام ١٩١٥ بين أحـضان الطبيعة الجـميلة فى الريف، وبين الفلاحين المكدودين المرهقين الذين يعيـشون فيه عـيشة تجمع إلى البـساطة سذاجة التـفكير، وإجهاد العيش، وشظف الحياة.

وفى أبان الحرب العالميـة الكبرى، وما تلاها من أحداث الثـورة الوطنية المصرية عام ١٩١٥ ولد ونشأ الخفاجى.. تنطبع فى ذهنه صور من كـفاح الحياة والإنسانية ومن جهاد مصر فى سبيل حريتـها وآمالها، هذا الجهاد الذى ظل أمدًا طويلا شغل المصريين كافة، وموضع تفكيرهم، وألهم المقعد الناصب لهم فى حياتهم المعاصرة.

ولم يترك الخفـاجى القرية إلا فى أثناء دراسته، وظل وفيًـا لها ولأهلها الأبرياء البسطاء طول حياته.

وهذا الميلاد وما صاحبه وتلاه من أحداث فى حـياة الخفاجى يصوره فى قصيدة ساحرة له عنوانها «يوم الميلاد».

والخفـاجى لم يكن وحده فى الحـياة، إن تاريخ قومـه يمتد إلى أكـثر من ألف وخمسمائة عام.

فهو من سلالة عربية عريقة، أرخ لها فى كـتابه «بنو خفاجة وتاريخهم السياسى والأدبى»، والخفاجـيون قبيلة عربية حـجازية كبيرة نشأت فى العـصر الجاهلى وزاد نفوذها وهم من العقيليين العامريين القيميين، وقد تعددت فروع القبيلة بعد الإسلام وهاجرت سلالات منها إلى الشام ومصر والعراق والمغرب والأندلس، ومنهم أعلام خالدون فى كل مكان، ولا ننسى الشاعر الأموى توبة الخـفاجى العربى الحجازى، والأمير ابن سنان الخفاجى الحلبى المتوفى عـام ٤٦٦هـ، والشهاب الخفاجى المصرى المتوفى عام ١٠٦٩هـ، وابن خفاجة الأندلسى المشهور، وغيرهم.

ومن الخفاجيين أسر حاكمة فى حلب فى القرن الخامس الهجرى، وفى العراق فى القرن الرابع إلى السابع الهجرى، وكانت ولاياتهم فى الناصرية بقرب الكوفة وكان يتولاها منهم بعد أمير، وكانوا فى شبه استقلال داخلى عن الخلافة العباسية.

إن هذا الماضى العريق يحمله الخفاجى فى قلبه ودمه وأعصابه ويقف مزوداً منه بإيمان راسخ، وعبقرية حادة وقوة ضخمة تعاونه على كفاحه فى الحياة.

وحفظ الخفاجى القرآن الكريم وتعلم مبادئ وأطرافًا من الثقافة الأولى فى مكتب القرية أو المدرسة الأولى التى كان يتعلم فيها الشباب فى ريف مصر إلى عهد قريب.

وفى عام ١٩٢٧ رحل إلى مدينة الزقازيق يتلقى ثقافته الابتدائية والثانوية فى معهدها الكبير، الذى تخرج منه عام ١٩٣٦، وبين هذين التاريخين قصة كفاح طويل.

ومن أهم ما ظهر على الخفاجى فى هذه الفترة الاتجاه الوطنى الذى دفعه إلى الكفاح فى سبيل وطنه فى الأزمات السياسية التى مرت بمصر منذ عام ١٩٣٤، وكان رئيس اتحاد طلبة أبناء الشرقية فى مدينة الزقازيق، وكان هذا الاتحاد قوة كبيرة سياسية فى هذه الفترة، والخفاجى وأصدقاء له هم الذين كونوه، وكانت مؤتمراته الوطنية تنشر فى الصفحة الأولى فى جريدة الجهاد المصرية، وفى شتى الصحف فى هذه الفترة.

ومن أهم ما يلاحظه الخفاجى على الثقافة المصرية فى هذه الفترة انعدام التوجيه وضعف تربية الملكات، وإهمال شئون الطالب النفسية والعقلية إهمالاً كبيراً. وقد جاهد الخفاجى فى أزمة الأزهر عام ١٩٣٥ مع زملائه جهاداً طويلا.

التحق الخفاجى بعد مرحلة الثانوى بكلية اللغة العربية بالقاهرة وهى إحدى كليات الأزهر الشريف وبدأ دراسته فيها فى أول أكتوبر عام ١٩٣٦، وفى اليوم الثانى من أكتوبر من هذا العام توفى والده، وبعد ذلك بعشرين عامًا أى فى يوم الخميس ٢٧ جمادى الثانية ١٣٧٥هـ- ٩ فبراير ١٩٥٦ توفيت والدته وتخرج الخفاجى من كلية اللغة عام ١٩٤٠، حيث كان فى طليعة المتفوقين فى جميع مراحل الدراسة فيها.

وفى خلال هذه الفترة اشترك الخفاجى فى الحركة الوطنية، وتابع دراسته. وعمل أحيانًا فى الصحافة فى جريدة السياسة وفى صحف أخرى، وكتب المقالات والبحوث والدراسات فى شتى الصحف والمجلات.

وكان قيام الحرب العالمية الثانية فى هذه الفترة عام ١٩٣٩ أهم حدث عالمى تأثر به الشباب العربى أيما تأثر، بل تأثر به شباب العالم قاطبة.

وكان الخفاجى المتنقل بين القرية والعاصمة صورة للشباب المصرى المكافح فى سبيل وطنه وفى سبيل قومية بلاده وفى سبيل الثقافة التى حمل لواءها بقوة.

وفى هذه الفترة تأثر بآراء عالمين مفكرين كبيرين فى الفكر والثقافة والإصلاح، هما الأستاذ الأكبر الشيخ إبراهيم حمروش شيخ الأزهر فيما بعد، والأستاذ الكبير الشيخ محمد عرفة عضو جماعة العلماء بالأزهر. كما كان للإمام محمد عبده صداه العميق فى نفسه.

وكان الأستاذ الأكبر الشيخ حمروش عميد كلية اللغة آنذاك وكان بعقله الواسع وأفق تفكيره البعيد وثقافته العلمية العريقة أرفع مثال لطلاب كليته، يستمدون منه القدوة، ويحتذون حذوه فى الفهم والتفكير.

وكان الأستاذ الكبير محمد عرفة أستاذًا للخفاجى فى الفلسفة والبلاغة، ومن ثم بآرائه التجديدية العلمية تأثرًا خاصًا.

وتخرج الخفاجى فى يوليو عام ١٩٤٠ من كلية اللغة يحمل شهادته العالية.

والتحق الخفاجى بأقسام الدراسات العليا فى كلية اللغة العربية فى أكتوبر عام ١٩٤٠ فى قسم البلاغة والأدب، فعكف فى خلال الأحداث العالمية التى صاحبت الحرب العظمى، وفى خلال أحداث مصر القومية التى امتدت من هذا التاريخ، وفى خلال أزمات الأزهر التى كانت نتيجة للصراع بين الحكومة والقصر، والتى كان الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى مظهرًا لكثير من صور الحرب الخفية فى هذه المعركة، فى هذه الظروف عكف الخفاجى على دراساته العليا، إلى أن تخرج عام ١٩٤٤ يحمل شهادة النجاح فى الامتحان التمهيدى لشهادة العالمية من درجة أستاذ.

ثم قدم رسالته الجامعية «ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان» ونوقش فيها فى أكتوبر عام ١٩٤٦، ونال بها بتفوق شهادة العالمية من درجة أستاذ فى الأدب والبلاغة من كلية اللغة العربية وهى أرقى شهادات الأزهر الجامعية وتعادل الدكتوراه الممتازة حرف (أ).

ومن الجدير بالذكر أن الخفاجى قدم للكلية مع رسالته المخطوطة ثلاثة كتب له مطبوعة عن ابن المعتز فى جوانب تخدم موضوع رسالته وهذه أول مرة يقدم فيها باحث رسالة علمية مخطوطة ومعها ثلاثة كتب تخدم رسالته وفى موضوعها.

وكان هذا الجهد الأدبى موضع تنويه الأدباء والعلماء والصحف فى حينه.

ولا ننسى أن نقول: أن الخفاجى أمضى مع عمله الضخم هذا سنوات طوالاً يشغل وظيفة أستاذ فى الليسيه فرانسيه فرع شبرا.

وقد ترك بعد حصوله على شهادة العالمية من درجة أستاذ وظيفته فى الليسيه ليتولى أستاذية البلاغة فى معهد أسيوط الكبير الذى عمل فيه من نوفمبر عام ١٩٤٦ حتى أكتوبر عام ١٩٤٧، ثم فى معهد الزقازيق الذى كان طالبًا فيه من قبل، والذى عمل فيه من عام ١٩٤٧ إلى عام ١٩٤٨.

وانتقل الخفاجى فى ١٧ أغسطس عام ١٩٤٨ إلى كلية اللغة العربية مدرسًا للأدب والنقد والبلاغة فيها، ولا يزال حتى اليوم يتولى هذا المنصب فيها.

ومن الطريف أن نذكر أن الخفاجى متزوج من عام ١٩٤٨ وله ولد هو ماجد خفاجى، وتوفيت له بنت كان اسمها «وفاء خفاجى».

وهو كذلك رئيس رابطة الأدب الحديث فى القاهرة، وعضو فى شتى الهيئات العلمية والأدبية فى مصر والعالم . وقد اختير عضوًا فى اتحاد أبناء الدقهلية وهو من أكبر دعاة التجديد والإصلاح والتعاون والقومية العربية.

ولا أنسى أن أنوه بكفاح الخفاجى فى سبيل إصلاح الأزهر، منذ التحاقه بقسم الدراسات العليا حتى اليوم.

وفى هذا السبيل ناضل كل شيوخ الأزهر، وطالبهم بالإصلاح والتجديد والبناء.

وأنوه كذلك بكفاحه فى سبيل الأدب الذى أنفق عليه كل ما يملك من مال.

ثم بكفاحه من أجل وطنه منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية حتى اليوم.

وكفاحه من أجل الثقافة قد لا يصل إليه كفاح آخر.

عمل فى كلية اللغة العربية بالقاهرة مدرسًا فأستاذًا مساعدًا فأستاذ فرئيس قسم الأدب والنقد. ثم اختير عميدًا لكلية اللغة بأسيوط، ثم عاد إلى القاهرة أستاذًا متفرغًا يدرس لطلابه فى الدراسات العليا علوم الأدب والنقد.

والعوامل الثقافية التى أثرت فى عقلية أديبنا يمكن تلخيصها فيما يلى:

١- العامل الأول: ثقافة الأسرة وهى أسرة تنتمى إلى أصول عربية قديمة بسط صاحبها تاريخها فى كتاب خرج منه حتى الآن تسعة أجزاء -ومن هذه الأسرة أعلام قديمة وحديثة ومعاصرة من الأدباء والعلماء والشعراء والكتاب، وقد بسط صاحبنا تاريخهم فى كتابه «بنو خفاجة».

٢- العامل الثانى: ثقافته فى الأزهر الذى عاش فيه تلميذًا من سنة ١٩٢٧ إلى ١٩٤٦ حيث تخرج من كلية اللغة العربية يحمل شهادة «العالمية من درجة أستاذ فى البلاغة والأدب» وتعادل الدكتوراه حرف (أ) من الجامعات المصرية -وتخول حاملها التدريس فى كليات الأزهر وكليات الجامعات المصرية، وكانت الرسالة التى قدمها هى كما قدمنا «ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان» وهى مطبوعة.

٣- العامل الثالث: مطالعاته الشخصية فى الأدب قديمة وحديثة، ويقول لنا: إنه حتى تخرجه طالع ما لا يقل عن خمسة آلاف كتاب فى الأدب عدا الكتب الثقافية الأخرى.

٤- اتصاله الوثيق بالبيئات والمدارس والمذاهب الأدبية المعاصرة، ودراساته فى كلية اللغة لتلاميذه.

٥- الاستعداد الشخصى والملكات الذاتية، التى تكون لصاحبها أفكارًا ثقافية وأدبية خاصة متميزة.

٦- اتصاله المباشر بالبيئات الثقافية والأجنبية التى كان لعمله فى الليسيه الفرنسية مدرسًا أثر ما فى حياته، وكذلك اتصاله بالعديد من العناصر والبيئات الثقافية.

يؤمن أديبنا الخفاجي بضرورة الملكة الأدبية والموهبة الذاتية كأساس لبناء الأديب من الجانب الفنى والثقافى، ومن ثم نجده يحيل كل الخصائص الذاتية التى تميز أديبًا عن أديب إلى أثر هذه المواهب.

ويرى أن الثقافة الأدبية الحديثة للأدب يجب -فوق تناولها لجميع الثقافات الممكنة- أن تتناول التعرف إلى جميع الثقافات الأدبية القديمة والحديثة والمعاصرة عند جميع الشعوب، ومن ثم يحرص على الاتصال بروائع الآداب الأوروبية المترجمة ويرى وجوب التعاون والإخاء الأدبى بين الأدب العربى وهذه الآداب، كما يرى وجوب دراسة الآداب الشرقية عامة والعربية خاصة عند جميع الشعوب التى يتصل تاريخنا بتاريخها وحياتنا بحياتها.

ويرى أن الأدب لابد أن يخدم هدفًا اجتماعيًا أو قوميًا أو إنسانيًا وإلا فقد جزءًا كبيرًا من مقوماته ومن أجل ذلك نراه فى كتابته عن الأدب المعاصر يشيد بروائع الآثار الواقعية فى الأدب والشعر (راجع مقدمة قصص من التاريخ).

وهو مع ذلك يرى أن الأدب المعاصر تنقصه الملكة والذوق البلاغى كما أن الأدب القديم كان ينقصه الاتجاه والمذهب والرسالة ومن أجل ذلك فهو يبشر بأدب جديد تتجلى فيه خصائص الأدبين أكثر وضوحًا عما هى عليه الآن.

ويقول عنه الدكتور أحمد زكى أبو شادى رائد مدرسة أبولو:

الخفاجى ظاهرة فذة شائقة فى الوراثة والإطلاع والاستقراء والإنتاج فهو سبط الأديب الكبير الشيخ نافع الخفاجى وهو من أسرة بنى خفاجة التى تنتمى إلى أصول عربية «قديمة»، ومنها الأمراء الخفاجيون فى إقليم الكوفة والأمراء الخفاجيون بحلب، ومنهم الأمير ابن سنان الخفاجى الحلبى، ومن أشهر النابغين فى مصر من الخفاجيين الشهاب الخفاجى المصرى. وهذا الرجل يحمل أعلى شهادات الأزهر العلمية وهى «شهادة الأستاذية فى الأدب والبلاغة» التى تعادل (الدكتوراه) من الجامعات السابقة كالسوربون مثلا والذى أخرج حتى الآن نحو ستين كتابًا فى فنون الأدب. ومن العسير أن يختار المرء كتابًا من كتبه للعرض فى مجال الحديث عن الأدب العربى، نظرًا لكثرتها وتنوعها متناولة جميع فروع الأدب. والأستاذ

خفاجى ليس لغويًا ولا أديبًا فحسب، بل هو شاعر أيضًا، شأنه فى ذلك شأن الدكتور طه حسين، وذلك -إلى جانب ثقافته الواسعة التى تلتهم كل معرفة ميسورة- كان طابع كتابته شعريًا جميلاً مع الحرص على الدقة العلمية فى الوقت ذاته. ولذلك نالت تصانيفه احترامًا عامًا فى جميع الأوساط الأدبية ببلاد الغرب وفى دوائر الاستشراق[1].

ويقول عنه الأستاذ روكس العزيزى:

«الأستاذ الخفاجى واحد من هؤلاء الأفذاذ الذين وقفوا على ماضى الأدب العربى وقوف فهم وتعمق ودراسة ورافقوا جديده فكانوا من خيرة مجدديه، لأن فكرته فى التجديد فكرة نيرة حاذقة. لذا جاءت أحكامه محكمة تتميز بالالمعية فهو يجمع بين دقة العالم، وصفاء ذهن الباحث، وقدرة الكاتب المجيد وروح الشاعر المرهفة الحساسة، ويضاف إلى هذا أنه أستاذ فى معهد كان وما زال أمينًا على تراث هذه الأمة الأدبى والفكرى.

وقال الناقد مصطفى السحرتى فى الخفاجى[2].

أصدق تعريف بالخفاجى أنه هادىء ثائر معًا، حريص على الإصلاح والجهر برأيه حتى فى أدق الظروف والمناسبات وله فى ذلك مواقف عديدة فى الأزهر وفى خارج الأزهر على السواء.

وهو رائد فى الأدب والشعر والنقد والتاريخ والتصوف كما هو رائد فى علوم الدين.

وقال عنه الدكتور سعاد جلال الأستاذ بجامعة الأزهر:

الخفاجى عرفته المجامع العلمية والأدبية باحثًا مدققًا مبرزًا، فيه الكثير من تواضع العلماء، وتبريز الباحثين والمفكرين، مما يصوره أدبه وإنتاجه وتآليفه، التى هى آثار أدبية يعتز بها أدبنا المعاصر، والتى ستبقى خالدة على الأيام.

---

(١) من حديث أذيع فى صوت أمريكا عام ١٩٥٣.

(٢) ص ٧٥ من رواد الأدب المعاصر لحليم مترى.

(٣) ص٧٦ من رواد الأدب المعاصر.

وقال الدكتور عبد المنعم النمر فيه:

إننى أطالب مجلس الفنون والآداب بإعادة طبع موسوعات الدكتور الخفاجى كى يعم النفع بها وأطالب النفع بها وأطالب إدارة الأزهر بإخلائه من العمل ليضاعف الإنتاج وبهذا نكون قد كرمنا الرجل حقًا ووضعناه فى مكانه.

وقال عنه الأديب الحجازى الكبير الأستاذ عبد الله الجبار:

إن الأدب العربى ليفخر بنتاج الخفاجى الأدبى والعلمى المتصل المستمر على مرور الأيام.

وقال الأديب الحجازى الكبير أحمد عبد الغفور عطار[1]:

الخفاجى أحد أعلام العلماء الذين خرجهم الأزهر، ويفخر بهم، وهو أعجوبة من الأعاجيب. فهو قد ألف وصنف العديد من الكتب وكتب مئات الفصول والرسائل. ولئن كنا ندهش عندما نقرأ أن الكندى وابن سينا والسيوطى وغيرهم من أقطاب العلماء الذين ألفوا كتبًا ورسائل تعد بالمئات فإن هذا الدهش سيزول عندما نجد عالمًا معاصرًا مشغولاً بالتدريس والأندية والجمعيات الأدبية والعلمية ومشغولاً بكثير من أعمال هذه الحضارة وهذا المجتمع المضطرب يستطيع -مع كل مشاغله- أن يخرج لنا العديد من المؤلفات. بينها من الكتب ما يتجاوز عدد صفحاته الآلاف.. إنه أديب متمكن، وشاعر مبدع، وعالم كبير.

وقال فيه الشاعر الكبير محمود غنيم:

هتفوا بذكر أغر نابه	عمرو بن بحر فى ثيابه
إن لم يكنه فى حقيـ	ـقته فبينهما مشابه
لا فى ملامح وجهه	بل فى توفره ودابه
حببت فيه طالبًا	للعلم أمعن فى طلابه
بل كاتبًا فى الأفق حلا	ق غير وإن عن شهابه
أن ينسب سفر إليـ	ـه تاه فخرا بانتسابه

(١) ص٤ مقدمة كتاب الخفاجى «الإسلام دين الإنسانية الخالد».

فتدفق الأسلوب نحـ ... ـسبه غيرا فى أنسابه

فى لفه قلم لعا ... ب النحل قصر عن لعابه

أسفاره منهلة ... كالغيث تهطل من سحابه

أنساره نمت عليـ ... ـه وجردته من نقابه

كالطيب فى الأخفاق ينـ ... ـفخ ريحه رغم احتجابه

السيف سيف مصليًا ... أو مستكا فى قرابه

وقال فيه الشاعر الكبير الدكتور حسن جاد:

حيو الأديب الذكيا ... والعالم الألمعيا

رب اليراع المجلسى ... رسائلا ودويا

ومن يهز.. خطيبا ... ويستشر الندايا

فما يمل دءوبًا ... ولا يكل مضيا

فقل لمن كرموه ... رمتم مراما عصيا

حوى الفنون جميعا ... فليس ينقص شيئا

وشق كل طريق ... من ذا يصد الأتيا؟

وطبق الشرق ذكرا ... وشهوة ودويا

حتى شأى كل ميت ... وبذ من كان حيا

ولم يدع للسيوطى ... فى الكتب ذكرا بقيا

أخا الصبا وصديقى ... أفديك خلا وفيا

مؤلفاتك شتى ... وما برحت فتيا

الدين جليت فيه ... كتابه القدسيا

وكم خدمت احتسابا ... حديثه النبويا

وكم سـهـرت لتـحـيـي تـاريـخـنـا العـربـيـا
تكسـو البـيـان جـديداً مـن الشـبـات بهـيـا
وانهـض إلى المجـد واصـعـد إلـى مـدار الثـريـا
والله حـسـبـك حـصـنـا مـكـافـئـا ووليـا

وقال فيه الشاعر كامل أمين:

يا أخا الخير، يا خفاجة، والخير شباب الندى وروح الحياة كل أرض نما بها البر روح ألبسته الحياة ثوب النبات، قد عهدناك يا أخى تعبر الناس فتسعى بهم كسعى الفرات تبعث البائس القنوط من الآمال كبعث الحياة بعد الممات.

يا أخى كيف مد سحرك فى الليل فمد الصباح بين بيانك ريشة الساحر الصناع بكفيك وسحر البيان تحت لسانك وخيال الحديث يجذب كاللحن فإذا عزفته فى كمانك الكمان الذى استحال براعا عز داود فيه من ألحانك.

وقالت فيه الشاعرة جليلة رضا:

إنه كالفجر فى سناه الوليد دائم الخلق، دائم التجديد وهو الحق والفضيلة والصدق، ونور الإيمان والتوحيد، وهو العلم والبلاغة والفصحى، ورمز الإجلال والتمجيد، وهو كالطفل فى سماحته الحلوة، فى قلبه الشفيف الودود، وهو كالوحش إن غزا الكتب استأسد وانقض فوقها كالأسود وهو فى مجلس التشاحن والبغض كوجه السماء بعد الرعود، بسمة كالندى ووجه صبوح واتضاع فى عزة وصمود، فإذا هم بالحديث فإطراق العذارى وحكمة ابن الرشيد قلم عاشق وطرس عشيق وبيان يفى بكل الوعود، هكذا بذرع الوجود خفاجى بين بحث وفكرة وجهود فهو فخر الكتاب فى عصرنا الحاضر رمز البقاء والتخليد وأبو المجد والعلا للخفاجيين من قبل ومن قديم الجدود.

وقال الشاعر محمود الماحى فيه:

إنى أكـرم همـة لم يؤتهـا بشـر بعـصـر قـد نسى كـتـابه
ولسـان مـقـتـدر عليم بسـارع مـسـتـصـغـر رغـم الشـقـاء عـذابه

في هـذه الدنيـا الـتى من هـولهـا — سـئم الأديب وعـودها الخـلابة
يجـرى وراء سـرابهـا وسـرابهـا — يجـرى بلا أمل يـريد سـرابه
يا أيـهـا الـقلم السـخى بـعلمـه — درر الحـجـا وقـلائد منسـابه
لا جف منك ومـدادك الغـالى ولا — فـارقت قلبًـا مـبـديًا إعـجـابه

وقال عنه الشاعر أحمد أبو المجد عيسى:

هذا الذى هام بالأسـفـار يكتبـهـا — حـبات عـقـد بديع جد مـؤتلق
لك الأنـامل كـم صـاغـت لنـا أبا — به شـغلنا عـن الأجـيـال والحـدق
لـك الطـرائف مـن عـلم ومـن أدب — سارت مسير ضياء الشمس فى الأفق
وأنت لـلجـيـل أسـتـاذ تعلمـه — بمـا يحـلـيـك من عـلـم ومـن خلـق
ونلت بالـعلم جـاهًا أنـت كـاسـبـه — ولـم تنـلـه بتـزيـيـف ولا ملـق
وكم رفـعت أديبًـا كـان فـى ظلم — كـأنما عـاش تحت الأرض فـى نفق
ونحـن حـولك إن كـنا ذوى أدب — فالطيـر تهفـو لفيض الجـدول الغدق
والصـادح العـبقـرى اللحن يسـعـده — أن يسـتـجـيب إلى بستـانـه العبق
يكفـيك أنك فى الأقطار جـامـعـة — تـزود الفـكر بـالأضـواء والألـق

وقال عنه الشاعر إبراهيم شعراوى:

خـفـاجـى، هاتف ينسـاب طهـرًا — بأعـمـاقى ويسكـب فى نشـوه
فـاهـتف والنـداء يهـز نفـسى — خـفـاجى لفظة كـالشـهـد حلوه
أبـى يـا فـرس الآداب إنـى — لأبصـر فـيك مـيدانًـا وصـهـوه
إذا مـا سـأرجع النـاس يومًـا — إلى العـليـا بتـصـمـيـم وقـوه
لكـنت كـشـعلة بـين الديـاجى — تسـير أمـام هذا الجـمـع خطوه

❁❁❁

أبو الجامعات فى الشرق والغرب
قلعة حضارية فى تاريخ مصر الإسلامية

هذا البناء الشامخ، والمسجد العريق القائم فى نهاية شارع الأزهر بالقاهرة، والمجاور لميدان الحسين، والذى رفع قبابه جوهر الصقلى، قائد جيش فتح مصر فى عهد المعز الفاطمى -هو جامعة الجامعات، ومعهد العلم فى عاصمة مصر قاهرة المعز الخالدة، وهو حقًا قلعة حضارية فى تاريخ مصر الإسلامية طوال ألف عام أو يزيد. . إنه الأزهر أبو الجامعات فى الشرق والغرب.

وشيخ معاهد العلم فى مختلف أرجاء العالم. وإذا كان مسجد القرويين قد أنشىء فى فاس عام ٢٤٥هـ ٨٥٩م، فإنه لم يتحول إلى جامعة إلا فى زمن متأخر جدًا، بينما صار الجامع الأزهر جامعة إسلامية بعد إنشائه بسنوات، وصار مقصد الطلاب والأساتذة من أنحاء الدنيا، وقام برسالة ثقافية كبيرة طيلة ألف عام، مما لم يحدث فى تاريخ أية جامعة من الجامعات فى الشرق ولا فى الغرب.

وكان إنشاء الأزهر وقيام الحلقات العلمية الجامعية فيه بعد إنشائه مباشرة وحتى اليوم، معجزة المعجزات فى تاريخ الثقافة الإسلامية.

والأزهر هو أبو الجامعات الدينية، فى عالم الإسلام، وهو الذى يمدها بالتوجيه والخبرة، وبالخطط العلمية المدروسة، وبالمناهج والأساتذة، وعلى نمطه قامت مختلف الجامعات الإسلامية الحديثة فى أنحاء العالم الإسلامى، وصار هو الصورة المشرقة لكل الجامعات، وهو الذى يلخص تاريخ الحضارة الإسلامية كلها طوال ألف عام.

إنه روح هذه الحضارة، والمعبر عنها والمترجم لثقافاتها. وهو موئل العربية وملاذها الأمين. منذ قيامه إلى اليوم وقد سمى الأزهر لأنه كان محاطًا بقصور زاهرة فى رأى، أو لأنه كان أكبر الجوامع على الإطلاق رواء وجلالاً وفخامة فى رأى، أو لأنه ينتسب إلى الفاطمية وإلى فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ فى رأى آخر، أو للتفاؤل بما سيكون له من المكانة والجلال والازدهار العلمى فى تاريخ الثقافة الإسلامية.

وقد شرع المعز الفاطمى منذ تولى الحكم فى دولة الفاطميين فى المغرب فى بناء دولة واسعة، وإمبراطورية ضخمة لآل البيت فى وسط العالم الإسلامى، ومن ثم امتد بصره إلى مصر، وشرع فى التمهيد لفتحها، ونشط الدعاة الفاطميون فى الدعوة لآل البيت فى أنحاء مصر كلها، ثم عين قائده جوهرًا قائدًا لجيش الفتح، فخرج من القيروان بجيش ضخم فى ١٤ من ربيع الأول عام ٣٥٧هـ فبراير ٩٦٩م، فاستولى على الإسكندرية، ثم واصل زحفه إلى الجيزة، فدخلها فى ١١، من شعبان عام ٣٥٨هـ- يوليو ٩٦٩م، وفى اليوم التالى دخل جوهر الفسطاط عاصمة مصر الإسلامية الأولى آنذاك.

ومكث جوهر فى شمالى الفسطاط ثمانية أيام استراحت فيها جنوده بعد عبورهم النيل من الجيزة إلى الفسطاط، وأخذ جوهر فى وضع أساس عاصمة جديدة لمصر الفاطمية، فوضع أساسها، فى يوم الثلاثاء ١٧ من شعبان ٣٥٨هـ ٧ يوليو ٩٦٩م، كما ورد فى خطط المقريزى (جـ٢ ص٢٠٤)، ووضع أساس القصر الفاطمى الكبير -الشرقى فى اليوم التالى ليكون مقر الخليفة الفاطمى المعز لدين الله.

وفى يوم السبت ٢٤ من جمادى الأولى عام ٣٥٩هـ- ١٢ من أبريل ٩٧٠م شرع القائد جوهر فى بناء الجامع الأزهر إلى جانب القصر الكبير- الخطط جـ٣ ص٣٧٣- وظل البناء عامين (٩٧٠- ٩٧٢)، وتم البناء وأقيمت الصلاة فيه لأول مرة فى السابع من رمضان عام ٣٦١هـ- ٢٢ من يونيو عام ٩٧٢م ولم يلبث أن صار هذا المسجد هو المسجد الرسمى لدولة الفاطميين، وبعد تسعة أشهر من افتتاحه أخذ الناس يتلقون فيه عقائد المذهب الفاطمى.

وكانوا يجتمعون كل يوم جمعه فيما بين صلاة الظهر وصلاة العصر، وعلى رأسهم الوزير أبو يعقوب قاضى الخندق (خطط المقريزى ج٥- ص٤٩) ومنذ عهد الخليفة العزيز بالله الفاطمى بنيت الأروقة حول الأزهر، وصارت جزءًا منه، وفرشت بما يلزم من الفرش، وصارت مساكن يقيم بها الطلاب، وفى مقدمتهم الطلاب الوافدون على الأزهر من أنحاء العالم الإسلامى ومن شتى مدن مصر الفاطمية.

وكان نظام الحلقات الذى كان متبعًا فى تلك الحقبة من الزمن هو النظام الوحيد للدراسة فى الجامع الأزهر، وهو أساس الحياة العلمية والثقافية فى مصر. وكان لكل مذهب من المذاهب الأربعة عمود معين من أعمدة الجامع لا يجلس فيه إلا أهل هذا المذهب، وكان شيخ المذهب حريصًا على أن تكون حلقته العلمية بجوار هذا العمود، وكان من عادته فى أثناء إلقاء الدروس أن يجلس على الأرض بجوار العمود مستقبلا القبلة، ثم صار أخيرًا يجلس على كرسى من الخشب أو الجريد، وصارت تلك الكراسى من أخص امتيازات كبار العلماء فيه، ومن ذلك أخذت الجامعات نظام الأساتذة ذوى الكراسى، وكان الطلبة يجلسون حول أستاذهم على هيئة حلقة ولكل طالب مكان فى الحلقة لا يتعداه. وكان فى الحلقة طالب من أنبه طلابها يكلفه الأستاذ بإعادة درسه على زملائه وبقراءة الموضوع العلمى للدرس فى مختلف مصادره، وسمى هذا الطالب معيدًا، وعن الأزهر أخذت الجامعات نظام المعيدين أيضًا. وكانت طريقة التعليم إذ ذاك هى أن يبدأ الشيخ درسه بالبسملة والحمد لله والصلاة على رسول الله ﷺ، ثم يلخص موضوع درسه، ثم يقرأ النصوص التي كتبت حوله فى مختلف المصادر، ويقوم الطلاب بسؤال أستاذهم فى كل ما غمض عليهم، ويستمر الحوار والمناقشة والأسئلة والإجابة عنها طول الدرس بين الأستاذ وطلبته!

***

ولا ننسى أنه بعد انتهاء الدولة الفاطمية، وتولى صلاح الدين الأيوبى حكم مصر عام ٥٦٧هـ. أفتاه قاضيه صدر الدين بن عبد الملك بن درباس الشافعى بامتناع إقامة خطبتين فى بلد واحد كما هو مذهب الإمام الشافعى، فأبطل صلاح الدين الخطبة والتدريس فى الجامع الأزهر، وأقر الخطبة فى الجامع الحاكمى بحجة أنه أوسع، ثم أعيدت إلى الأزهر الدراسة، وكان أول ما درس فيه من مذاهب أهل السنة مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه، ثم درست المذاهب الأخرى على التتابع، فلما تولى الملك الظاهر بيبرس حكم مصر عام ٦٥٨هـ لم يلبث أن أعاد الخطبة إلى الجامع الأزهر عام ٦٦٥هـ- ١٢٦٦- ١٢٦٧م.

وزاد بيبرس فى بناء الجامع وشجع العلم والتعليم فيه، وأقام الأمير عز الدين أيدمر الحلى احتفالا رسميًا عظيمًا فى الجامع الأزهر، ابتهاجًا بعودة الخطبة إليه، كما أقام احتفالاً عظيمًا آخر فى داره حضرهما رجال الدولة وقادتها، وكان هذا الأمير يجاور الأزهر بسكناه، وتبرع له بالكثير من ماله الخاص، وجمع له الكثير من التبرعات من الدولة ومن الأمراء، وأخذ فى ترميم مبانيه، وفى عمارته.

ولقى الأزهر من عناية الشعب الشىء الكثير فعاد إلى حلقاته العلمية الازدهار والجلال، وبخاصة بعد أن دمر المغول فى غزواتهم كل معاهد العلم فى العالم الإسلامى، وبعد أن قضى الأسبانيون على المدارس الإسلامية فى الأندلس، ولم يبق فى العالم الإسلامى على رسالة العلم والثقافة وبناء الحضارة غير الأزهر الشريف.

ولما فتح سليم الأول العثمانى مصر، أخذ يظهر التودد إلى العلماء، والرعاية للأزهر، ويكثر من زيارته والصلاة فيه، وأمر بتلاوة القرآن به، وتصدق على فقراء طلابه.

وفى عام ١٠٠٤هـ- ١٥٩٥م جدد الأزهر والى مصر العثمانى الشريف محمد باشا فى عهد السلطان العثمانى محمد الثالث، ورتب لطلبته الفقراء طعامًا يجهز لهم كل يوم، فكان ذلك حافزًا كبيرًا على زيادة الإقبال عليه.

ولم يكن للأزهر قانون معين، حتى عام، ١٢٨٨هـ- ١٨٧٢م، ففى هذا العام، وفى عهد شيخه الشيخ محمد العباسى وضع قانون للتدريس فى الأزهر صدر به مرسوم خديوى بتاريخ ٢٢ من ذى القعدة عام ١٢٨٧هـ- ٣ فبراير ١٨٧٢م- نص فيه على ما يلى:

١- أن يكون الحصول على شهادة العالمية بامتحان يجرى على يد لجنة من العلماء يختارهم شيخ الجامع.

٢- أن يقسم العلماء إلى درجات ثلاث: أولى وثانية وثالثة.

٣- أن تكون العلوم التى يمتحن فيها الطلاب هى: الفقه -الأصول- التوحيد- الحديث- التفسير- النحو- الصرف- البلاغة- المنطق.

ولم يكن يسمح بدخول الامتحان إلا لستة من الطلاب، فإذا ازداد العدد يرجح منهم من امتاز بالشهرة أو بكبر السن.

وفى عام ١٣١٢هـ- ١٨٩٥م فى عهـد الخديو عباس الثـانى وضع قانون جديد للأزهر، ألف بمقتـضاه مجلس لإدارة الأزهر من أكابـر شيوخه الممـثلين للمذاهب الأربعة، ومن ممثل للحكومة.

ولا ننسى أن أقدم أسـاتذة الأزهر كان هو القاضى أبو الحسن على بن الـنعمان (-٣٧٤هـ) فهو أول أستاذ ألقى درسًا فى الأزهر- ثم تلاه أخوه القاضى محمد بن النعمـان ـ(٣٨٩هـ-٩٩٩م)- ثم ابنه الحسـين بن النعمـان قاضى الحـاكم بأمر الله الفاطمى.

ومن أساتذته أبو عبد الله القضاعى الفقيه والمؤرخ -(٤٥٤هـ- ١٠٦٢م)- وكان هو سفير المستنصر بالله الفاطمى إلى قيـصرة القسطنطينية «تيودورا» لعقد صلح بين مصر والامبراطورية الرومانية الشرقية، ومن كتبه «المختار فى ذكر الخطط والاثار».

ومن الأساتذة كـذلك الأميـر المختـار عز الملك محـمد المشـهور بالمسـبحى - (٤٢٠هـ- ١٠٢٩م) وهو من أقطاب العلماء ومشهـوريهم وله كتاب بعنوان «أخبار مصر وفضائلها».

ومنهم كذلك الشاطبى (٥٣٨-٥٩٠هـ- ١١٩٤م) إمام القراءات فى عصره.

وممن قام بالتـدريس فى الأزهر المؤرخ عبد اللطيف البغـدادى (-٦٢٩هـ)، وقد قدم على مصـر عام ٥٨٩هـ- ١١٩٣م، وتولى التدريس بالأزهر أعـوامًا عدة، فى مواد الكلام والبيان والمنطق، كما ألقى بعض دروسه الطبية فى حلقات خاصة.

وكذلك الشاعر الشيخ الصوفى الكبير شرف الدين عمر بن الفارض (-٦٣٢هـ- ١٢٣٤م)، وابن خلكان شمس الدين (-٦٨٠هـ- ١٢٨١م) الذى وفد على القاهرة عام ٦٣٧هـ- ١٢٣٩م.

وكذلك ابن هشـام إمام العربيـة فى مصر (-٦٤٦هـ)، وشـيخ المؤرخين ابن خلدون (-٨٠٨هـ- ١٤٠٦م). ولما قـدم ابن بطوطة إلـى مصـر عـام ٧٢٦هـ-

١٣٢٥م زار الأزهر، وتعرف بعلمائه وذكر بعضهم، ومنهم: قوام الدين الكرمانى -شرف الدين الزواوى المالكى- شمس الدين الأصبهانى (راجع الرحلة لابن بطوطة ص ٢٥).

وكذلك ممن درسوا فى الأزهر ابن حبان الغرناطى العالم اللغوى المشهور، حيث كان يلقى دروسه فيه.

وكذلك المؤرخ المشهور تقى الدين المقريزى.

ومنذ أواخر القرن الثامن قلما نجد شيخًا مشهورًا أو أستاذًا كبيرًا، لم يأخذ مجلسه فى الأزهر، وبحسبنا أن ابن خلدون شيخ المؤرخين اتخذ حلقة علمية له فيه، وكان تدريسه فى الأزهر وجلوسه فى حلقاته العلمية، حدثًا علميًا كبيرًا.

وممن درسوا فيه كذلك: تلميذ ابن خلدون المؤرخ المشهور العلامة المغربى محمد تقى الدين الفاسى (-٨٤٢هـ).

ومن شيوخه كذلك: الإمام شهاب الدين بن عبد الحق السنباطى (-٩٥٠هـ ١٥٤٣م)، والشيخ الخراشى المالكى شيخ الجامع الأزهر (-١١٠١هـ- ١٦٨٩م)، والشيخ إبراهيم بن محمد البرماوى (-١١٠٦هـ- ١٦٩٥م) وكان من شيوخ الأزهر الشريف، والشيخ حسن بن على الجبرتى (-١١١٦هـ- ١٧٠٤م) وهو جد المؤرخ الشيخ عبد الرحمن الجبرتى.

ومنهم كذلك العلامة المغربى شهاب الدين المقرى (-١٠٤١هـ ١٦٣٣م) وقد وفد على مصر عام ١٠٢٧هـ- ١٦١٨م ومنذ ذلك التاريخ لازم التدريس فى الجامع الأزهر، وأقبل على حلقته العلمية الأساتذة والطلاب.

ومنهم كذلك الشيخ الإمام الصوفى عبد الغنى النابلسى الذى زار مصر عام ١١٠٥هـ، والذى تصدر حلقة علمية من حلقاته، وكذلك مرتضى الزبيدى اليمنى صاحب شرح القاموس، وكان من كبار العلماء فى الحديث واللغة والأدب، وكتابه «تاج العروس من جواهر القاموس» مشهور، وقد ترجم له تلميذه الجبرتى فى تاريخه (٢ ص ٢٠٨-٢٢٠ عجائب الاثار للجبرتى).

ومن أعلام شيوخه ومدرسيه الإمام محمد عبده (-١٩٠٥م) مفتى مصر، ومصلح الأزهر، ومنشىء مكتبته، وواضع أهم قوانينه. وكان يلقى دروسه فى التفسير فيه فى الرواق العباسى.

وممن تخرجوا فيه أو درسوا فيه طائفة كبيرة من أعلام نهضة مصر، ومنهم الزعيم أحمد عرابى، وسعد زغلول، وعبد الله فكرى باشا (-١٨٨٩م)، والمنفلوطى (-١٩٢٤م)، والشيخ محمد شاكر (-١٩٣٩م)، والشيخ عبد العزيز البشرى (-١٩٤٣م)، والشيخ أحمد الزين، ود. زكى مبارك (-١٩٥٢)، وطه حسين، وأحمد حسن الزيات، وغيرهم.

ومن أعلام المتخرجين فيه كذلك: الشيخ عبد الهادى نجا الأبيارى (-١٨٨٨م) -والشيخ حسين المرصفى (-١٨٨٩م)، والشيخ حمزة فتح الله (-١٩١٨م)، والشيخ سيد المرصفى (-١٩٣١)، وغيرهم.

***

وقد تولى مشيخة الجامع الأزهر منذ العصر العثمانى إلى اليوم ثمانية وأربعون شيخًا، أولهم الشيخ محمد بن عبد الله الخراشى المالكى المتوفى فى ١٧ من ذى الحجة عام ١١٠١هـ.

ومنهم: الشيخ البرماوى (-١١٠٦هـ) والنشرتى (-١١٢٠هـ)، والشيخ عبد الله الشبراوى إمام الصوفية فى عصره (١٠٩٢- ١١٧١هـ) ومنهم الشيخ عبد الله الشرقاوى الشافعى (١١٥٠- ١٢٢٧هـ: ١٧٣٧-١٨١٢م) والشيخ حسن العطار (-١٢٥٠هـ)، والشيخ مصطفى العروسى، والشيخ محمد العباسى المهدى، والشيخ محمد الإنبابى، والشيخ حسونة النواوى، والشيخ عبد الرحمن النواوى، والشيخ سليم البشرى المتوفى فى ١٧ من أكتوبر عام ١٩١٧م، والشيخ أبو الفضل الجيزاوى ثم الشيخ المراغى، والشيخ الأحمدى الظواهرى، والشيخ المراغى للمرة الثانية حتى توفى عام ١٩٤٥، ثم الشيخ مصطفى عبد الرازق (-١٩٤٨)، فالشيخ مأمون الشناوى، فالشيخ إبراهيم حمروش، فالشيخ عبد المجيد سليم، فالشيخ محمد الخضر حسين، فالشيخ عبد الرحمن تاج، فالشيخ محمود شلتوت، فالشيخ

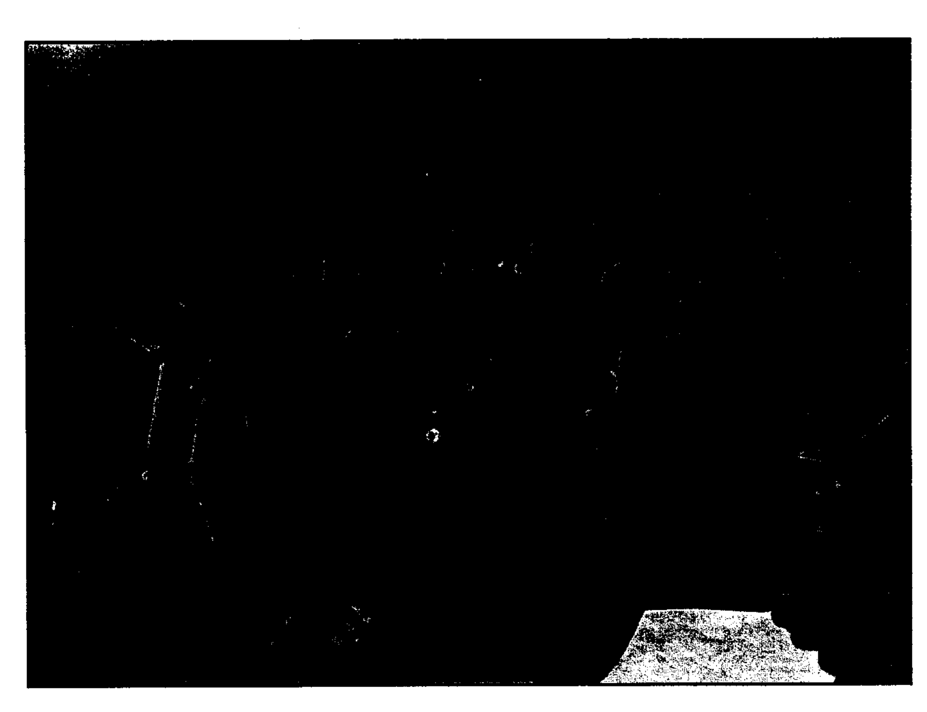
حسن مأمون، فالشيخ محمد الفحام، فالشيخ عبد الحليم محمود، فالشيخ محمد عبد الرحمن بيصار شيخه الذى تولى مشيخة الأزهر.

ولا ننسى ثورات الأزهر الوطنية، ثورة الشيخ الدردير التى وضعت أول ميثاق لحقوق الإنسان، وثورة الشيخ عبد الله الشرقاوى التى ألزمت الحكام المماليك بالعدالة فى معاملة الشعب، ثم الثورة العرابية، وثورة عام ١٩١٩، وهما اللتان أيدهما الأزهر وشارك فيهما مشاركة فعالة... ولا ننسى كذلك ثورة القاهرة الأولى والثانية التى قام بها الأزهر من أجل تحرير مصر من الاحتلال الفرنسى.

وبعد، فهذا هو الأزهر، وهذا هو تاريخه الحافل، فى بناء الثقافة والفكر والحضارة فى مصر الإسلامية، بل فى العالم الإسلامى كافة. ولا يزال الأزهر يتصدر حتى اليوم الجامعات الإسلامية فى العالم الإسلامى.

وسوف تحتفل مصر الخالدة بالعيد الألفى للأزهر بعد شهور قليلة، لتقدم باسمها وباسم العالم الإسلامى لهذه الجامعة العريقة كل عرفان بالفضل، وتقدير للصنيع، على ما قام به طوال ألف عام من بناء للفكر وللوطن وللإنسان.

❁❁❁



أمام القبلة القديمة تعقد هذه الحلقة كل يوم لطلاب
الدراسات الإسلامية فى الجامع الأزهر الشريف

ترجمة القرآن الكريم

اقترح شيخ الأزهر الشيخ محمد مصطفى المراغى ترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغات العالمية وتتقدم بها مشيخة الأزهر بمساعدة وزارة المعارف وأن يقرر مجلس الوزراء المصرى الاعتماد اللازم لذلك المشروع الجليل.

وذلك فى خطاب بعث به الشيخ المراغى إلى رئيس مجلس الوزراء فى مصر.

وقد ناقش المشروع كثير من الناس، وكتب الشيخ محمد سليمان القاضى الشرعى كتابًا بعنوان «حدث الأحداث فى الإسلام الإقدام على ترجمة القرآن»، وأخرج محمد مصطفى الشاطر كتابه «الرد على مشروع ترجمة القرآن الكريم».

فأصدرت جماعة كبار العلماء فى الأزهر الشريف فتوى بإجازة ترجمة معانى القرآن الكريم، وقع عليها الأعضاء، وهم:

- محمود الدينارى شيخ معهد طنطا.
- عبد المجيد اللبان شيخ كلية أصول الدين.
- إبراهيم حمروش شيخ كلية اللغة.
- محمد مأمون الشناوى شيخ كلية الشريعة.
- عبد المجيد سليم مفتى مصر.
- محمد عبد اللطيف الفحام وكيل الأزهر.
- دسوقى عبد الله العربى.
- يوسف الدجوى.
- محمد سبيع الذهبى شيخ الحنابلة.
- أحمد الدلبشانى.
- عبد المعطى الشرشيمى.

- عبد الرحمن قراعة.

- أحمد نصر.

- محمد الشافعى الظواهرى.

وبعد ذلك أصدر مجلس الوزراء قراراً بالموافقة على ترجمة معانى القرآن الكريم ترجمة رسمية فى جلسته المنعقدة فى ١٦ أبريل ١٩٣٦م.

❁❁❁

الشيخ المراغى[1]

هو الشيخ محمد مصطفى المراغى، ولد فى مراغة أحد مراكز سوهاج فى مارس ١٨٨١، بدا رحلته التعليمية بحفظ القرآن الكريم، ثم ذهب إلى طهطا لمواصلة العلم واتجه بعدها إلى الأزهر الشريف وحصل منه على العالمية فى عام ١٩٠٤، اشتغل فى مستهل حياته الوظيفية بالسودان، وقد عين قاضيًا فى دنقلة فى نفس السنة التى تخرج فيها من الأزهر، ثم عين قاضيًا لمديرية الخرطوم فى ديسمبر ١٩٠٦ ورقى بعدها ليشغل وظيفة قاضى القضاة فى ديسمبر ١٩٠٨ وهو أكبر منصب قضائى فى السودان كله، نظم خلاله القضاء الشرعى بالقطر الشقيق. ثم نقل إلى مصر فى سبتمبر ١٩١٩، وظل يرقى المناصب القضائية إلى أن عين رئيسًا لمحكمة مصر الشرعية العليا فى عام ١٩٢٣ مما أتاح له أن ينهض بقانون الأحوال الشخصية بعد أن أعجب الناس به، واستطاع أن يأخذ من التشريع الإسلامى من غير تقيد بمذهب، ولمس الناس أثر إصلاحاته الكبرى.

ثم حاول القيام بأخطر مهمة فى تاريخ الأزهر وذلك عن طريق تطويره وإصلاحه ومسايرته لروح العصر إذ عين شيخًا للجامع الأزهر فى مايو ١٩٨٢. بدأ عمله بنهج طيب مفاده أن يحفظ للخريج مكانته. إذ أرادت وزارة الأوقاف منذ عام مضى (أى فى عام ١٩٢٧) إنشاء مدرسة الوعظ والإرشاد، لأنها ظنت أن علماء الأزهر غير قادرين على تأدية هذه المهمة.

وكان لهذه المدرسة مخصصات فى ميزانية ١٩٢٨. فتدخل الشيخ متعللاً بأنه فى الإمكان الاستغناء عن تلك المدرسة بعد إصلاح الأزهر، وكان بالفعل قد سار شوطًا فى هذا المجال. فكتب مذكرته الإصلاحية الشهيرة -والتى تعتبر بحق دستور الإصلاح فى الأزهر الحديث- ضمنها آراءه وأفكاره وخلاصة تجاربه، وأهم ما جاء فيهم تقسيم القسم العالى بالأزهر إلى كليات ثلاث: كلية أصول الدين والشريعة واللغة العربية وإنشاء قسم للدراسات العليا يسمى تخصص المادة، ثم بعض المواد فى كيفية إدارة الأزهر.

---

(١) إضافات لما سبق ليظل كما هو حرصًا على أمانة التحقيق فى الطبعتين السابقتين.

وانقسم الأزهر أمام تلك الآراء إلى قسمين: مؤيد ومعارض، وقف الملك فؤاد بجانب الفريق المعارض، للخلاف الناشىء بينه وبين المراغى فى بعض مواد القانون فقدم استقالته من مشيخة الأزهر، وبالرغم من قصر المدة التى قضاها وهى لا تتعدى أربعة عشر شهرًا، إلا أنها كانت فترة حافلة بآثارها ونتائجها. فقد كان لآرائه وقع كبير فى نفوس كل من العلماء وطلبة الأزهر، يدل على ذلك أن قام الأزهريون عن بكرة أبيهم شيوخًا وطلابًا فى مظاهرة من العنف والشدة ومن ورائهم الأمة جمعاء، وليس لهم من مطلب سوى عودة الشيخ إلى الأزهر ليواصل المسيرة الإصلاحية، فرضخ المسئولون وعلى رأسهم الملك لمطلب الشعب وعاد الشيخ إلى الأزهر.

فسكنت نفوس الأزهريين وأرادوا التعبير عن ولائهم له والسرور بعودته فأقاموا لتلك المناسبة حفلاً لتكريمه بأرض المعرض الزراعى احتشد فيه أكثر من ثلاثين ألف رجل من جميع فئات الشعب، وحضره بعض الأمراء ورجال الفكر والسياسة فى العالم.

وقد صدرت الصحف صباح الحفل تشيد بنظامه ومما ألقى فيه من خطب وقصائد، وتهنىء الشيخ وتغبطه على مقامه فى الأزهر وفى الأمة، حتى لقد قال بعض رجال الصحافة: لم يشهد العالم لا فى أوروبا ولا فى مصر حفلاً اجتمع له من أسباب الروعة والنجاح مثلما اجتمع لذلك الحفل العظيم.

عاد الشيخ إلى الأزهر مرة ثانية ليواصل ما بدأه من إصلاح، وكان الإصلاح فى نظره يقوم على ركنين: تخريج العالم الكفء الذى يصلح لتأدية رسالة الأزهر وهى نشر الدين فى مصر وغيرها، والثانى كفالة المستقبل لخريجى الأزهر ليحتفظوا بكرامتهم ويؤدوا رسالتهم. ولتحقيق الركن الأول أضاف إلى العلوم التى كانت تدرس فى الأزهر علومًا رآها ضرورية، كما أضاف إليها بعض اللغات الأجنبية، ولتحقيق الركن الثانى، بين فى القانون حقوق الخريجين فى كل كلية من وظائف الدولة. وأخذ الشيخ يواصل خطواته فى إصلاح الأزهر، فأوفد بعثات أزهرية إلى أوروبا، وأنشأ قسم الوعظ والإرشاد ووضع مشروع مبانى المدينة الأزهرية التى تجمع كلياته ومعاهده ومكتبته العامة ومساكن للطلبة، وأنشأ لجنة الفتوى بالأزهر

فأصبحت منارة للمسلمين من سائر أنحاء العالم الإسلامى فى شئونهم الدينية. وقد أحيا فى عهد مشيخته الثانية سنة علمية دينية قديمة وذلك بإلقاء كبار العلماء دروسًا للملوك والأمراء، فأخذ يلقى على الملك فاروق وكبار رجال الدولة وجمهرة من الشعب دروسًا فى تفسير القرآن الكريم فى عصور وأمسيات كل جمعة من رمضان مدة عشر سنوات بأسلوب مبتكر فى التفسير آثار إعجاب العالم الإسلامى كله.

أما عن مواقفه السياسية والوطنية فهى أكثر من أن تحصى، وإن كان لابد لنا من أن نعدد جانبًا منها، فعلينا أن نسرد التالى: حدث بعد تخرجه فى الأزهر أن عين قاضيًا للسودان ثم غضب عليه الإنجليز، فعاد إلى مصر وعين مفتشًا فى المساجد، وبعد ذلك عرض عليه الإنجليز مرة أخرى منصب قاضى قضاة السودان، وبذلك يقفز مرتبة من ٦ جنيهات إلى ٤٥ جنيها فقال: إنه يوافق على ذلك بشرط أن يعين بمرسوم مصرى -ديكريتو- فاستدعاه اللورد كتشنز العميد البريطانى فى ذلك الحين وقال له: كيف تشترط هذا ونحن نرفع مرتبك إلى أكثر من سبعة أضعاف مرتبك الحالى؟ فقال فضيلته: «لن أقبل التعيين إلا إذا عينت بمرسوم مصرى فسن بذلك سنة أجبرت عليها بريطانيا، بأن صار تعيين قاضى قضاة السودان بموجب مرسوم ملكى مصرى.

وكان للشيخ أثناء عمله بالسودان موقف مشرف تجاه ثورة الشعب المصرى عام ١٩١٩، فقد روى ضباط الجيش المصرى الموجودون بالسودان روايات كثيرة عن وطنيته آنذاك. حيث قاد الثورة المصرية فى السودان بخطبه الثورية الفوارة، وظل الشيخ وهو بالسودان يرقب أحداث الثورة المصرية وتطورها ويوجه المصريين وجهة الخير، وكان قطبهم الذى يدورون حوله. وكان يجمع من المصريين والسودانيين، التبرعات المالية للإنفاق منها على بعض نواحى الثورة كاسعاف الجرحى ومواساة أسر المنكوبين، مما جعل وجوده فى السودان خطرًا مستفحلاً على النفوذ الإنجليزى به، فتخلصوا من الشيخ وسافر إلى مصر.

ومن أشهر مواقفه السياسية ما كان منها أثناء نشوب الحرب العالمية الثانية، فقد هاله وروّعه ما أحدثته غارات دول المحور على مدن مصر من دمار وخراب وتقتيل

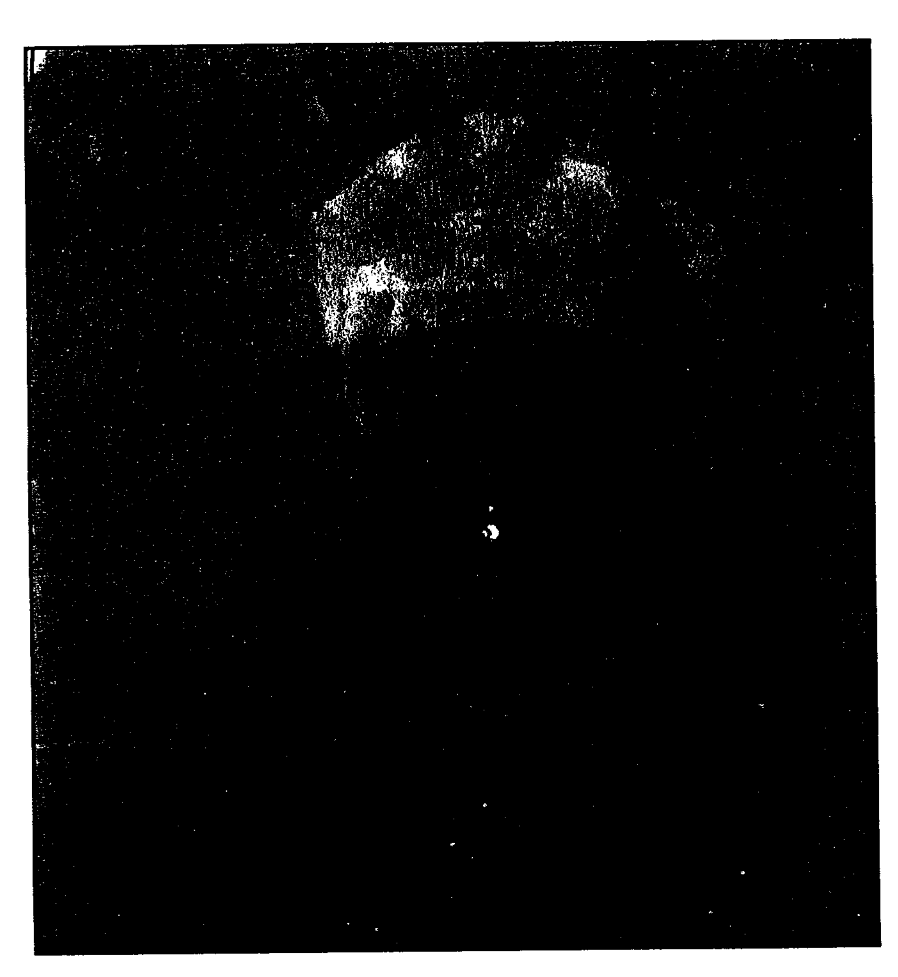
وتشريد للأنفس البريئة، فخطب فى مسجد الرفاعى خطبة بليغة أعلن موقف مصر منها، وأنهـا لا مصلحة لها فـيها فى الاشتـراك فى الحرب ولا ناقة لها فـيها ولا جمل. ولقد أحدثت تلك الخطبة ضجة هائـلة وقامت لها الحكومة المصرية وقعدت واهتزت لها الحكومـة الإنجليزية بعنف. وطلبت إلى الحكومة المصرية بيان مـوقفها من هذه الفكرة، واتصل به رئيس الوزراء وخـاطبه فى لـهجة يفـوح منها رائـحة التهـديد، فثـارت ثائرته وقال له: مـثلك يهدد شـيخ الأزهر وشيـخ الأزهر أقوى بمركزه ونفوذه بين المسلمـين من رئيس الحكومة؟ ولو شئت لصعدت منبـر الحسين وأثرت عليك الرأى العـام، ولو فـعلت لوجـدت مكانك على الـفور بين عـامـة الشعب.

هذه لمحة سريعـة عن بعض مواقفه الوطنية، ومجـمل القول كان الرجل طرازًا فريدًا من نوعـه اعتمد على حب الشـعب له، فبادله الشعب حـبًا بحب، ولذلك بكته مصـر والعالم الإسلامى عند وفاته فى ٢٢ أغـسطس سنة ١٩٤٥ إذ خرجت مئات الآلاف لتوديع رجلها الذى كانت تحس به[١].

❁❁❁

---

(١) جريدة التعاون مارس ١٩٧٥.



الدكتور محمد السعدى فرهود

رئيس جامعة الأزهر

شيخ جامعة الأزهر الحالى
الدكتور محمد السعدى عوض فرهود

علم من أعلام الأزهر المعاصرين، وشيخ جليل من كبار شيوخه.

ولد بمدينة الزرقا بمحافظة دمياط فى أول يناير سنة ١٩٢٣، وحصل على الابتدائية الأزهرية من معهد دمياط سنة ١٩٣٩، وعلى الثانوية من معهد الزقازيق الأزهرى سنة ١٩٤٤، وتخرج فى كلية اللغة العربية سنة ١٩٤٨، وحصل على دبلوم معهد التربية العالى للمعلمين سنة ١٩٥٠، ودبلوم الدراسات العليا للمعلمين سنة ١٩٥٤، ودورة الصحافة المدرسية سنة ١٩٥٦، ودبلوم معهد الدراسات العربية العالية فى الدراسات الأدبية واللغوية سنة ١٩٥٦م، والماجستير بتقدير ممتاز فى الدراسات الأدبية سنة ١٩٥٨، والدكتوراه فى الأدب العربى الحديث سنة ١٩٦٧ بمرتبة الشرف الأولى.

بدأ وظيفته مدرسًا بمدرسة سوهاج الثانوية سنة ١٩٥٠، ثم اختير للتدريس بالمدارس النموذجية سنة ١٩٥٤، وهو أول مدرس للغة العربية بالمدرسة الثانوية النموذجية للمتفوقين سنتى ١٩٥٦، ١٩٥٧.

شغل عدة وظائف أخرى منذ سنة ١٩٥٧ منها:

عضو فنى وباحث بإدارة البحوث الفنية والمشروعات بوزارة التربية والتعليم (١٩٥٧).

عضو فنى ووكيل إدارة قسم آسيا بالسكرتارية الفنية للجنة العليا للعلاقات الثقافية الخارجية بوزارة التعليم العالى (١٩٥٩).

مدير مساعد المركز الثقافى العربى بالرباط بالمملكة المغربية (١٩٦٠).

مدير إدارة الخطة بوزارة العلاقات الثقافية الخارجية (١٩٦٤).

مستشار بوزارة الإرشاد القومى (١٩٦٦).

عضو مكتب وزير الدولة لشئون الأزهر (١٩٦٦).

انضم إلى هيئة التدريس فى قسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٦٨، ثم رقى أستاذًا للأدب والنقد فى التاسع من مارس سنة ١٩٧٧م.

اختير وكيلا لكلية اللغة العربية بأسيوط سنة ١٩٧٣، ووكيلاً فعميدًا لكلية اللغة العربية بالمنصورة سنة ١٩٧٦ حيث شارك فى إنشائهما ووضع أسس العمل بالكليات الإقليمية الناهضة بجامعة الأزهر.

انتدب فى سبتمبر سنة ١٩٧٩ وكيلا لجامعة الأزهر للدراسات العليا والبحوث وفى أغسطس سنة ١٩٨٠ عين نائبًا لرئيس الجامعة لشئون الدراسة والتعليم والطلاب.

عين وكيلاً للأزهر -بدرجة وزير- فى ١٦/ ٢/ ١٩٨١. وهو أول وكيل للأزهر يعين بهذه الدرجة.

* عين رئيسًا لجامعة الأزهر فى أول سبتمبر ١٩٨٣.

نشاطه:

* عضو المجلس الأعلى للجامعات بمصر.
* عضو مجمع البحوث الإسلامية.
* عضو مجلس أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا.
* عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
* عضو نائب رئيس رابطة الجامعات الإسلامية.
* عضو المجلس القومى للتعليم والبحث العلمى.
* عضو المجلس القومى للثقافة والآداب والفنون.
* عضو مجلس اتحاد الإذاعة والتلفزيون بمصر.
* رئيس اللجنة الدينية باتحاد الإذاعة والتلفزيون.
* رئيس مجلس إدارة مركز صالح عبد الله كامل للدراسات والبحوث الاقتصادية بجامعة الأزهر.

* رئيس مجلس إدارة المركز الدولى الإسلامى للبحوث السكانية بجامعة الأزهر.

* أشرف على أكثر من ٦٠ رسالة ماجستير ودكتوراه، وناقش أكثر من مائة وخمسين رسالة جامعية فى الدراسات الأدبية والدينية والتربوية.

- أستاذ غير متفرغ بكلية اللغة العربية بالمنصورة للإشراف على الدراسات العليا بها منذ تعيينه وكيلا للأزهر.

* مقرر اللجنة العلمية الدائمة للترقية إلى وظائف الأساتذة بجامعة الأزهر.

- بدأ منذ أول يناير سنة ١٩٨٣ تفسير القرآن الكريم فى برنامج يومى بإذاعة القرآن الكريم من القاهرة تحت عنوان (على هامش التلاوة) والبرنامج مستمر.

مؤلفاته:

- له عدة مؤلفات فى الدراسات الإسلامية والأدبية منها:

- **فى البيان القرآنى:**

١- تفسير سورة الرعد.

٢- وتفسير سورة إبراهيم.

- **فى الحديث النبوى:**

١- التعريف بالحديث الشريف.

٢- وفى رحاب الهدى النبوى.

٣- والهدية السعدية فى شرح الأربعين النبوية.

- **فى الدراسات الأدبية:**

١- ابن زيدون وشعره.

٢- والوصف فى شعر المتنبى.

٣- والاتجاهات الفنية فى شعر عبد الرحمن شكرى.

٤- والتيار الفكرى فى شعر شكرى.

٥- والتيار الاجتماعى فى شعر شكرى.

٦- والنديم الأديب.

٧- والنبع الصافى.

٨- والكوثر العذب.

- فى الدراسات النقدية:

١- اتجاهات النقد الأدبى العربى.

٢- وقضايا النقد الأدبى.

٣- والمذاهب النقدية بين النظرية والتطبيق.

٤- ونصوص نقدية لأعلام النقاد العرب.

- فى الدراسات البلاغية:

١- أسرار البلاغة فى التشبيه والتمثيل.

٢- ومبحث التقديم فى دلائل الإعجاز.

٣- والعبارة وتأليفها بين كتابى نقد النثر والبرهان.

- فى الدراسات اللغوية:

١- فن القريض.

٢- ومن أدب الكاتب.

وأتم تفسيراً كاملاً للقرآن الكريم فى عدة أجزاء كبيرة.

❁❁❁

الإمام نافع الخفاجى الكبير

١٢٥٠هـ- ١٨٣٤م- ١٣٣٠هـ- ١٩١٢م

إمام كبير، وعالم جليل، وأديب نابغة، وفقيه مجتهد، تحدث عنه مصادر واسعة تحدثنا عنه فى إفاضة وسعة ودقة تحقيق وتحليل.

ترجم لنفسه فى صدر معلقته الخفاجية ترجمة طويلة مستفيضة سننقل عنها فى إيجاز واختصار، قال: «نافع الخفاجى بن الجوهرى بن سليمان بن حسن بن مصطفى بن أحمد الخفاجى التلبانى من بنى خفاجة وأمى من أولاد الحسن بن على بن أبى طالب، وجدتى أم والدى من بنى شاكر ولهم اتصال فى شرف الحسب.

«وكان مولدى فى حدود سنة ١٢٥٠هـ، «وكنت بعد سن التمييز فى مغرس طيب النبت عزيز، فى حجر والدى، ممتعًا بذخائر طريفى وتالدى، مربى بغذاء النعم فى الظاهر والباطن، فى النعيم المقيم بأرفع المساكن، ومقام والدى الجوهرى غنى عن المدح، والورق بأوكارها لا تعلم الصدح».

«وحفظت القرآن ولى دون اثنتى عشرة سنة، ثم حفظت المتون كمتن أبى شجاع ومنهج الفقه وألفية ابن مالك والأجرومية والرحبية والجزرية والجوهرة والسنوسية ومتن السلم وتحفة الميهى ومتن السمرقندية ومتن الزبد لابن رسلان وغيرها».

فلما درجت من عشى تركت تلك النعم المتكاثرة ورحلت فى طلب العلم إلى القاهرة».. «كان وصولى الأزهر أواخر سنة ١٢٧١هـ ثم فى أول سنة ١٢٧٢ حضرت ابن قاسم والكفراوى، وفى سنة ١٢٧٣ حضرت البرماوى والكفراوى أيضًا، وفى هذه السنة زلزلت الأرض والبلاد زلزلة عظيمة هدمت منها بعض البيوت والمآذن بمصر، وفى سنة ١٢٧٤ حضرت شرح الخطيب ثانيًا وشرح الأزهرية وحاشيته وشرح القطر. وفى هذه السنة توفى أخى محمد الغندور، وفى سنة ١٢٧٧ حضرت التحرير وشرح القطر ثانيًا وشرح الشذور».

«حضرت على سيبويه زمانه وعلامة عصره وأوانه شيخ الإسلام وتاج العلماء الأعلام شيخنا إبراهيم الباجورى طيب الله ثراه وجعل الفردوس مأواه، فحضرت دروسه فى المنهج والتحرير وكتب الحديث والتفسير، وهو الإمام الذى اقتدت به علماء الأمصار، وتنزهت من فضائله فى حدائق ذات بهجة وأنوار».

وقرأت على من رقى فى معارج الفنون مولانا الشيخ إبراهيم السقا شرح الجامع الصغير وشيئًا من كتب التفسير، وقرأت الفقه وشيئًا من الحديث على الشيخ محمد الأشمونى، وقرأت على شيخنا الخضرى شرح المنهج والتحرير والنحو والبيان، ونافست فى الجد والطلب جميع الإخوان، وقرأت على الشيخ مصطفى البدرى شيئًا من الفقه والنحو وغيرهما، وقرأت على الشيخ الرهابينى شيئًا من المنطق والنحو والبيان، وكتب لى بخطه أجازة (موجودة لدى صورتها الخطية)، وهى «تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام، المحى مآثر الأعيان، بنشر ثنائهم المخلد فى صحائف الأيام، والصلاة والسلام على أفضل الرسل الكرام، وعلى آله وصحبه ما طرز البرق برود الغمام أما بعد فقد سألنى الأخ فى الله تعالى الشيخ العالم العلامة نافع بن الجوهرى بن سليمان الخفاجى التلبانى أن أجيزه بجميع مروياتى من فقه وحديث وتفسير ونحو ومنطق وبيان وبديع وعروض من معقول ومنقول وإفتاء وتدريس وكل ما أخذته عن مشايخى الأجلة، لكونه وسمنى بسمة العلم ولست من أهله:

إذا كان الزمان زمان سوء فيوم صالح فيه غنيمة

فعلمت لباقته لذلك فقلت: أجزته بجميع مروياتى من مشايخى الأخيار، وما لهم من التآليف والآثار، وأوصيه بتقوى الله والوقوف على حدود شريعة رسول الله ﷺ، وأن يتحرى فى القول والعمل، وأن لا ينسانى من صالح دعواته، صانه الله وحماه، وقلد جيد مجده بفرائد حلاه».. وتاريخ هذه الإجازة جمادى الآخرة سنة ١٢٨٣هـ.

ونظرت فى كتب المذهبين: مذهب الشافعى والنعمان، مؤسسًا على الأصلين من مشايخ العصر، متنزهًا فى حدائق السحر، وشحا لأدابى بحلل النظم والنثر».

ومن أجل من أخذت عليه شيخنا الرافعى، قرأت عليه شرح الشفا وقطعة من البخارى فأجازنى بذلك» «وممن قرأت عليه الشيخ على الملبط، حضرت عليه طرفًا من العلوم وشيئًا من حديث الرسول فأمدنى بدعاء لا شك أنه على أكف القبول محمول، ومنهم الشيخ التجريدى كان ينوه باسمى ويفتح جريدته برسمى. ومنهم شافعى زمانه وعلامة أوانه الشيخ نور الدين المنوفى، حضرت دروسه الفقهية».

«وحمدت فى طلب العلم السرى، ونبهت عيون حظى من الكرى؛ وقلت: دار بدار، والعمر فرصة فالبدار. وكل ما تهواه حسن: وليس لما قرت به العين ثمن، ففارقت من فارقت غير مذمم. ويممت من يممت خير ميمم، وأخذت الفقه والنحو والتوحيد والفرائض والبيان والمنطق والتفسير والحديث عن جماعة من الشيوخ، وقد فتح الله على فى علوم الفقه والفرائض والتوحيد والتفسير والحديث والنحو والمنطق والبيان واللغة والعروض والإنشاء والطب والحساب، والحروف والأوقاف والتاريخ. . . ودون هذه: أصول الفقه والتصريف والاشتقاق والجدل والوضع، ودونها: القراءات ولم آخذها من شيخ: ولضيق يدى عن شراء ما أحتاج إليه من الكتب كنت أطالع كل ما أمكننى مطالعته».

ثم أذكر جملة أسماء الكتب التى قرأها على العلماء أو طالعها أو حفظها وكانت كثيرة جدًا تفوق على الألف كما يقول هو فى مقامته، ونلاحظ أن من الكتب التى قرأها فى فن العربية والأدب وما يتصل به هذه الكتب: الوسيلة الأدبية للمرصفى، حلبة الكميت؛ أساس البلاغة للزمخشرى، أدب الكاتب لابن قتيبة، صحاح الجوهرى، فقه اللغة، المزهر، المثل السائر، شفاء الغليل، الشفا فى بديع الاكتفاء للنواجى، تاريخ ابن خلدون؛ ابن خلكان، الخطط للمقريزى، حسن المحاضرة للسيوطى، نفح الطيب، الأغانى، الكامل لابن الأثير، الغناء فى دمشق الفيحاء، مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، آثار البلاد للقزوينى، الخصائص للسيوطى، المسامرات لابن عربى، فاكهة الخلفاء، فوات الوفيات، الخزانة، مقامات الحريرى وشرح الشريشى عليها، طراز المجالس للشهاب الخفاجى، الكشكول، الموازنة للآمدى، قلائد العقيان، ريحانة الألباب للشهاب الخفاجى، حديثة الأفراح، رسائل الخوارزمى والبديع، حياة الحيوان للدميرى، ثمرات

الأوراق، شرح رسالة ابن زيدون، ديوان الصبابة، المستطرف، الإنشاء للعطار، إنشاء مرعى ربيع الأبرار، شرح ديوان ابن الفارض، شرح لامية العجم، شرح ديوان امرئ القيس، سوى الدواوين الكثيرة التى قرأها، وذلك كله مما يوقفنا على يسر ثقافته الأدبية.

ثم قال: «ومصنفاتى فى هذا الوقت تبلغ الخمسين ولم يكن لى شغل بالليل والنهار سوى المطالعة.

ولدى الآن صورة خطية للأجازة العلمية التى كتبها له الشيخ الباجورى..

بدأها بالحمد والصلاة على الرسول فى إفاضة، ثم أفاض فى فضل العلم.. إلى أن قال:

«وإن ممن قدم علينا بمدينة القاهرة، التى هى بالمحاسن ظاهرة، وبأكابر العلماء زاهرة، وبمدارس العلوم عامرة، وروضتها بأنفاس أكابر العلماء عاطرة، وأشعة شموس علومهم بها باهرة، لاسيما الجامع الأزهر والمسجد الأنور، الذى فيه العلوم تقرر، وبساط العرفان ينشر، فهو بذلك عن كل المساجد متفرد، وبتلك الخصيصة مشهور لمن إليه يرد. تجنى من رياض دروسه ثمار العلوم، وتبنت -كما ينبت البقل- بأرضه الفهوم، فمحله فى الفضل غير منكور. ومهارة علمائه فى الفنون أمره مشهور:

العالم الفاضل الماهر الكامل، الألمعى اللوذعى، صاحب الأفهام الدقيقة، والمعانى الدقيقة، نافع الخفاجى التلبانى، وقد أخذ المذكور عن علمائه ومشاهير فضلائه؛ وتفيأ فى ظلال معارفهم، واقتطف أزهار لطائفهم، وتعطر بعبير أنفاسهم، واستضاء بمشكاة نبراسهم، حتى حصل من علمهم الجم، وغاص على تلك الآلىء فى ذلك اليم، وجد واجتهد، وحرر وقيد، فربحت تجارته وحسنت شارته وعظمت قائدته، وجلت عائدته، وامتلأ وطابه، وشرف بالانتماء إلى العلم انتسابه، ولما حن حنين الفحل إلى وطنه، وأراد الرجوع إلى وطنه؛ زودته بالدعوات الصالحات، ،وكسوته حلل الكرامة بتسطير الإجازات، رجاء الانتظام مع هؤلاء العداء، فقلت: أجزت المذكور بكل ما تجوز لى به الرواية، وما تلقيت عن أشياخى -ضاعف الله أجورهم- رواية ودارية، وبما لى من تأليف وتصنيف».

وتحمل هذه الإجازة هذا الأمضاء: «الفقير إبراهيم الباجورى- خادم العلم.

ومع هذه الوثيقة صورة أخرى لرجاء أساتذته: الشيخ الملط والشيخ البدرى والشيخ على محمد المرفوع إلى شيخ الجامع الأزهر لإعطاء «ولده الفقير خفاجى بن الجوهرى خفاجى من أهالى ناحية تلبانة بولاية الدقهلية تذكرة أسوة بأمثاله بإكرامه وعدم المعارضة له بطريق ما وإجازته بكل ما أفتى وما فعل، والعهدة علينا فى ذلك».

ويلى ذلك إجازة شيخ الأزهر له ومنها: «انتظم المذكور فى سلك العلماء وأخذ عن الشيوخ الموجودين فى هذا العصر بعضًا من العلوم؛ ودأب فى التحصيل فمنح دقائق الفهوم، فأجازه أشياخه بما أخذ عنهم وتلقاه منهم، ولما أراد الرجوع إلى وطنه التمس إجازته بما تجوز له روايته وينسب له عن أشياخه درايته، فسارعت لسؤاله، وبادرت لتحقيق آماله، فأجزته بما تجوز لى روايته من منقول ومعقول وما تنصرف إليه همم أرباب العقول، وعليه العمل بتقوى الله وأن لا ينسانى من دعواته إلخ».

وعاد الفتى الشاب العالم من القاهرة يحمل معه إجازته العلمية واستقر أخيرًا فى قريته.

لا نعلم فى أى تاريخ عاد من مصر إلى تلبانة، ولكنه على كل حال عاش فى البلدة ضجرًا ملولاً لجوها وللحياة فيها يقول فى مقامته:

فرجعت إلى بلدى فلم أجد بها أحد يحسن قراءة الفاتحة، وصرت فيهم غريب الفضل منفردًا كبيت حسان فى ديوان سحنون، ومازلت معتكفًا فى حرم المطالعة من كتاب قديم إلى كتاب جديد، حتى جذبتنى حاجة الحياة إلى مخالطة الجهال الأغمار.

وأخذ يطالع ويدرس ويؤلف وينظم الشعر، ويتصل برجال إقليم الدقهلية، وكان صوفيًا وخليفة السيد أحمد البدوى كما فى وثيقة مخطوطة عام ١٢٨٢هـ، وفيها يذكر مشايخه فى الطريقة أولهم عمر الصاوى المالكى الحفناوى.

وصار بعد قليل كبير العلماء فى هذا الإقليم وإمام الإفتاء فيه، والعلم المشار إليه بالبنان، وقصده الناس من كل جهة وحدب، وعاش مبجلاً بين الناس فى وسط بلده وأسرته.

تزوج أربع زوجات وخلف ذرية كبيرة صالحة، وكان ينفق فى حياته بسخاء على أُسَرِه الكبيرة الضخمة.

وأخيرًا وبعد جهاد طويل وعمر حافل بجلائل الأمور وعظائم الأعمال توفى عام ١٩١٢ الموافق سنة ١٣٣٠هـ عن ثمانين عامًا.

مؤلفاته:

اطلعت على فهرس لمكتبة هذا العالم الكبير المغفور له الشيخ نافع خفاجى بخطه فوجدته قد وضع الكتب فى مجموعات كل مجموعة بحسب الفن الذى ألفت فيه، فعلم الفقه وعلم الحديث وعلم التفسير، وعلم التاريخ، وكتب فى كل مجموعة ما له من مؤلفات فى هذا الباب، وقد جمعت ما ذكره من مؤلفاته ووضعت لها أرقامًا مسلسلة وهى:

١- الطب لنافع الخفاجى.

٢- رسالة الكيمياء لنافع.

٣- الألغاز لنافع وهو موضوع فى «مجموعة الحكم ومجموعة العلم والأمثال والألغاز والمسائل».

٤- مناسك الحج لنافع.

٥- مسامرات نافع.

٦- شرح كنز الطالبين فى التوحيد لنافع الخفاجى.

٧- العقد الفريد فى علم التوحيد لنافع الخفاجى.

٨- ديوان نافع الجوهرى فى الخطب والمواعظ.

٩- مجموعة خطب نافع مرتبة على حروف المعجم «وهى خطب دينية».

١٠- تحفة الأذكار لنافع الجوهرى «فى مجموعة الفضائل والأوراد».

١١- فضائل رمضان فى آية القيام لنافع الخفاجى.

١٢- فضل رمضان وفضل العيد لنافع الخفاجى.

١٣- أوراد نافع.

١٤- إعراب لاسيما.

١٥- الزهر الفائح «فى مجموعة التصوف والمواعظ».

١٦- عنوان المجاوبة لنافع الخفاجى «كتاب إنشاء».

١٧- إنشاء نافع خفاجى المجموع من الصحف.

١٨- إنشاء نافع فى المدائح وغيرها.

١٩- الهجاء لجامعه نافع الخفاجى.

٢٠- المراثى لجامعة نافع الخفاجى: فى مجموعة.

٢١- الاعراضات لجامعة نافع الخفاجى، الأدب.

٢٢- الإفادات لجامعه نافع الخفاجى، والإنشاء.

٢٣- الأرجوزة المفحمة فى المكاتبة والمخاصمة.

٢٤- تمرين القراء ودعاء الختم لنافع الخفاجى فى مجموعة علوم القرآن.

٢٥- السيرة النبوية لنافع الخفاجى.

٢٦- الفلسفة لنافع الخفاجى.

٢٧- الجغرافيا لنافع.

٢٨- كتاب الأمثال والحكم المنظومة لنافع.

٢٩- الكواكب الدرية فى المسائل الفقهية لنافع الخفاجى.

ومعظم هذه الكتب فقد مع مكتبته الكبيـرة التى فقد الكثير منها بعد وفاته فى حريق نكبت بـه البلدة. والباقى منها لا يزال غـير معـروف لى إلى هذا الوقت، وتوجد بقايا منهـا فى مكتبة ابنه الأستـاذ الكبير المرحوم الشيخ عـبد اللطيف نافع خفاجى ولم أطلع عليها للآن.

أما الكتب الموجودة لدى من مؤلفاته فهى:

١- رسالة تنوير الأذهان فى علم البيان تأليف نافع الخفاجى بن الجوهرى بن سليمان التلبانى الشافعى وهى دراسة واسعة للتشبيه والمجاز والاستعارة والكناية، وستتهيأ فى المستقبل القريب أسباب طبعها إن شاء الله.

٢- مطالع الأفكار وتنوير الأبصار فى علم المنطق لمؤلفه نافع الخفاجى التلبانى.

٣- السر المكتوم والدر المنظوم فى علوم المنطوق والمفهوم وهو كتاب فى شرح جميع أنواع العلوم من فقه وأصول الدين وتوحيد وتفسير وتجويد وقراءات وعلم رواية الحديث وعلم دراية الحديث وأصول الفقه إلخ.

والكتاب ليس كاملاً كله ومن محتوياته أرجوزة فى النكاح على مذهب أبى حنيفة وقد طبعها فى كتاب مستقل وسماها: «نصيحة الإخوان».

وهذا الكتاب فذ فى نوعه فقد كتب فى أسلوب مقامة أدبية، وكتابة العلوم بأسلوب أدبى يشرحها ويضىء جوانبها ويجعلها قريبة إلى العقل حبيبة إلى النفس مما لم يكن مألوفًا قبل هذا الكتاب.

ويقول فى مقدمته: لما رأيت العلوم فى يد الامتهان، وميدانها قد عطل من الرهان، وبواترها قد صدئت فى أغمادها، وشعلها قد خمدت برمادها، عن لى أن أجمع هذه المقامة تحفة لكل أديب. وجعلتها ذكرى حبيب، وهى وإن كانت جزءًا صغيرًا وشيئًا يسيرًا، إلا أنه يرى على ما رواه تحت برديه، ويروى ظمأ كل وارد عليه، قطف من أزاهير الفنون كل مشموم بهى، وجمع من ثمار العلوم كل مطعوم شهى، وتحلى بفرائد العلوم الأدبية، وتجلى بنفائس الفنون الشرعية والعقلية، مع التحيل بأجمل حيلة على جمع فرائد الفوائد الجليلة فى الأوراق القليلة، بشىء يحسن فيه جمع المتفرقات وإن كانت غير متناسبات، وتتألف به العلوم الشاردات وإن كانت متنافرات غير متوافقات.. وقد افتتحته بالعلوم الشرعية؛ وثنيته بالفنون العددية، وثلثته بالعلوم العربية ثم الفنون العقلية حتى فاقت على السبعين».

والجزء الموجود عندى يحتوى على ثلاثة عشر فنًا من الفنون الشرعية، وسأوالى البحث عن باقى هذا الأمر الثمين، ولعلى أجده بفضل الله.

٤- كتاب «جواهر الكلم فى منظوم الأمثال والحكم» من جمع وتأليف نافع الخفاجى التلبانى»، وهو كتاب ضخم جدًا ويقول فيه فى مقدمته:

«قد جمعت فى هذا الكتاب فصولاً جامعة لحكم منظومة ونوادر مأثورة معلومة صدرت من كلام من تقدم من العلماء والخطباء وسلف من البلغاء والحكماء ممن أشرقت بأسمائهم صفحات الزمان وطلعت من أقمار سماء الإحسان، فأخذت بمجامع الأفكار وعمرت بها مشاهد التذكار، فصارت أنسًا للسمار ونزعة للأسماع والأبصار وقد أثبت منها فى هذا الكتاب مارق وراق وشحنت به الصحائف والأوراق من حكم مرفوعة وأمثال موضوعة»، ثم يتحدث فى هذه المقدمة عن الشعر ومكانته وأثره، وحكمة رسول الله وبلاغتها ما روى منها، ثم يسرد بعد هذه المقدمة الطويلة ما روى من رائع الشعر فى الحكمة والمثل عن كثير من الشعراء مرتبًا لها على حروف المعجم فى عدد ضخم من الصفحات، وألم فيه ببعض من شعره هو، والكتاب ذخيرة أدبية ثمينة وسنشرع فى طبعه بإذن الله فى أقرب فرصة ممكنة.

٥- المقامة الخفاجية (أو التلبانية) المسماة بمروج الذهب ورياض الأدب لمؤلفها نافع الخفاجى التلبانى وهو مقامة ساحرة الأسلوب رائعة الديباجة ذكر فيها المناظرة التى كانت بينه وبين بعض الفقهاء أمام قاضى مركز السنبلاوين الشرعى، وصدرها بإهداء لهذا القاضى وكان صديقًا حميمًا له، ثم ترجم لنفسه فيها ترجمة وافية ثم ذكر المناظرة فى بسط ومزيد تطويل وكيف انتصر على منافسيه جميعًا وتجلت للناس كافة سعة ثقافته وقوة عقليته وقد ألفت بعد وفاة والده ١٢٩٤ ولا ندرى السنة التى ألفت فيها بالتحديد ويقول فى أولها فيما يقول:

«قد كنت وأدهم الشبيبة طرب العنان، ورقها أخضر مائس الأفنان، أتجر فى بضاعة الأدب، فوردت سهل بحره الصافى وطالعت منه هامى العروض والقوافى، وكنت مغرمًا بصيد الشوارد، وقيد الأوابد، واستنبات الفضائل،

واستنساخ أقوال الأماثل. ثم اتفق لى أن أشار إلى وأومأ لدى صدر المدرسين ومفيد الطالبين مولانا الشيخ محمد سيف الدين قاضى مركز السنبلاوين، أن أشنف سمعه الثاقب، بحلية أدب من الغرائب، وكان كثيرًا ما يجاملنى بحسن المجاملة، ويعاملنى بلطف المؤانسة، فالتمس منى كتابًا فى الأدب يعذب وردًا ومنهلاً، قاصدًا بذلك تنويه ذكرى، فأجبته مطيعًا، ثم اتفق لى فى هذا الأوان أن سألنى من أمره مطاع لدى أن أملى جميع ما جرى لى بالمحكمة الشرعية الكبرى من المناظرات، وما حصل لدى من المجاورات، فتلقيت أمره بالامتثال، وسلكت فيها طريقًا لم تسلك قبلى لوارد، وبسطت فيها نمطًا لم ينسجه ناسج ولا نحا نحوه قاصد، ورسمتها مقامة تعرب بحسن معانيها عن لطائف المعانى، وتفصح عن عذوبة السجع بما يفوق رنات المثانى، قد احتوت على جد القول وهزله، ورقيق اللفظ وجزله وملح الآداب ونوادره، إلى ما وشحتها به من الآيات ومحاسن الكنايات، ورصفته فيها من الأمثال اللغوية واللطائف الأدبية والأحاجى النحوية والفتاوية اللغوية والرسائل المبتكرة والخطب المحبرة، فهى حقيقة أن تكتب بسواد للعيون، وأن تشترى بنفائس الأرواح لا بنقد العيون» إلى آخر ما يقول. وهذا الوصف لهذه المقامة أقل فى الواقع مما تستحقه من إعجاب وتقدير، ومن ميزاتها.

أولاً: تحتوى على تاريخ للأسرة حتى عصر مؤلفها.

ثانيًا: تحتوى على تاريخ لحياة هذا الرجل العظيم الذى ألفها.

ثالثًا: وهى بأسلوبها الأدبى الممتاز مثل فى البلاغة والبيان.

رابعًا: ثم هى بهذا الأسلوب الساحر تبسط قواعد العلوم الشرعية واللغوية والأدبية وتعرض كل ما عرضت له منها عرضًا يقبله الذوق وترتاح له النفس وتهش له المشاعر والوجدانات.

خامسًا: احتواؤها على كثير من شعر المؤلف الخالد.

٦- المقامة السعفانية لمؤلفها نافع الجوهرى الخفاجى وهى أقل بكثير جدًا من حجم المقامة السابقة، وكلها هزل ممتع، وفكاهة بارعة، يقول فى أولها:

«حـدثنا عـجـلان، عن أبى عطوان، عن أبى عـيـسى الهـتـان، عن ناظر الوسنان، عن أبى سـعفان، عن أبى عـيسى جوهـرى الزمان، عن راح الروح والريحان، عن أبى ثعلبة بن ثعلبة، قال مـررت يومًا على بلدة وريقة، خضراه نضرة أنيقة، يقال لها تلبانة عدى بن مضر، وإذا بها أربعة من الشبان، قد تحلى بألفـاظهم فم الزمـان، وتجلى بوجوهـم ناظر الإنسان، وهم قـيـان على منابر الافتخار، بين من بها من الاقمار، فقلت لبعض من حضر: ما الخبر؟ فقال: إن بعض أصحاب المكاتب الأهلية، قد حضرت، وإن نواطق الألسنة التلبانية قد نظرت لما نضـرت، واتفقت على عقـد مجلس حـافل، لاختيـار من هو بآذان المسجـد الجامع أحق وكـافل، وها هى ذى أكابر المؤذنـين قد صعـدت المنابر، ليبدى كل إنسان حجته للناظر.

٧- رسالة فى التحـليل وطلاق الثلاث والحرام وغير ذلك تأليـف نافع الخفاجى التلبانى وتقع فى أكثر من خمسمائة صفحة.

٨- تهييج الأشواق فى حكم الخلع والطـلاق تأليف نافع بن الجوهرى الخفاجى التلبانى. وهو غير كامل، والذى لدى منه أكثر من مائة صفحة.

٩- خطبة عيد الفطر لنافع الخفاجى وهى خطبة كبيرة.

١٠- مواعظ شعرية مجموعة ومرتبة على حروف المعجم جمع نافع الخفاجى.

١١- قصة الإسراء والمعراج لنافع الخفاجى.

١٢- المولد النبوى لنافع الخفاجى.

وهذه هى كل الكتب الموجودة عندى من مؤلفاته ويضاف إليها:

١٣- ديوان شعر نافع خفـاجى وموجود لدى جزء كبير منه بعضـه مجموع فى كراسة والبعض الآخر فى مسودات كثيرة.

١٤- كما يضاف إليـها فتاواه الكثيرة الهائلة العدد ولدى العـائلة كثير من الأوراق القديمة التى كتبت فيها هذه الفتاوى وهى فى حاجة إلى الجمع، ولكن ربما لا يتسنى

ذلك وستضيع هذه الفتاوى الثمينة كما ضاع الكثير من كتبه، فيكون مجموع الكتب المفقودة ثلاثة وأربعين كتابًا، وفى اعتقادى أن مؤلفاته لا تقل عن السبعين وهى ثروة علمية ضخمة تضع صاحبها فى الرعيل الأول من جلة العلماء الخالدين.

وقد وصلنى بعد ذلك مخطوطات أخرى من تأليفه.

جملة مؤلفات الخفاجى المخطوطة الموجودة فى مكتبى:

١- رسالة تنوير الأذهان فى علم البيان.

٢- مطالع الأفكار وتنوير الأبصار فى علم المنطق.

٣- السر المكتوم والدر المنظوم فى علوم المنطوق والمفهوم.

٤- جواهر الكلم فى منظوم الأمثال والحكم.

٥- المقام الخفاجية أو التلبانية المسماة بمروج الذهب ورياض الأدب.

٦- المقامة السعفانية.

٧- رسالة فى التحليل وطلاق الثلاث والحرام.

٨- تهييج الأشواق فى حكم الخلع والطلاق.

٩- خطبة عيد الفطر، وخطبة عيد النحر.

١٠- مواعظ شعرية.

١١- قصة الإسراء والمعراج.

١٢- قصة المولد النبوى.

١٣- أجزاء من ديوان نافع الخفاجى الشعرى، ومنها: الأجزاء ١ و٢ و٦ ٩ و١٠ و١٥.

١٤- بعض فتاويه.

١٥- رسالة فى علم المنطق.

١٦- رسالة الإعجاز فى شىء من المسائل والألغاز. الجزء الأول والثانى والثالث.

١٧- مجموع المراثى الجزء الأول والثانى والثالث.

١٨- ديوان خطب نافع الخفاجى.

١٩- مجموع فى الميراث.

٢٠- الدر الثمين بشرح كنز الطالبين.

٢١- عنوان المكاتبة.

٢٢- جزء صغير من كتاب فى العروض.

كتب مفقودة لنافع الخفاجى:

فضائل شهر رمضان لنافع.

سيرة الأنبياء لنافع.

ألغاز التاريخ لنافع.

مسائل التوحيد لنافع.

السيرة النبوية.

قواعد الحديث لنافع.

مناسك الحج لنافع.

الزهور الندية فى الدروس النحوية.

الإنشاء لنافع.

خواص الحيوان والنبات لنافع.

الجزء ٣ و٤ و٥ من أشعار نافع.

أشعار نافع.

الغزل لنافع.

جواهر الكلم فى الحكم لنافع.

رسالة الطلاق لنافع.

مسائل الميراث لنافع.

رسالة صوم يوم الشك لنافع.

الحكم المبرم فى الفقه ومختصر الحكم.

الكواكب الدرية فى المسائل الفقهية النافع.

نفحات العطر فى زكاة الفطر.

الفواكه الجنية فى القواعد النحوية لنافع فى النحو.

مجموع العلوم لنافع.

المسائل اللغوية لنافع.

ألغاز القراءات لنافع.

التحفة البهية فى القواعد النحوية.

رسالة فى البيان لنافع.

العقد الفريد لنافع.

الرمل لنافع.

لوامع الإشراق فى الأوفاق لنافع.

إغاثة الملهوف فى علم الحروف لنافع.

كشف الأحوال فى ترتيب الأعمال لنافع.

البدر النورانى فى الطب الجسمانى لنافع.

الدرة المنتجة فى الأدعية المجربة لنافع.

إغاثة اللهفان فى تسخير الجان لنافع.

كفاية المهمات إلى قضاء الحاجات لنافع.

الفيض الربانى فى العلم الروحانى لنافع.

الكيمياء لنافع.

لوامع الإشراق فى جلب الأرزاق لنافع.

رسالة فى الميقات لنافع.

فضائل رمضان لنافع.

شرح الستين بخط أحمد نافع.

السر المكتوم فى علم النجوم.

كنز الطالبين ومعدن الراغبين فى علمى الفقه والتوحيد.

تحفة الأدعية والأذكار.

التاريخ لنافع.

حكم وأمثال بخط لنافع.

المفاكهات لنافع.

الحكايات لنافع.

الجغرافيا لنافع.

المغامرات لنافع.

الإفادات لنافع.

الإعراضات لنافع.

الفتاوى لنافع.

عنوان المكاتبة لنافع.

قواعد الحديث لنافع.

رسالة البسملة لنافع.

الهجاء لنافع.

وأما مكتبة العلامة نافع الخفاجى فقد كانت مكتبة حافلة عامرة بالمخطوطات النفيسة، وكانت تبلغ ١٠٦٩٨ كتابًا ولكن أغلبها فقد فى حريقين متتاليين فى القرية والباقى بدد ولم يحافظ عليه، وكانت فى حوزة خالى المرحوم العلامة الشيخ عبد اللطيف نافع الخفاجى.

شعره: نجد شعر هذا العالم الكبير فى ثلاثة مصادر:

الأول: فى ثنايا مؤلفاته الأدبية والعلمية.

الثانى: فى أوراق كثيرة مهملة كانت محفوظة فى مكتبته.

الثالث: فى كراسة خاصة جمعها الفقيد الخالد من شعره بيده.

وشعره قسمان:

أ- الشعر العلمى ونرى الكثير منه فى مقامته «السر المكتوم والدر المنظوم» فى علوم المنطوم والمفهوم» ومن هذا الشعر أرجوزته المطبوعة «نصيحة الإخوان فى أحكام النكاح على مذهب النعمان».

ب- الشعر الأدبى الوجدانى وهو كثير.

صور من شعره

قال: من قصيدة طويلة مذكورة فى صدر المقامة الخفاجية:

مالى وللأيام ويح صروفها ... أبدا تلاحظنى بعين عناد

واحسرتا نال الزمان مراده ... منى ولم أظفر بنيل مرادى

لا مسعد يرجى ولا متوجع ... نشكو إليه حرارة الأكباد

سل مخبرات الشعر عنى هل رأت ... فى قدح نار الفهم مثل زنادى

لم تبق حلبة منطق إلا وقد ... سبقت سوابقها إليك جيادى

لله در خفاجة أبرزتها ... من خدر فكرك فى حلى الإنشاد

حظ من النظم البديع أفادنى ... حظ الكرام وخطة الأمجاد

وقال:

خليلى فى تلبان هل أنتما ليا	على العهد أم غدا العهد باليا
وهل ذرفت يوم النوى مقلتاكما	على كما أمسى وأصبح باكيًا
وهل أنا مذكور بخير لديكما	إذا ما جرى ذكر من كان نائيًا
ودون الذى رام العواذل صبوة	رمت بى فى شعب الغرام المراميا
وقلب إذا ما البرق أومض موهنا	قدحت به زندا من الشوق واريا
خليلى إنى يوم طارقة النوى	شقيت بمن لو شاء أنعم باليا
ولا تيأسا أن يجمع الله بيننا	كأحسن ما كنا عليه تصافيا
أعد الليالى ليلة بعد ليلة	وقد عشت دهراً لا أعد اللياليا
خليلى لا والله لا أملك الذى	قضى الله فى ليلى ولا ما قضى ليا
وما لهم لا أحسن الله حالهم	من الحظ فى تصريم ليلى حباليا

وبعد فشعر نافع الخفاجى كثير جيد رائع وهو فى الصف الأول من شعراء عصره، وإنما لم تسر شاعريته ولا فضله لأنه آثر الحياة فى هذه القرية النائية بعيداً عن القاهرة الصاخبة، ولو أقام فى العاصمة لكان العلم المفرد فى عصره فى كل ناحية من نواحى حياته العظيمة.

وبعد فهذا هو نافع الخفاجى فى شبابه وطموحه، فى دراسته الطويلة المستقصية، وفى تآليفه الجيدة الممتعة، وفى أدبه الساحر وشعره الرائع.

وقد رثاه ابنه العالم الكبير نافع الخفاجى بمرثية طويلة جدًا قال منها:

لو دام عيش بدنيا لما ذهبت	منها مصابيح جود قد جلت ظلما
أو كان شهم بها يبقى لما حزنت	لفقد شهم تناهى جوده وسما
المحسن العارف البحر الذى اغترفت	منه العفاة وعادت لا تخاف ظما
من كان فى ذروة الإحسان ذا شرف	وكم حوى من كمال واحتوى كرما

وكان ركنًا له يهدى المقال إذا ... ما الأمر من مشكلات الدهر قد عظما

ومجلس الحكم منه فوقه هتفت ... هواتف البين إذ سر الندى هدما

ما للزمان أراع المجد أجمعه ... وبدل الدمع من تلك العيون دما

ما للزمان نواعى حسن معهده ... وما رعى قط فى أحسابنا ذمما

استل من غمده بالقهر سيف علا ... ماضى الغرارين مرهوبا إذا انتقما

هو اللبيب الذى طابت مآثره ... كالروض حياه نوء المزن منسحما

وذو عزة لو بأيدى الناس مقودها ... ما زال فيه كريم النفس واهتضما

مضى وأبقى لنا الذكر الجميل على ... أيدى الزمان كتابًا طاهرًا رقما

ولى شريفًا عفيف النفس طاهرها ... مهذب الخلق من عيب الورى سلما

يا ويح تلبانة من بعد ما وخدت ... به المنون تقل الفضل والكرما

لو كنت شاهده والنعش يحمله ... رأيت رضوى على أيدى الرجال سما

من للسياسة فينا بعد ما خسفت ... بدور رأى تنير الظلم والظلما

من للألى شيدوا من عزمه نعما ... واستوطنوا من علاه الصدر والقمما

إلى آخر هذه المرثية الخالدة الطويلة البليغة[1].

❁❁❁

---

(١) المقامة الخفاجية.

نافع الخفاجى[1]

حفيد العلامة نافع الخفاجى الكبير

هو العالم الشاعر الأديب نافع بن محمد بن نافع الخفاجى بن سليمان الخفاجى حفيد العالم الكبير الشيخ نافع الخفاجى الذى مرت ترجمته، وابن خالى الشيخ محمد بن نافع الخفاجى من أعيان الأسرة وأظهر شخصياتها، والدته آمنة طرباى من أقاربنا أسرة الطرباهية.

ولد فى يوم الجمعة ٢ شوال سنة ١٣٢٢، الموافق ٩ ديسمبر سنة ١٩٠٤.

ثم تعلم الكتابة وحفظ القرآن الكريم وعكف على قراءة سير الأبطال كأبى زيد الهلالى وعنترة وغيرها فنشأ بطبعه شاعراً ناضج ملكات القريض.

وذهب إلى المعهد الأحمدى بطنطا سنة ١٩١٩ ليتعلم فيه وأخذ منه الابتدائية عام ١٩٣٢، ثم كان قد أنشىء فى ذلك الحين معهد الزقازيق فالتحق به، واستمر فى دراسته إلى أن أصيب بمرض عصبى عضال كان يحول بينه وبين المشى وحده فأخذ يعالج نفسه منه، ولكن العلاج لم يجد شيئًا، اللهم إلا فى تأخير زحف المرض على صحته، ثم أخذ الثانوية من الخارج من معهد الزقازيق عام سنة ١٩٢٨ الموافق سنة ١٣٤٦هـ ثم التحق بالقسم العالى بالأزهر ونال منه شهادة العالمية فى يونيو سنة ١٩٣٢ الموافق سنة ١٣٥١هـ.

وعاد العالم بعد ذلك فأقام بالقرية يطالع فى أسفار الأدب وينظم القريض ويعالج نفسه من مرضه العضال، ثم تزوج فى سبتمبر سنة ١٩٣٩ ووافاه أجله

---

(١) ولد يوم الجمعة ٢ شوال هـ- ٩ ديسمبر سنة ١٩٠٤.

وطلب للقرعة عام ١٩٢٣م وأعفى لأنه طالب علم، وفى عام ١٣٤٤هـ- ١٩٢٦م، نجح فى امتحان النقل من السنة الأولى إلى الثانية الثانوية بمعهد الزقازيق وترتيبه ٣٠ من ٥٩.

وفى عام ١٩٣٠م- ١٣٤٩هـ نجح فى امتحان النقل من الثانية إلى الثالثة بالقسم العالى وترتيبه ٨٩ من ٢٢٢، وفى عام ١٩٣١م-١٣٥٠هـ نجح فى امتحان النقل من الثالثة إلى الرابعة بالقسم العالى وترتيبه ٥٤ من ١٣٨ -وفى صيف عام ١٩٣٢م نال العالمية من الأزهر.

وشيعت جنازته يوم الثلاثاء ٩ رجب ١٣٥٩هـ- ١٣ أغسطس ١٩٤٠.

المحتوم فى ١٣ أغسطس سنة ١٩٤٠ -الثلاثاء ٩ رجب سنة ١٣٥٩هـ، فعليه رحمة الله ورضوانه.

لشخصيته شاعريته:

إذا تركنا الجانب العلمى لشخصية المغفور له الخالد نافع الخفاجى، وجدنا أهم مظهر فى شخصيته هو الشاعرية الفذة الناضجة القوية الأسباب الوطيدة الملكات.

نماها فى نفسه أثر الوراثة عن جده نافع الخفاجى الكبير، وقراءته وهو صغير لهذه القصص الحماسية الكبيرة كسيرة أبو زيد وعنترة، ثم عكوفه على كتب الأدب ومصادره الأولى ودواوين فحول الشعراء، نظم الشعر طفلاً، وكانت كل حياته مظهرًا لهذه الشاعرية الناضجة. كان مرضه يحول بينه وبين كل شىء إلا الشعر، رسم فيه صورة لحياته التى كان يحياها، وعواطفه التى كانت تجيش بها نفسه، عبراته التى كان يسكبها على آماله المحطمة، وصحته المكدودة. وسنتحدث عن شعره فى تفصيل بعد قليل.

شخصيته:

كان الفقيد المغفور له قوى الملكات، ناضج العقلية، واسع الثقافة، لا يغلب على رأى، ولا تتلعثم فى لسانه حجة، وكان قوى الحجاج شديد الجدل، كما كان جذاب الشخصية، وديع النفس، بعيد التفكير، معتزًا بنفسه ورأيه، يأبى أن تهان كرامته، ويقف فى سبيل ذلك مواقف العناد واللجاج.

وكانت حياته كلها آلامًا وأحزانًا، بكى لمرضه، وبكى لآماله الذاوية، وبكى لجسده المحطم، ويئس من الحياة، وأخذت أشباح الموت ترتسم فى ذهنه وأمام بصره، حتى هدت قوته وحطمت كيان صحته، وخر صريعًا بيد الأمل.

شعره:

جمعت معه شعره الضخم كله فى ديوان، ثم عرض عليه ناظر المدرسة مدرسة تلبانة الإلزامية -وكان اسمه الشيخ عبد الباسط- أن يأخذ ديوانه لطبعه فأعطاه له، وظل لديه أكثر من ثلاث سنين، ثم مات الفقيد، فأنكره وادعى أنه فقد من المطبعة التى سلمه إليها.

وعلى أية حال فـفقدان هذا الديوان الثمـين لم يحل بينى وبين جمع كثـير من أصول قـصائده الشعرية، مما نشـرته فى كتابى «بنو خـفاجة».. ومن شعـره قوله يهنىء ابن عمه محمود عصر خفاجي بالليسانس:

أهلاً وسـهـلاً طالع مـيـمـون ... فليـهـنأ التـشـريع والقـانون

فـخـر لمدرسـة الحـقـوق وعـزة ... وفـخـارها بنجـاحـه مـقـرون

أوتيـت سـؤلك والعـدالة ترتجى ... قـسا بشـخصك للحـقـوق يبـين

يا عـبـقـريًا لـلطروس يسـاره ... ترجى وللأقــلام منه يمـين

فـخـر لأصل أنت بـعض فـروعـه ... دنيـاك وافت واطـمـأن الـدين

شـيـدت مـجـداً فى ذرا الأهرام لم ... يدركـه رمـسـيس ولا أخنـاتون

لسـواهم الأهرام والـذكـرى لـهم ... لكن جـهـدك بالخلود قـمـين

سـر فى سـبـيل المجـد فـالتـاريخ فى ... صـفـحـاته لك مـوضع مـرهون

إن رمت تـهـنئـة فـإنى عـاجـز ... مـن ذا أهـنىء لا أكـاد أبـين

أأهنىء الـليـسانـس أن فـازت به ... أم رب حق حـقـه مكـنـون

ومن شعره كذلك هذه القصيدة:

إلـى الله شكـواى لا للبـشـر ... فـمنـه له المبـتـدأ والخـبـر

هـو المرسـل الضـر وهو الـذى ... بقـدرتـه أن يمـيـط الضـرر

ومـا الـناس؟ والـنـاس كل لـه ... لهـيـب شكـاة تذيب الحـجـر

ومـا بلـغ النـاس مـا أملـوا ... من الـدهر والدهـر جم الـغـيـر

يمـوت الفـتى دون آمـاله ... وكـم أمل فـى ثنايا الحـفـر

ومـا الأدبـاء ومـا الأغنيـاء ... وكـل لـه أمـل يـنـتـظـر

ولكـن أولئك قـد صـرحـوا ... وعى سـواهم لـهم قـد سـتـر

وفـرقـهـمـا أن آمـال ذا ... عظام وآمـال ذا تحـتـقـر

فـذاك يرى الـشـمس من تحـتـه وذا لا يجـاوز سطح الـنهـر

وليس مـصـابى سـوى أننى فـقـدت السـعـادة حـتى الأثر

مـصابى شبابى وعـهد الـصبا وقـد كـان لى باسمًـا فـاكـفـهـر

شـبـاب يضـيع كـزهر الربيع هوى حـين يـبـسم غض الـزهر

كـأن المحـلق أصـاب الـهـلال ولم يـكتـمل ليلة اثنى عـشـر

وقـد كـان مـسـتـقـبـلى زاهراً فـجف ولم يؤت بعـض الثـمـر

ومـا بى سـوى مـرض فى الفـقـار تغـلغل فى الجـسم حـتى انفـطر

فـأفـقـدنى كل مـسـتـمـتع من السـيـر فـالجسم إن قـام جر

مناطق مـخـى منهـوكـة من الـداء والنـطق قـد خـور

سـألت الـطبـيـب فلم يـغننى وعى وقـد نـال منه الحـصـر

وقـال (انكـسـيك) مـوروثة وقـد ينـقل الـداء ممن غـيـر

فـقلت الـعـلاج فـقـال الدواء إلى الآن عـند القـضـا والقـدر

فلـو شـاء ربك تم الشـفـاء وعنـد المشـيـئـة لـيس خـطر

فـيـارب لم يـبق لى مـلجـأ سـوى لطف رحـمـتك المدخـر

سـئـمت المحـاقن والكهـرباء ومـر الـدواء ووخـز الأبـر

وعـفت الـتجـارب والفـحص فى دمى ونـخـاعى وقـاع الـنظر

وها وقـف الداء عـن سـيـره فـفى كـل يوم عن الأمـس ظهـر

ومن شعره قصيدته فى شكوى الزمان، وها هى ذى:

أواه مـن عـثـرات الحـظ أواه والحظ مـا شـاءه قـد شـاءه الله

لا الحزن يجدى ولا حظى يساعفنى ولا الزمـان رفـيق فى سـجـاياه

أرزاء شـتى إذا مـا خلـت أصـغـرها مـضى أرى ضـعـفـه يحـتل مـأواه

تترى دراكًا كطير طاب موردها فزاد وارده شوقًا لمرعاه
يلج صرف الليالى فى معاكستى كأنما أنا وحدى كل أعداه
خطوب دهرى لا تنفك تذكرنى بعطفها ذكر مجنون لليلاه
فالحزن والسهل فى سيرى سواسية والليل والبوم فى الظلماء أشباه
كلما قلت لما استحكمت فرجت أرى قشيب شقاء كنت أنساه
إن غاب عنى شقاء جاء مصطحبًا إخوانه ليقيموا فى رعاياه
ما حيلتى وهى الدنيا وسلطتها أى امرى نال منها ما تمناه
نصيب كل امرىء فى عكس همته ورفع كفة وزن خفض أخراه
ورب ذى عزمة تنبو مضاربه وطائش السهم أصمى الحظ مرماه
ونابه النفس سوء الحظ أخمده وخامل القدر حسن الحظ رقاه
وكم حريص له من علمه صفة وكم كسول له من جهله جاه
هى المقادير لا سعى ولا كسل وكل ذى قدر لابد يلقاه
انظر إلى قطع الشطرنج إذ نحتت ماذا أتى الشاه حتى إنه شاه
كم بيدق مات لم يذنب وصاحبه سما مسوقًا ولم يعمل لمرقاه
كذلك الكون لم تعلم عواقبه وليس يعلم ساع غب مسعاه
الدهر علمنى الشكوى فقمت بها طوعًا وكرهًا وخير العلم أفشاه
أشكو الزمان وفى الشكوى رفاهية وما علاج شقى غير شكواه
تنفس الصعد تفريج ذى حرج والضيق يفتح من ذى ضيقة فاه
القدر منفجر لولا تبخره والقلب منفطر لولا شكاواه
فالقلب من حطب والبؤس من لهب وفى الشكاة لنار الهم أمواه
الهم يثقل والشكوى تخففه فقد ترى سامعًا يؤتيك جدواه

إن لم أجد صاحبًا فالليل يؤنسنى — نجومه ودياجيه وإصغاه

ورب سامع شكوى شامت فرح — وذى ملال يرينى غير نجواه

ولا أرى مخلصًا فى الضيق يسعدنى — ولا غنى لى عمن لست أهواه

طبائع الناس شر لا يفارقهم — والخير كسب لبان الفكر غذاه

لو نالنى الشر منهم كنت عاذرهم — وإن أتى الخير قلت للطرف هياه

إن يجهلوا خاصموا أو يعلموا نقدوا — ويبطنون بلؤم ضد ما فاهوا

فالكل للكل أعداء وعنصرهم — به أنانية فى بدء مبناه

مهما أحبوا فحب الذات رائدهم — وعبرة الحب برهان بمغزاه

وهكذا الناس عباد لأنفسهم — كل يرى الغير عبدًا وهو مولاه

لولا حوائجهم ما ألهوا أحدًا — أدنى الأنام من الإلحاد أغناه

هم والوحوش سواء لا يميزهم — إلا عقول وتقديم وأفواه

مع التمدين والقانون أنفسهم — شتى وكل له فى العيش أهواه

كل له غرض تخفيه طينته — ولو درى خلد ما فيه جافاه

الخير يخدع فى معسول منطقه — والشر يكمن فى داجى حناياه

لو شف صدر جميل عن دخائله — لشوهت نفسه ما فى محياه

لو أخطأ الشر إنسانًا ولم يره — فسله وحيا فما جبريل إلا وهو

وما أبرىء نفسى إننى بشر — النفس تأمره والروح تنهاه

صدرى لضدين من جيشين معترض — ما يرض هذا فهذا ليس يرضاه

لكن نفسى صفت من طول ما رزقت — حتى رأت كل ما يسطاع مرآه

وما رأيت كمثل الصبر عاقبة — فالمر أوله والحلو عقباه

لسوف أصبر حتى لا أعى أملا — وليبق لى أملى وليرحم الله

كلمة أخيرة:

وبعد فهذا بعض من نتاج شاعرية هذا العالم الفذ والشاعر المبدع، وإنتاجه الشعرى كله سحر وروعة وإبداع، وفيه عاطفة وقوة إلهام وحسن تصوير وعمق فكرة، وهو بين الأدب العربى أدب خالد سائر، وسيجىء اليوم الذى ينشر فيه ديوان الشاعر كاملاً ليضعه شعره فى مكانته الخليق بها بين شعراء العربية الخالدين.

لقد نقلت من شعره بعضًا مما يصور لنا جوانب حياته ونواحى شخصيته، ومما يرسم لنا صورة واضحة عن شاعريته وفنه الأدبى.

وأكتفى بهذا على أن أعود فى المستقبل القريب للكتابة عن هذا الشاعر الفذ فى كتاب مستقل بعد أن ننشر على جمهور العربية ما بقى لدينا من شعره ومحاسن قريضه.

ولقد كان الفقيد زميل الشاعر البليغ الأستاذ محمد الأسمر فى الدراسة، واطلعت على عدة خطابات أرسلها الأستاذ الأسمر له توضح له ما كان بينهما من صداقة وزمالة[1].

فرحمه الله وخلد ذكره، ولقاه فى الآخرة من الثواب وحسن الجزاء ما هو أهل له، وفى الدنيا من الذكر والخلود ما هو به جدير.

وهذه هى نص كلمة الرثاء التى ألقيتها على قبره يوم وفاته.

عقد الخطب اللسان، وعى لهول المصاب البيان، وارتاع لهذا الرزء الفادح الجنان، وأى رزء هو!!

لقد انطفأ المصباح الهادى، وخبا النبراس المنير، وذهب بالرجل أجله، ولقد كان يسير به أمله، إلى ضيق القبر، وفسحة الأجر والنعيم.

ذهبنا به فى ربيع الحياة إلى أرض حافلة بالعبر والعبرات، آهلة بالعظات والذكريات، فأودعناه فى حمى آمن، يستبشر به المتقون، وييأس فيه من رحمة الله

---

(١) من هذه الخطابات خطاب من الأستاذ الأسمر يقول له: عزيزى الأستاذ الشاعر الشيخ نافع الخفاجى.

«يسرنى أن يكون فى الأزهر أديب مثلك، لست أهلاً لهذا الثناء الذى صنعته قلائد لا أرى جيدى جديرًا بها، متعك الله بكل ما تحب وترضى ومهد لك سبيل سعادتك»، الأسمر.

القانطون، ثم عدنا بالدموع والذكرى، فاجتمعنا فى هذا الجمع نحيى ذكرى الفقيد، وبأى شىء نحيى ذكراه؟

لقد كان شاعراً وأديبًا وشاعراً، فحرى بنا أن نستمد من ذكراه العظة البالغة، وخليق بنا أن نذكره لعلمه وأدبه إن لم نذكره لحسبه ونسبه.

لقد عاش الفقيد مجاهدًا فشقى بعذاب الجهاد فى حياته، جاهد أول شبابه فى سبيل آماله الواسعة، وأمانيه الكبيرة، ثم جاهد بعد ذلك آلام الحياة التى لاحقته وحالفته وسارت به إلى أجله المحتوم، فما أروعه جهادًا وما أعظمه مجاهدًا، وما أسعده بأجر الجهاد.

لقد كان الفقيد يستمد علمه وأدبه من عقلية واسعة، وذهن ثاقب، أكثر مما كان يستمده من اطلاع واسع، ودراسة مضنية، وكان ينظم الشعر بملكة صناع، وروح مبدعة، ويعرضه فى أسلوب جميل وديباجة مشرقة، ظلت تلازم أدبه. حتى وهنت صحته، ووهى أمله، فدبت إليها روح الضعف، كما دبت فى نفسه روح اليأس والقنوط، وعلى حين غفلة سكت الشاعر البليغ، وذهب العالم العبقرى إلى عالم الأبدية، ودنيا الخلود. فسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيًا.

وهذه قصيدة من غر قصائده نثبتها هنا، قال:

ذهبت ومن رام المعالى يذهب	وأبت ولم أظفر بما أتطلب
سعيت إلى العلياء غاية طاقتى	ورحت إلى أفلاكها أتوثب
سبحت على بحر المجرة ماخراً	عبابًا من الآمال أطفو وأرسب
رصدت السهى حينًا فأبصرت طالعى	جميلاً ولكن فيه سر محجب
فيا طالعى بالله هل من هناءة	تألق لى أم أن برقك خلب
وهل مطمئن أنت أم أنت خائف	تفر من النحس البغيض وتهرب
وهل لى إلى النعمى سبيل موصل	وهل لى من البؤسى مناص ومهرب
أتسعدنى الآمال بعد مطالها	ويدنو من الآمال ما أترقب

إزاء شقائى مطعم الصاب كالجنى ... ونور نهارى من مشاكيه غيهب
ولو لم أصادف سوء حظى وشؤمه ... لعشت سعيدًا لم يضق بى مذهب
يسمونه حظًا وجدًا وطالعًا ... وأما المسمى فالقضاء المغيب
مقادير شتى والمقدر واحد ... مشيئته كالسيف بل هى أثقب
له المثل الأعلى وفى كل ذرة ... من الكون سر بالتأله يعرب
هنالك شىء كل فكر يمسه ... ويلمسه الوحشى والمتهذب
هو الله سماه الطبيعى قوة ... وطبعًا وفى علم الأثير تربب
ومن شأنه فينا الظهور بفيضه ... وآثاره والشأن فينا التعجب
أأجهل روحى ثم أعلم ربها ... ضلال غريب والتشبث أغرب
سننظر وجه الله فى الخلد ظاهرًا ... كما هو يجلوه الجلال فنطرب
نراه بإحساس بديع مخصص ... يطيب خيالاً والتحقق أطيب
هنالك يبدو كل حسن مذمما ... وكل ارتياح غير ذلك متعب
عن المثل والأضداد جل جلاله ... وراجى سوى التوفيق منه مخيب
وما الكون إلا ذرة فوق ذرة ... سماء وأفلاك وأرض وكوكب
فكل بكل فى نظام مدبر ... جماد وحى كل شىء مرتب
بدائع إحكام وإتقان صانع ... فسبحانك اللهم أنت المحجب
تمنيت موتًا ليس فيه جهنم ... وإلا فعيشًا لست فيه أعذب
وكيف حياة المرء ناء بعبئه ... وجمر الأسى فى صدره يتلهب
وكيف حياة المرء عى طبيبه ... وأعضله الداء العقام العصوصب
برمت بآمالى وعفت تجلدى ... ومل جليسى ما أقول وأكتب
ولو نلت من عين العناية نظرة ... فما مر بى عذب وما بعد أعذب

الشيخ حسنين محمد مخلوف.. الفكر والعطاء

تاريخ الوطن من تاريخ أعـلامـه وأبرز شخـصيـاته، فـهـم من صنعوا أحـداثه وشاركوا فى صنع أحداث أخرى أهمها على الإطلاق. بناء الفكر وتأسيس العقول امتـداد لمن سبقـوهم فى العطاء بكل ما يثـرى الفكر والوجدان، وإرسـاء المعارف الإنسانية والقيم الدينية والعلميـة والأدبية.. إلخ، بما يضيف إلى الرصيد الإنسانى ما يؤسس لحاجة الأجيال التالـية لهم من علوم ومعارف تضع أقدامهم على الطريق الصحيح لتواصل العطاء، دون الوقوف على مستوى معين من الشخصيات فتتأصل المعلومات عنهم حين يتناولهم الباحثون بكتاباتهم فى المجالات كافة.

وفى المجال الدينى يبـرز فضيلة شيخنا الجليل حـسنين محمد مـخلوف -رحمه الله- بفكره المستنير، الذى غطى أنحاء العالم الإسلامى طوال القرن العشرين.

ولد رحمـه الله -يوم الأربعاء ١٨ رمضان ١٣٠٧هـ- ٦ مـايو ١٨٩٠م بالقاهرة وفى سن السادسـة ألحقه والده، بكتـاب حفظ القرآن الكريم ليـتم حفظه وهو فى العاشرة من عـمره، وتلقى العلوم الشرعيـة والعربية على أيدى كبـار علمائها فى الأزهر الشريف، حـتى نال «العالمية» من مـدرسة القضاء الشـرعى عام ١٣٣٢هـ- ١٩١٤م وعين مدرسًا بالأزهر ثم قاضيًـا فى المحاكم الشرعية، وتدرج فى وظائف القضـاء حتى أصبح رئيسًـا لمحكمة الإسكندرية عام ١٣٥٩هـ- ١٩٤١م ثم رئيـسًا للتفتـيش الشرعى بوزارة العدل عام ١٣٦٠هـ- ١٩٤٢م، ثم نائبًـا لرئيس المحكمة الشـرعيـة العليـا عام ١٣٦٣هـ- ١٩٤٤م وخـلال تلك الفتـرة سـاهم فى التنظيم الإدارى والفقهى بالمـشاركة فى سن القوانين وأهمهـا: قانون الأحوال الشخـصية. وفى عام ١٣٦٤هـ- ١٩٤٥م عين مفتيا للديار المصرية، واختير عضواً فى هيئة كبار علماء الأزهر عام ١٣٦٧هـ- ١٩٤٨م، وفى عام ١٣٦٩هـ- ١٩٥٠م اخـتير رئيسًا للجنة الفتوى بالأزهر الشريف، وفى عام ١٣٧١هـ- ١٩٥٢م أعيد تعيينه ثانية مفتيا للديار المصرية حـتى عام ١٣٧٣هـ- ١٩٥٤م والى جانب ذلك كان -رحـمه الله- عضواً بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشـريف ورئيسًا لجمعية النهوض بالدعوة

الإسلامية بالقاهرة، وعضو المجلس التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة.

* أدى -رحمه الله- دوراً بارزاً فى مجال التعليم الإسلامى ومحاربة البدع والخرافات، وبعد النظر فى تراثنا الإسلامى للوقوف على حقائقه من أهم ملامحه الفكرية: «ودفع الضلالات من حول الأحكام الإسلامية وحماية المسلمين من الشبهات»، ومؤكداً: «أن جهل بعض المسلمين بحقائق الإسلام يعطى الفرصة لأعداء الإسلام للكيد والنيل منه». و«أن العالم الحق المتين هو الذى يرفع صوته ويجمع قواه لتأييد الدعوة الإسلامية فى كل مكان وزمان ولا يبالى اعتراضاً».

تلك بعض من أقوال فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف -رحمه الله- العالم العلم الذى نشأ وتربى على المقومات السامية للإسلام الحنيف فى مواجهة تعدد المشكلات والأفكار والأخطار التى تحيط بالعالم الإسلامى، والناتجة عن التيارات العالمية المتلاحقة والمتصارعة، التى تبحث عن مصالحها وغاياتها فقط حتى وإن تطلب الأمر: مضاعفة تدبر المؤامرات، ونهب الثروات، والاعتداء على الحرمات، والسيطرة على أفكارنا ومواردنا وأسسنا الثقافية والدينية والتعليمية: إنهاكا لقوانا، وسحقا لهويتنا وتضخيما لخلافاتنا، وهو ما يلقى بتبعات ضخمة، وأعباء ثقيلة على القائمين بأمور الدعوة الإسلامية لإجلاء عتمة الرؤية والضبابية التى ينظر بها الغرب للدين الإسلامى ومعتنقيه، وذلك بالانطلاق من ركائز الحضارة الإسلامية التى اتسمت بالشمول: فكانت حضارة متكاملة غذت الفكر البشرى، ومنحته سبق الريادة فى دفع خطى الإنسانية إلى الأمام مع استيعاب واع وعميق لكل الحضارات الأخرى. وقد شغل هذا النهج جانباً كبيراً من فكر فضيلة الشيخ حسنين مخلوف والذى تركز فى:

* البحث فيما يجب تقديمه للأمة الإسلامية لإعلاء رسالتها، واعادتها لسيرتها الأولى وهجر كل ما يخالف ثوابت الشريعة فى القرآن الكريم والسنة النبوية، وتجميع القوى الإسلامية: من فرق وجماعات، ومنابر دعوية على هدف واحد غايته: وحدة الأمة، والوقوف صفا واحدا أمام محاولات النيل من كل ما هو إسلامى.

* التمسك بتراث الأمة الإسلامى، ومنع الضلالات، ومحاربة البدع والمنكرات التى تخالف دين الإسلام وأحكامه الفقهية: حماية للمسلمين من الشبهات التى تحمل مسميات عديدة فى هذه الأزمان، يختفى وراءها من يكيدون للإسلام والمسلمين.

* إبراز الدور الكبير للداعية الإسلامى فى خدمة الشريعة السمحاء، والعمل على توفير المقومات المادية والتقنيات الحديثة لعناصر الدعوة ورجالها ممن صدق فيهم قول الحق -تبارك وتعالى: ﴿...صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ..﴾ [الأحزاب: ٢٣] وقوله -جل فى علاه: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

* دعوة جماعات المسلمين عامة إلى تنفيذ أمر الله تعالى: بالاعتصام بالقرآن الكريم وهجر ما ينافيه ويخالف أوامره، خاصة وقد أمر الحق -سبحانه وتعالى بعدم التطرف والاختلاف والتنازع والخصومات، والحروب بين المسلمين، وفى هذا قال الحق -تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣] نهيا عن التفرق وأمرا بالإجماع على مصلحة وعزة الإسلام، وأمره بالشورى وتبادل الرأى بين المسلمين من أجل تحقيق مصلحة وعزة الإسلام والمسلمين فى كل مكان، وقول الحق -تبارك وتعالى فى ذلك: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، والتى خص بها الحق سورة فى القرآن: «الشورى» مع مراعاة أن يكون التشاور بين الحاذقين فى معرفة ما جاء فى الكتاب والسنة، ونبه -رحمه الله- إلى أنه: «لا يجوز أن يتشاور فى أمور المسلمين من لا علم لهم بالإسلام، أو من عرف عنهم الضلال والكراهية للمسلمين أو للإسلام وأحكامه».

وأمر القرآن الكريم أيضًا بعدم اتخاذ الأصدقاء أو التماس العون من أعداء الإسلام حيث قال الحق -تبارك وتعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: ١] فهم لا يعملون إلا على بث سموم الفرقة وإشعال نار الحروب بين المسلمين، وعلينا أن نكون بصراء بأمورنا، وألا ننخدع بما يظهره لنا أعداء الإسلام من تعاطف وتراحم كى يستتر أمرهم.

وبتلك الرؤى الثاقبة عاش الشيخ حسنين مخلوف -رحمه الله- مبرزا أثار الإسلام فى تقدم الفرد والمجتمع، ودافع ببسالة عن حقوق المسلمين خلال أسفاره العديدة إلى الكثير من البلدان: داعيا إلى الله، ومشاركا مع إخوانه العلماء وجهودهم لتحقيق الخير لعامة المسلمين. ولم تشغله أعماله الإدارية عن البحوث والإنتاج العلمى والفكرى، فضلا عن مشاركاته فى تأسيس اللبنات الأولى للهيئات الإسلامية القيادية على مستوى العالم الإسلامى.

«عطاءاته للمكتبة الإسلامية».

تأليفًا:

* القرآن الكريم بالرسم العثمانى وبهامشه كلمات القرآن، الزرقاء، مكتبة المنار، د.ت.

* حكم الشريعة الإسلامية فى مأتم ليلة الأربعين وفيما يعمله الأحياء للأموات من الطاعات، القاهرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م.

* المرأة فى الإسلام، القاهرة، دار الأنصار، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

* المواريث فى الشريعة الإسلامية، جدة، دار المدنى، د.ت.

* بداية الداعية، القاهرة، دار الاعتصام، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

* صفوة البيان لمعانى القرآن، الكويت، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

* فتاوى شرعية وبحوث إسلامية، القاهرة، دار الاعتصام، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

* كلمات القرآن، القاهرة، مؤسسة الخليج العربى، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

* الإسلام بين الشرق والغرب، الكويت، مجلة النور ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

* البيان الإسلامى، الرباط الراية: ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م وغيرهما ككتاب آداب

تلاوة القرآن وسماعه، ورسالة عقيدة الإسلام للإمام الحداد، و«شرح جالية الكدر بنظم أسماء أهل بدر» و«الحصن الحصين للإمام ابن الجذرى».

تحقيقًا:

* عنوان البيان فى علوم التبيان القاهرة، مطبعة الحلبى، ١٣٨٣هـ ١٩٦٤م.

* بلوغ السول فى علم الأصول، مطبعة الحلبى، القاهرة ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م.

* الفتاوى الكبرى، بيروت: دار المعرفة، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٥م.

* شرح الشفا للقاضى عياض، وغيرهما مما أفاض به من عطائه الفكرى، الذى أثرى به المكتبة الإسلامية والعربية.

تكريمه مصريًا وعربيًا

تقديرًا لما قدمه شيخنا الجليل حسنين محمد مخلوف -رحمه الله- كرمته مصر: فمنحته جائزة الدولة التقديرية فى العلوم الاجتماعية، ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى، وكسوة التشريفة العلمية من الدرجة الأولى مرتين: الأولى وهو رئيس محكمة طنطا، والثانية وهو مفتى للديار المصرية.

* ونال فضيلته -رحمه الله- جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م بالاشتراك مع سمو الأمير تنكو عبد الرحمن أول رئيس لوزراء ماليزيا: ١٣٢٠-١٤١٠هـ- ١٩٠٣-١٩٩٠م، وكما حصلا على الجائزة على عام واحد شاءت إرادة الله ولا راد لمشيئته أن يرحلا فى عام واحد أيضًا ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

* وفى يوم الأحد ١٩ رمضان ١٤١٠هـ- ١٤ أبريل ١٩٩٠م رحل إلى دار الخلود فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف فشيعه العالم الإسلامى بعلمائه وأعلامه ومسلميه على امتداد البسيطة لما غمرهم به من فكر وعلم وعطاء.

وفى ذكرى ميلاده ورحيله نزجى لروحه الطاهرة هذه الإطلالة: وفاء وإعزازا وتقديرًا لعلم من نبت أرض مصر الغالية الطاهرة «حماها الله»[1].

(١) صوت الأزهر: عبد المقصود السعيد عبد المقصود عدد ٢٠/٧/٢٠٠٧م.

موسى شاهين لاشين.. فارس الحديث وعلومه من المحبرة إلى المقبرة

فى قرية أسنيت مركز بنها بمحافظة القليوبية فى السادس من أبريل عام ١٩٢٠م كان مبتداه، وعلى فراش المرض بمنزله الكائن بمدينة نصر بمحافظة القاهرة فى السادس من يناير عام ٢٠٠٩م كان منتهاه عن عمر يناهز تسعة وثمانين عامًا.

إنه العالم العامل الثبت والأديب اللوذعى، والفارس الأول للمركز الدولى للسيرة والسنة بوزارة الأوقاف المصرية، وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ومجمع البحوث الإسلامية أيضًا -المترجم له الشيخ الدكتور موسى شاهين لاشين رحمه الله رحمة واسعة.

كان دائرة معارف تمشى على قدمين، هو البحر ما له من شاطئين، كان جل همه الانتصار للقرآن والسنة بصفة خاصة، وللشريعة الإسلامية بصفة عامة حتى آخر رمق فى حياته.

محدثًا متمكنا، ومفكرًا لا يبارى، ومثقفا ثقافة إسلامية وعربية عالية ومتنوعة، قدم النصح خالصا للراعى والرعية على سواء، وتصدى لأصحاب الفكر الشارد عن الإسلام بشجاعة العالم مهما تكبد من معاناة، وكياسة الفطن لبواطن الأمور، لأن طبيعته ترفض الباطل -أى باطل- ولعل ذلك من مفاتيح شخصيته رحمه الله.

نشأ عالمنا الدكتور موسى شاهين لاشين فى أسرة مستورة الحال، وحفظ القرآن الكريم كعادة أبناء القرى المصرية فى كتاب القرية (مكتب سيد سالم الذى كان جدًا له من جهة أمه)، وتولاه بالحفظ أخوه الأكبر جودة.

سلك شيخنا سنوات التعليم بالمعاهد الأزهرية، وكان أول طالب يدرس فى الأزهر من هذه القرية (بعد خال له أخذ الابتدائية من معهد طنطا) إلى أن حصل على شهادة الثانوية الأزهرية التى أهلته للالتحاق بكلية أصول الدين فحصل على الشهادة العالية (الليسانس) من كلية أصول الدين عام ١٩٤٦م، كما حصل على شهادة العالية مع إجازة التدريس (الماجستير) من كلية اللغة العربية عام ١٩٤٨م،

كما حصل على شهادة العالمية (الدكتوراه) فى التفسير والحديث من كلية أصول الدين عام ١٩٦٥م، اختارته إدارة المعاهد الأزهرية مدرسًا للتفسير والحديث لمدة عشرين عامًا تقريبًا (١٩٤٨-١٩٦٥م)، وتقديرًا لعلمه الوفير اختارته جامعة الأزهر مدرسًا بقسم الحديث بكلية أصول الدين منذ عام ١٩٦٥م، وتدرج فى سلك الجامعة أستاذًا مساعدًا للتفسير والحديث (١٩٧١-١٩٧٦م)، وأستاذًا ورئيسًا لقسم الحديث ١٩٧٦م، وعميدًا للكلية (١٩٧٩-١٩٨٢م)، وتقديرًا لمكانته العلمية عين رئيسًا للجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة فى أقسام التفسير والحديث والدعوة (١٩٧٧-١٩٨٤م)، وفى ١٩٧٩م تقلد منصب نائب رئيس جامعة الأزهر للدراسات العليا والبحوث بالانتداب، كما تقلد منصب رئيس المركز الدولى للسيرة والسنة بالمركز الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف منذ عام ١٩٩٤م حتى وفاته.

وفى أثناء عمله بالمعاهد الأزهرية والجامعة أعير للتدريس بكل من الدول العربية الشقيقة: الكويت، السعودية، ليبيا، الصومال، قطر.

من مفاتيح شخصيته التى تميز عالمنا بها: الصبر الجميل على المكاره نجد ذلك عندما احتسب عند الله تعالى زوجته الأولى مع كريمته العروس الشابة فى حادث أليم، ومن قبل عندما احتسب فى حياته ثلاثة من أبنائه وبناته وهم فى مقتبل عمرهم.

كما أن من مفاتيح شخصيته استثمار الوقت حتى فى لحظات المرض المؤلمة نجد ذلك عندما نقل مكتبه فوق فراش المرض ليسهل عليه التفرغ للاطلاع والتأليف.

ومن مفاتيح شخصيته أيضًا تمتعه بحب كوكبة عامرة من عارفى فضله من أساتذته وزملائه وتلاميذه من أمثال: الشيخ إبراهيم زيدان رحمه الله (الذى زوجه كريمته)، والدكتور محمد رشاد خليفة رحمه الله (الذى زوج ابنه لإحدى كريمات الفقيد)، والشيخ محمد متولى الشعراوى، والدكتور الحسينى هاشم، والدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق، والشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر السابق، والدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الحالى، والدكتور الأحمدى أبو النور، والدكتور أحمد عمر هاشم، والدكتور عبد الفضيل القوصى، والدكتور عبد المعطى بيومى، والدكتور مصطفى أبو عمارة، والدكتور عاطف أمان، والدكتور مروان شاهين، والدكتور البهى قرقر، والشيخ مازن السرساوى، وغيرهم الكثير والكثير.

كان فقيدنا لا يعرف تضييع الأوقـات، لذا كان من أهم جهوده قيامه بالتخطيط لمشروع موسوعة السنة (تخريج الأحاديث النـبوية والحكم عليها بالصحة أو الحسن أو الضعـف بمنهج علمى دقيق) فـقد ابتكر هذا المنهج لـطلابه فى جامـعة الأزهر ودرجوا عليه إلى وقـتنا الحاضر فى إعداد رسائـلهم للماجستيـر والدكتوراه، وظل طوال حيـاته يتابع نجـاخ هذا المنهج ويشـرف عليه مع أقـرانه وتلاميـذه فى إعداد الرسائل الجامعية منذ عام ١٩٧٦م حتى وفاته، فخرج منه العديد من المجلدات فى جامـعة الأزهر الشـريف، كمـا أشرف وناقش أكـثر من مائتى رسـالة ماجـستـير ودكتـوراه فى جامـعة الأزهر والإسكندرية بمصـر، وأم القرى والإمـام محـمد بن سعود بالـسعودية، وأم درمان بالسـودان، كما شارك فى ترقـية أكثر من خـمسين أستـاذًا فى الحديث والتفـسير والدعوة بالجـامعات المصـرية والسودانية والسـعودية والإماراتية، فضـلاً عن قيامه بالتدريس والمحاضرات لطلبـة الدراسات العليا بمصر والسعودية وليبـيا وقطر على مدى ثلاثين عامًا، كما شـارك فى تصحيح، المفاهيم المغلوطة ونشر الدعوة الإسلامية فى الإذاعات المرئية والمسموعة بنحو ألف حلقة فى مصر، ونحو خمسمائة حلقة فى قطر، وخمسين حلقة بالسعودية، وعشرين حلقة بالإذاعة البريطانية، كما أثرى الصحافة العربية والإسلامية بما يزيد على ألف فتوى وخمسـين مقالة ورد علمى فى صحافة مـصر، وعشر مقالات فى صـحافة قطر، ونحو خمس مقالات فى صحافة السعودية، كما سد فراغًا كبيرًا بالمكتبة الإسلامية بمؤلفات متميزة فى مجالى التفسير والحديث، منها: تيسير تفسير النسفى فى تفسير القرآن الكريم (خـمسة عـشر جزءًا) والذى درس لـطلاب المعاهد الأزهرية لحقـبة طويلة من الزمن، وقـد لاقى رواجًا كبـيرًا لدى الأساتذة والطـلاب بها، واللآلئ الحسـان على علوم القـرآن، والمنهل الحديث فى شـرح أحاديث البـخارى (أربـعة أجزاء) والذى يتـهافت عليه جمـوع الطلاب بمن فيهم طلاب الجمـعيات الشـرعية والأهلية بمصر، وفتح المنعم فى شرح صحيح مسلم (عشرة مجلدات) وهو المؤلف الذى قضى فـى إعداده حوالى ربع قـرن من عمـره، والذى يعد من أكـبر وأعظم مؤلف من مـؤلفات شيـخنا الجليل، وتحقـيق وتعليق صحـيح مسلم فى (خمـسة مجلدات) بـالاشتراك مع تلمـيذه الأسـتاذ الدكـتور أحمـد عمـر هاشم، وتيسـير

البخارى (ثلاثة مجلدات) وصحيح البخارى فى نظم جديد (أربعة مجلدات)، وقصص من الحديث النبوى (مجلدان) بالاشتراك مع كريمته الدكتورة أمانى موسى لاشين والدكتورة حصة السويدى من قطر، والموسوعة المختصرة للأحاديث النبوية (إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية)، وعلوم الحديث (جزء واحد)، وبحوث عديدة منها: السنة والتشريع، والسنة كلها تشريع، والحصون المنيعة للدفاع عن الشريعة، وكان خاتمة المطاف كتابه: تجديد الدين.

من مؤلفاته المخطوطة:

ومن مؤلفاته المخطوطة قيد الطبع: السلسبيل الجارى فى شرح صحيح البخارى، وتيسير معانى القرآن الكريم مع المصحف الشريف، والمبسط فى مصطلح الحديث، وحصادى الإعلامى، وغير ذلك مما تركه الشيخ رحمه الله.

عرض موجز لكتابه: الحصون المنيعة للدفاع عن الشريعة.

وقد حوى هذا الكتاب المطبوع ردوده على الأفكار المغلوطة فى بعض الصحف اليومية والمجلات الشهرية من ذلك مناقشته لفكر جماعة التكفير والهجرة والجماعات الإسلامية الأخرى، وزعماء حزب التجمع حول الفرق بين الإسلام والشيوعية، كما ناقش الأديب توفيق الحكيم حول أدب مخاطبة المولى عز وجل، كما تناول الرد على القائلين بتحديد ربح القرض، والساخرين من ثواب ليلة القدر، والمبيحين لنقل الأعضاء بالبيع أو التبرع بها أو الوصيلة بها، والمعترضين على الإفاضة فى تفسير القرآن الكريم، والمدعين بحق الاجتهاد فى الدين من غير المتخصصين فيه ولو خالفوا فى ذلك الكتاب والسنة، ومن ادعى أن أحاديث المعاملات من اجتهاد النبى محمد ﷺ وليست للتشريع أو من بابه، كما أن الأحاديث النبوية المتعلقة بالأكل والشرب واللباس والنوم ليست تشريعًا وليست مصدرًا للتشريع، ومن ادعى أن العين والحسد لا حقيقة لهما، وأن كل ما ورد فيهما من القرآن والسنة قابل للتأويل، كما كان له دور بارز وشجاع فى كشف مثالب قانون الأحوال الشخصية لسنة ١٩٧٩م، لمخالفته للشريعة الإسلامية مما أدى به إلى فقد مناصب رفيعة بالأزهر والحرمان منها، وقد قضت المحكمة الدستورية

ببطلانه بناء على نقده العلمى والشرعى لمثالب هذا القانون، كما كان له دور كبير فى الرد على القرآنيين الذين يأخذون بالقرآن دون السنة مع أن السنة فى الحقيقة هى المذكرة التفسيرية للقرآن الكريم الموضحة لمبهمه والمفسرة لمجمله، ومنكرها منكر للقرآن الكريم تبعًا لذلك.

من مظاهر التقدير التى حظى بها.

من مظاهر التقدير التى حظى بها: حصوله على جائزة الأوائل طوال سنوات الدراسة بالمعاهد الأزهرية، وجائزة عيد العلم لحصوله بنجاح على مراتب الشرف طوال سنوات الدراسة بالجامعة وذلك عام ١٩٦٤م، وحصوله على درع وزارة الداخلية وشهادة تقدير منها عام ١٩٨٢م لجهوده فى تصحيح المفاهيم المغلوطة لدى شباب جماعات التكفير والهجرة، وبقية الجماعات الأخرى، شهادات تقدير متعددة لما قام به من التوعية الدينية العامة من الجامعات والجمعيات الشرعية والأهلية ووسائل الإعلام المسموعة والمرئية منذ عام ١٩٦٥م حتى وفاته.

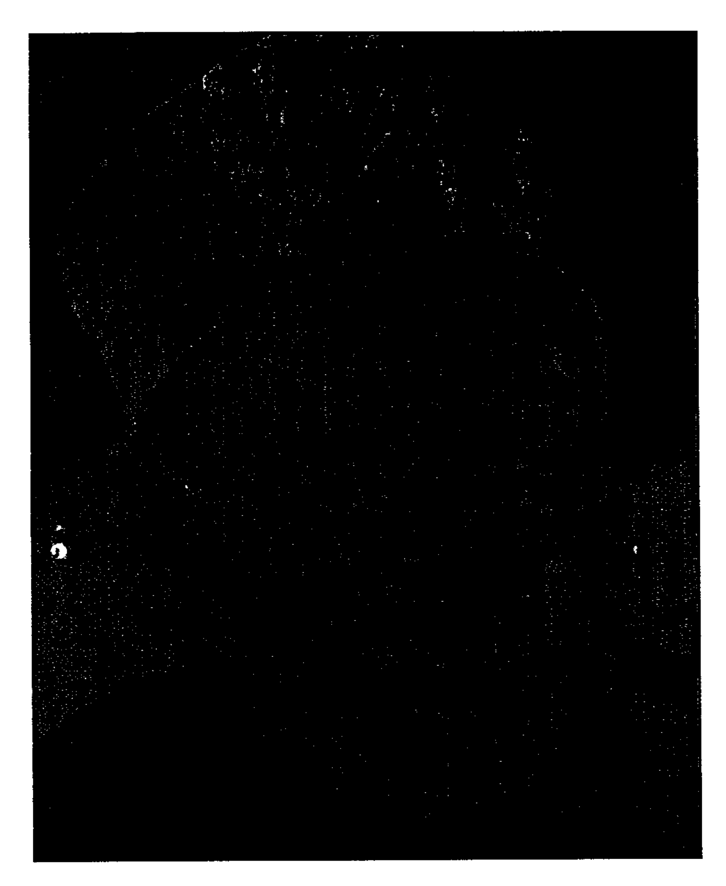
وقد توجت هذه الجوائز بحصوله من السيد رئيس الجمهورية على وسام جمهورية مصر العربية للعلوم والفنون والآدب من الطبقة الأولى فى عام ١٩٩٧م، وقد قدم قبل وفاته مؤلفاته وعلى رأسها كتابه الفريد فى بابه: فتح المنعم إلى إحدى مسابقات المؤسسات العلمية المختصصة بدولة الكويت الشقيقة، ولم يتم البت فيها حتى تاريخه.

ومن حسن الطالع أن إمام مسجد رابعة العدوية بالقاهرة يعد رسالة دكتوراه عن حياة الشيخ ومنهجه فى بحوثه وكتبه.

خاتمة المطاف:

وما ذكرته عنه غيض من فيض، وقطرة من محيط عطاياه، وقديمًا قالت العرب: كفى بالقلادة ما حف بالعنق، رضى الله عن شيخنا، وأسكنه فسيح جناته، وألهم أهله وتلاميذه ومحبيه وعارفى فضله الصبر والسلوان، ونفع بعلمه، وأوصل إليه ثوابه، وعوض الأمة الإسلامية عنه خير الجزاء... أمين[١].

(١) صوت الأزهر: د. ناصر محمود وهدان عدد ١٣/ ٢/ ٢٠٠٩.



صاحب الفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف أ.د. محمد سيد طنطاوى

فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ
الدكتور محمد سيد طنطاوى

١- ولد فضيلته بقرية سليم الشرقية -مركز طما- محافظة سوهاج- فى ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٢٨م.

٢- تلقى تعليمه الأساسى بقريته، ثم التحق بمعهد الإسكندرية سنة ١٩٤٤م، ثم كلية أصول الدين والتى تخرج منها عام ١٩٥٨م ثم تخصص تدريس عام ١٩٥٩م، ثم الدكتوراه فى ٥/٩/١٩٦٦م فى التفسير والحديث.

٣- عين فضيلته مدرسًا بكلية أصول الدين عام ١٩٦٨م، ثم عميدًا لكلية أصول الدين بأسيوط عام ١٩٧٦م ثم عميدًا للدراسات الإسلامية والعربية بنين عام ١٩٨٥م ثم مفتيًا للجمهورية فى ٢٨/ ١٠/ ١٩٨٦ ثم شيخًا للأزهر الشريف فى ١٩٩٦م.

٤- أعير إلى الجامعة الإسلامية بليبيا من عام ١٩٧٢م إلى عام ١٩٧٦م ثم رئيسًا لقسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من عام ١٩٨٠م إلى عام ١٩٨٤م.

نبذة عن مؤلفاته:

١- التفسير الوسيط للقرآن الكريم:

ويقع فى خمسة عشر مجلدًا وكتب فى بضعة عشر عامًا وطبع عدة مرات آخرها عام ١٩٩٣م بدار المعارف. والتفسير خال من الأقوال الضعيفة والباطلة ويبدأ بشرح الألفاظ القرآنية شرحًا لغويًا مناسبًا وبيان سبب النزول ثم معانى الآيات وتفصيلها والوجوه البلاغية والأحكام والتوجيهات الحكيمة من الأحاديث النبوية الشريفة.

٢- بنو إسرائيل فى القرآن الكريم:

ويقع فى مجلدين الأول منه (تاريخ بنو إسرائيل فى مختلف عصورهم) منه

مسالك اليهود فى العهد النبوى. والمجلد الثانى (رذائل اليهود كما صورها القرآن)- ورد القرآن على دعواهم الباطلة.

٣- معاملات البنوك وأحكامها الشرعية:

وطبع هذا الكتاب ثلاثة عشر مرة وتحدث عن: الشريعة الإسلامية- والمعاملات فى الإسلام- والربا ومنهج الإسلام- والقروض- والديون- والودائع- والاستثمار والحكم الشرعى للتعامل.

٤- الدعاء:

وفيه الدعاء- آدابه- الدعاء والقضاء والقدر- والدعاء المستجاب- خاتمة ورجاء.

٥- السرايا الحربية فى العهد النبوى:

وفيه يوضح معنى السرية والغزوة وعدد الغزوات وأهدافها وأسبابها.

٦- القصة فى القرآن الكريم:

هذا الكتاب يقع فى مجلدين والذى يتحدث فيه فضيلته عن قصة سيدنا آدم وابنيه ونوح وهود وصالح وإبراهيم وموسى وعيسى وعن جميع الأنبياء فى القرآن الكريم وعن قصة أصحاب الأخدود وصاحب الجنتين وذى القرنين وسيل العرم وأصحاب الكهف وسيدنا محمد ﷺ.

٧- أدب الحوار فى الإسلام:

يتحدث هذا الكتاب عن أسس الحوار فى الإسلام ونماذج المحاورات حول اليوم الآخر والمحاورات التى دارت بين الرسل وبين أقوالهم.

٨- الاجتهاد فى الأحكام الشرعية:

تحدث فى هذا الكتاب عن معنى الاجتهاد وشروطه وحكمه وضوابطه ونماذج من اجتهاد الرسل واجتهاد الرسول والصحابة والخلفاء الراشدين والتابعين والأئمة الأربعة وتحدث عن اختلاف الفقهاء.

٩- أحكام الحج والعمرة:

وتحدث فى هذا الكتاب عن أركان الحج وشروطه وواجباته وسننه بالتفصيل.

١٠- الحكم الشرعى فى أحداث الخليج:

وصدر هذا الكتاب فى أعقاب حرب الخليج سنة ١٩٩٠م حيث بين فضيلته الحكم الشرعى فى عدوان دولة على دولة مسلمة أخرى.

١١- تنظيم الأسرة ورأى الدين فيها:

وقد أوضح فضيلته الفرق بين التحديد والتعقيم والإجهاض وهل تنظيم الأسرة جائز من الناحية الدينية.

١٢- مباحث فى علوم القرآن:

فى هذا الكتاب تحدث فضيلته عن التعريف بعلوم القرآن وموضوعه وفوائده وبأسمائه ومقاصده وأول ما أنزل وأخر ما أنزل والمكى والمدنى وأسباب النزول وجمعه وكتابته وآداب التلاوة.

١٣- العقيدة والأخلاق:

وتحدث عن تعريف العقيدة وحاجة الإنسان إليها وعن تطورها والأدلة على وجود الله ووحدانيته والقضاء والقدر وأفعال العباد وحاجتهم للرسل وصفات الرسل وعددهم ووحدة رسالتهم ومعجزاتهم وعصمتهم ودفع الشبهات عنهم وعن الملائكة والجن وأحوال القبر واليوم الآخر وعلامات الساعة وختم الكتاب عن الأخلاق فى الإسلام.

١٤- الفقه الميسر:

وتحدث فى هذا الكتاب عن أركان الإسلام فبدأ بالصلاة وأركانها وواجباتها وآدابها وصحتها وأنواعها.

١٥- عشرون سؤالاً وجوابًا:

فى هذا الكتاب أجاب فضيلته عن عشرين سؤالاً تتعلق بالمعاملات التى تجرى بين الناس.

١٦- فتاوى شرعية:

فى هذا الكتاب ذكر فضيلته الإجابات الشرعية للمسائل التى يحتاجها المسلمون.

١٧- المنهج القرآنى فى بناء المجتمع:

فى هذا البحث تحدث عن المنهج القرآنى الذى رسمه الله فى سورة النساء للمجتمع خارجيًا وداخليًا.

١٨- المرأة فى الإسلام:

وفى هذا الكتاب بين وجوه المساواة بين الرجل والمرأة ووجوه الاختلافات فيما يتعلق بالخصائص التى منحها الله لكل فريق منهم.

مؤلفات فضيلته:

* التفسير الوسيط للقرآن الكريم. خمسة عشر جزءًا.
* بنو إسرائيل فى القرآن والسنة.
* معاملات البنوك وأحكامها الشرعية.
* الدعاء.
* السرايا الحربية فى العهد النبوى.
* القصة فى القرآن الكريم.
* أدب الحوار فى الإسلام. جزءان
* الاجتهاد فى الأحكام الشرعية.
* أحكام الحج والعمرة.
* تنظيم الأسرة ورأى الدين.
* مباحث فى علوم القرآن الكريم.
* العقيدة والأخلاق.
* الفقه الميسر.
* عشرون سؤالاً وجوابًا.
* فتاوى شرعية.

* المنهج القرآنى فى بناء المجتمع.
* المرأة فى الإسلام بالمشاركة.
* جوامع الدعاء من القرآن والسنة.
* الحكم الشرعى فى أحداث الخليج.
* أحكام الصيام.
* الشائعات الكاذبة وكيف حاربها الإسلام.
* الفقه الميسر ثلاثة أجزاء.

حوار مع الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى:

يرفض شيخ الأزهر أن يضع فى منزله تكييفًا فى هذا الجو الحار ويكتفى بمروحة أحضرها معه من المدينة المنورة، وقت أن كان يعمل بمكة المكرمة أربع سنوات أستاذًا، اعتبرها أفضل أيام حياته واعتبر أيامه فيها أسعد الأيام، فقد أنعم الله عليه فى هذه السنوات بالمال والصحة وراحة البال، الأمر الذى يفتقده كثيرًا فى هذه الأيام، فمنصب شيخ الأزهر منصب تحوطه الهموم من كل جانب، ليس فقط همومه الشخصية، ولكنها هموم العالم الإسلامى ككل، فأنى لصاحب هذا المنصب أن يجد راحة البال؟!

وفى السنوات الأخيرة ازدادت هذه الهموم أثقالاً فوق أثقال، حرب هنا وإبادة هناك، واضطهاد فى مكان ثالث، ذهبت إليه بحثًا عن مكان آخر وجانب آخر للحوار بعيدًا عن كل هذه الهموم، وهو جانب الأسرة، الزوجة والأولاد والأحفاد.. وفى منزله الكائن بمدينة نصر، استقبلنا حرسه الخاص متعجبًا فلم يسبق لفضيلته أن أجرى حوارًا فى مثل هذا الوقت المتأخر من الليل عقب صلاة العشاء، فأجبتهم، لهذا الحديث خصوصية تناسب خصوصية المكان والموعد.

وفى الدور الأول حيث خصص فضيلته شقة فسيحة لاستقبال ضيوفه وزواره ومريديه، استقبلنا بجلبابه الأبيض فى بساطة تعودناها فيمن تلحف بعباءة الأزهر.

وهبنى للعلم:

قلت له: متى بدأت رحلتك مع العلم؟ فقال فضيلته:

بداية.. لقد ولدت فى قرية سليم الشرقية - مركز طما بمحافظة سوهاج فى يوم ٢٨/ ١٠/١٩٢٨، وقرر والدى أن يهبنى منذ مولدى للعلم، ولذا جعلنى أحفظ القرآن الكريم، وبالفعل أتممت حفظه وأنا فى سن الرابعة عشرة، ثم التحقت بمعهد دمنهور الأزهرى حيث أتممت الدراسة وتخرجت بترتيب لا بأس به وقد كانت درجاتى تسمح لى بالالتحاق بكلية اللغة العربية التى كانت لا تقبل فى ذلك الوقت إلا أعلى الدرجات باعتبارها من كليات القمة، ولكننى فضلت الالتحاق بكلية أصول الدين، وتخرجت منها بتقدير لا بأس به، ثم عملت مدرسًا بها، ثم أستاذًا مساعدًا فى أسيوط ثم عميدًا لكلية أصول الدين مدة عشر سنوات، ثم عميدًا لكلية الدراسات الإسلامية والعربية فى عام ١٩٨٦، وهو نفس العام الذى صدر فيه قرار جمهورى بتعيينى مفتيًا للديار المصرية.. وبعد ذلك توليت منصب شيخ الأزهر.

ثلث القرآن:

حصل فضيلة الإمام على درجة الدكتوراه فى تخصص التفسير والحديث وكان موضوعها «بنو إسرائيل فى القرآن الكريم».

وعن سبب اختياره لهذا الموضوع يقول:

إن ثلثى القرآن الكريم يتعرض لبنى إسرائيل بإسهاب وتفصيل كما أن هناك خمسة عشر نبيًا من أنبياء الله كلهم من بنى إسرائيل، وإسرائيل هو سيدنا يعقوب عليه السلام والكلمة تعنى «صفى الله».

ولقد سافر فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى مبتعثًا من الأزهر للعمل فى ليبيا كما سافر إلى مكة المكرمة لنفس الغرض، وبقى بها أربع سنوات يقول عنها: كانت أسعد أيام حياتى، لم أر مثلها قط فقد كانت تغمرنى آنذاك راحة نفسية ومادية وعملية، ولذا أعتبرها أفضل أيام حياتى.

بنت وولدان:

تزوج فضيلة الدكتـور محمد سيد طنطاوى شـيخ الأزهر زواجًا تقليديًا من ابنة عمه، وكـانت آنذاك تقيم فى الإسكندرية، وقد أسفـر هذا الزواج عن إنجاب بنت هى أسماء خريجـة كلية الطب من جامعة الأزهر، وولدان همـا أحمد ويعمل فى الجهاز المركزى للمحاسبات وعمر ويعمل وكيلاً للنائب العام.

أحمد الله:

لم يمنع فضيلة الشيـخ محمد سيد طنطاوى ابنته وولديه من ممارسـة ما يرغبون فيه من هوايات شرط أن تكون هذه الممارسـات فى نطاق المدرسة فاشترك ولداه فى لعب ماتشات كـرة القدم كما ذهبا مع المدرسـة فى رحلات عدة، أما أسمـاء فقد أتيحت لها الفرصـة لممارسة مختلف الأنشطة مثل الأشـغال اليدوية والرسم. وفى ذلك يقول فـضيلة الإمـام: مارس أبنائى مخـتلف الهوايات فى نطاق مـدارسهم، وأحمد الله أنهم يحافظون على فروض الله كما يلتزمون بالسلوك القويم.

ليس كله:

أسأل فضيلتـه: هل يحفظ الأولاد القرآن الكريم كاملاً؟ فيجـيب: لم يستطيعوا أن يحفظوا القرآن الـكريم كاملاً لأنهم لم يدخلوا مدارس أزهرية، فقـد انتقلنا فى عـدة أماكن، وكنت أسكن فـى مكان لا يوجد بالقـرب منه مـعهـد أزهرى، لذا ألحقت أولادى بالمدارس العـامة وفى نفس الوقت حفظوا أجـزاء من القرآن ولكن ليس كل القرآن الكريم.

اختلاط منبوذ:

لم تعان أسماء الابنة الكبـرى لفضيلة الإمام الأكبر من مـشكلة الاختلاط لأنها كانت طالبة فى جـامعة الأزهر، حيث لا يوجد اختلاط، وعن ذلك يـقول فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى:

أنا أعتـبر أن الاخـتلاط بمعنى أن تجلس الفـتاة إلى جـوار زميلهـا فى الجامـعة يتحدثان فى لغـو لا داعى له وأمور شخصية لا عـلاقة لها بالعلم أعتبـره اختلاطًا

منبوذًا لا أوافق عليه ويرفضه الشرع، أما الاختلاط بمعنى أن تجلس الفتيات فى مدرجات والفتيان فى مدرجات أخرى، ولا يوجد بينهما إلا كل احترام وتقدير ويتسم سلوكهم بالانضباط، فهو اختلاط لا أعترض عليه، لأننى أدرك أنه من الصعب بمكان أن تخصص قاعات للفتيات وأخرى للبنين، لذا فمن الممكن أن تجلس الفتيات فى مدرجات خاصة بهن وكذا البنين.

حماية لهم:

سألته: هل ترى فضيلتكم أن تدريس الثقافة الدينية فى المرحلة الجامعية للطلاب أمر ضرورى فى ظل السلبيات التى انتشرت بين طلاب الجامعة؟

فأجاب: إننى أؤيد هذا تمامًا بل وأطالب المسئولين فى الجامعات من الأساتذة كما أطالب رجال الدين بأن يضطلعوا بهذه المسئولية، ويشتركوا فى وضع المنهج المناسب، فمن المهم أن يدرس الطالب الدين منذ دخوله المدرسة وحتى تخرجه من الجامعة، فهو يحصنه من الوقوع فى الخطأ، ويكون له حماية ووجاء ضد الانحراف أو التطرف.

واإسلاماه:

لم يكن أبناء فضيلة الإمام الأكبر يذهبون إلى المسرح أو السينما ولا يعنى ذلك أنه منعهم من ذلك، فهو يرى أنه لا غبار على المسرح والسينما إذا ما قدما أعمالاً ترقى بحس الإنسان وذوقه وتزرع فيه القيم السامية وتقوى عنده الأخلاق المتينة.

والدليل على ذلك أن فضيلته كان يشترك ضمن فريق المدرسة فى تمثيل مسرحية واإسلاماه وفى ذلك يقول: كنا أعضاء فى جمعية الشبان المسلمين وكان يرأسها فى ذلك الوقت الأستاذ أحمد الشرباصى، وكان بالجمعية فرقة مسرحية تقدم أفضل الأعمال التاريخية والإنسانية، وأذكر أننى اشتركت فى تمثيل مسرحية واإسلاماه.

نحتاج للتخصص:

أسأله: ألا يمكن للأزهر فى ظل ندرة الأفلام السينمائية والأعمال المسرحية التى تقدم التاريخ الإسلامى أو الشخصيات الإسلامية أن يساهم فى إنتاج أمثال هذه الأعمال؟

فيجيب فضيلته: الأزهر يشجع ويساند كل عمل يدعم القيم الدينية والأخلاقية لدى الناس وهو يشجع إنتاج أفلام ومسرحيات ومسلسلات تتناول الشخصيات الإسلامية والقيم الأخلاقية إلا أن إنتاج مثل هذه الأعمال يحتاج إلى المتخصصين فى كتابة السيناريو وفى الإخراج وفى أمور كثيرة، الأزهر بعيد عنها.

الأغنية وحكم الشرع:

لا يرى فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى فى سماع الأغانى ما يحرمه الشرع، بشرط ألا تتضمن كلمات هذه الأغنيات ما يؤذى الشعور ويهبط بالأحاسيس ويقول:

الحكم الشرعى فى الأغنية أن حلالها حلال وحرامها حرام، بمعنى أن الحكم يتوقف على ما نسمعه فيها من كلمات، فإذا كانت هذه الكلمات تتضمن ألفاظًا فيها فسق وخروج عن حدود الأدب والأخلاق فهى حرام، وهذا الأمر لا نجده فى الأغانى الوطنية، إننى أذكر أثناء العدوان الثلاثى أغنية عظيمة هى «الله أكبر» التى كتبها الأستاذ عبد الله شمس الدين، هذه الأغنية تثير الحماس فى النفوس وتعلى الهمم، وقد كان جنودنا يرددونها وهم يعبرون القناة فى حرب أكتوبر.

نعم للادخار:

ادخر فضيلة الإمام لأبنائه أموالاً فى البنوك قبل أن يستقلوا بحياتهم، فهو لا يرى فى ذلك بأسًا وقد كتب كثيراً عن قضايا معاملات البنوك وألف كتابًا حول معاملات البنوك وعن ذلك يقول: التعامل مع البنوك أمر من اثنين، إما أنك تعطيها مالاً تستثمره لك أو تأخذ منها مالا. فإن وضعت مالا فى البنك كى تستثمره لك ويعطيك ربحًا معينًا فهذا حلال ولا شيء فيه، وأنا أرى أن تحديد الفائدة أو الربح لا حرمة فيه بل هو الأقرب إلى روح الشرع خاصة وأن هذه الفائدة تتغير بين وقت وأخر طبقًا للدراسات.

وإن أخذت مالا من البنك على سبيل الدين أو القرض، لا يجوز أن تأخذه إلا كرأس مال، وعلى سبيل المثال يأتى شخص يبنى مصنعًا ويقوم بعمل دراسة جدوى لهذا المشروع يقدمها إلى البنك وهى تتضمن التقدير المبدئى للربح المتوقع، فيقوم

البنك بمراجعة هذه الدراسة عن طريق خبرائه ويتأكد من صحة أو جدوى هذه الدراسة، ومن التقدير المبدئى للربح فيوافق على أن يأخذ جزءاً من هذا الربح.. هذه صورة لا غبار عليها من الدين.

أما القرض بمعنى إعطاء الغير، فينبغى ألا يلجأ إليه الإنسان إلا إذا كان يتوقف عليه حياته كأن يقترض لشراء دواء ينقذ به حياته مثلاً.. وينبغى أن ندرك الفرق بين الضروريات والحاجات والكماليات.

فالقرض لا يؤخذ إلا للضروريات وإلا أصبح المقترض مستحلاً للربا[1].

هذه المرة طلبت «أكتوبر» من فضيلة المفتى الدكتور محمد السيد طنطاوى أن يكتب بيده الأسباب والمبررات التى جعلته يقرر بأن عائد صندوق التوفير حلال وأن أرباح شهادات الاستثمار حلال.. وسألته بصراحة: لماذا اختلف مع لجنة الفتوى بالأزهر.. وبصراحة أكبر: هل هناك من يؤيد موقفه من كبار العلماء الراحلين أو الأحياء.. وبصراحة أكثر وأكثر: لمصلحة من، يتفرغ البعض للتشكيك فى آراء المفتى.. غيرة على دين الله.. أم غيرة على مصالحهم.. ونترك لفضيلة المفتى أن يكتب شهادته بيده للتاريخ.

* ما الحكم الشرعى بالنسبة للتعامل فى صناديق التوفير؟

** صناديق التوفير تعد من أقدم المعاملات التى ظهرت فى مصر، والغرض منها: تعويد الطلاب والطالبات بصفة خاصة، وأفراد المجتمع بصفة عامة، على الإدخار، وعلى احتجاز جزء من أموالهم -مهما كان صغيراً- لوضعه فى صندوق التوفير، وأخذه مع أرباحه عندما تدعوهم الحاجة أو الضرورة إلى ذلك.

وقد طلبت من السيد الأستاذ عمر عامر -رئيس مجلس إدارة الهيئة القومية للبريد، والتى تتبعها صناديق التوفير- طلبت من سيادته أن يعطينى فكرة واضحة عن الغرض من إنشاء صناديق التوفير، فأجابنى سيادته فى خطاب له بتاريخ ١٤/ ٤/ ١٩٩٣ بما يلى:

---

(١) صوت الأزهر: تحقيق وحوار فى عدد ١٢/ ١١/ ١٩٩٩- حاولت أكثر من مرة أن أحصل من فضيلته أن يمنحنى السيرة الذاتية وفى كل مرة يعتذر أمد الله تعالى فى عمره.

«تقوم الهيئة القومية للبريد عن طريق منافذها، بتجميع مدخرات المواطنين لترسلها إلى بنك الاستثمار القومى الذى يدعم المشروعات الصناعية والزراعية والتجارية للدولة.

ويأخذ البنك مقابلاً لذلك من أرباح هذه المشروعات نصيبًا معينًا، يدفع منه لأصحاب هذه الأموال -عن طريق هيئة البريد- ما تم الاتفاق عليه.

هذا هو نص خطاب السيد الأستاذ عمر عامر إلى دار الافتاء المصرية فى شأن التعامل عن طريق صناديق التوفير.

ومن الطرائف أنه خلال زيارة فضيلة شيخنا الأستاذ عبد المعز عبد الستار لدار الافتاء المصرية، وتطرق الحديث مع فضيلته إلى مسألة معاملات البنوك، أخبرنى فضيلته بأن هيئة البريد منذ أكثر من خمسين سنة، كانت تتعامل مع أصحاب الأموال على سبيل الوكالة منهم لها.

واتصلت بالأستاذ جميل راشد خلف - مدير عام صندوق البريد- وطلبت من سيادته صورة من الإيصالات التى كانت تعطيها للمتعاملين معها، فأرسلها إلي وفيها: أنا الموقع أدناه. . أرغب فى فتح حساب بصندوق التوفير، وقد وكلت صاحب السعادة -مدير عام مصلحة البريد- توكيلاً عامًا فى استعمال المبالغ التى أدفعها. . إلخ.

وهذا الذى جاء فى إيصالات هيئة البريد من أن التعامل معها على سبيل الوكالة المطلقة من صاحب المال للسيد مدير عام مصلحة البريد، هو الذى نميل إليه ونرجحه فى التعامل مع جميع البنوك.

ولاشك أن الوكالة من المعاملات الشرعية التى أباحتها شريعة الإسلام، ونرى أنها أولى وأفضل من غيرها من المعاملات الأخرى بالنسبة لما يقدمه من أموال إلى البنوك لتقوم هذه البنوك باستثمارها نيابة عنهم، وتعطيهم فى مقابل ذلك ربحًا معينًا تم التراضى عليه من الطرفين تراضيا مشروعًا لا يشوبه شيء مما حرمه الله تعالى.

هذا، وقد أبدى كثير من العلماء رأيهم فى الحكم الشرعى، لأرباح صناديق التوفير. والذى نراه ونرجحه هو الرأى الذى كتبه فضيلة الشيخ محمود شلتوت - رحمه الله- منذ عشرات السنين.

وقد نشر رأى فضيلته هذا فى كتابه «الفتاوى» ص٣٣٣ -مطبعة الأزهر- سنة ١٣٧٩هـ سنة ١٩٥٩م، وهذا نص ما كتبه -رحمه الله وطيب ثراه-.

قال فضيلته: يرى بعض علماء الحلال والحرام أن الربح الذى تدفعه مصلحة البريد لأصحاب الأموال المودعة فى صندوق التوفير حرام، لأنه إما فائدة ربوية للمال المودع أو منفعة جرها قرض، وكلا الأمرين حرام فى نظر الشريعة، وعلى هذا يجب رده ويحرم أخذه والانتفاع به.

والذى نراه تطبيقًا للأحكام الشرعية، والقواعد الفقهية السليمة، أنه حلال ولا حرمة فيه. ذلك أن المال المودع لم يكن دينًا لصاحبه على صندوق التوفير، ولم يقترضه صندوق التوفير منه، وإنما تقدم به صاحبه إلى مصلحة البريد من تلقاء نفسه، طائعًا مختارًا، ملتمسًا قبوله إياه، وهو يعرف أن المصلحة تستغل الأموال المودعة لديها فى مواد تجارية، ويندر فيها -إن لم ينعدم- الكساد أو الخسران. وقد قصد بهذا الإيداع:

أولاً: حفظ ماله من الضياع. وتعويد نفسه على التوفير والاقتصاد.

وثانيًا: إمداد المصلحة بزيادة رأس مالها ليتسع نطاق معاملاتها وتكثر أرباحها فينتفع العمال والموظفون، وتنتفع الحكومة بفاضل الأرباح.

ولاشك أن هذين الأمرين: تعويد النفس على الاقتصاد، ومساعدة المصلحة الحكومية، غرضان شريفان كلاهما خير وبركة، ويستحق صاحبهما التشجيع، فإذا ما عينت المصلحة لهذا التشجيع قدرًا من أرباحها منسوبًا إلى المال المودع أى نسبة تريد، وتقدمت به إلى صاحب المال، كانت دون شك معاملة ذات نفع تعاونى عام، يشمل خيرها صاحب المال والعمال والحكومة، وليس فيها هذا النفع العام أدنى شائبة لظلم أحد أو استغلال لحاجة أحد.

ولا يتوقف حل هذه المعاملة على أن تندمج فى نوع من أنواع الشركات التى عرفها الفقهاء، وتحدثوا عنها وعن أحكامها.

وفى الواقع أن هذه المعاملة بكيفيتها تلك، وبظروفها كلها، وبضمان أرباحها لم تكن معروفة لفقهائنا الأولين وقت أن بحثوا الشركة ونوّعوها واشترطوا فيها ما اشترطوا. وليس من ريب فى أن التقدم البشرى أحدث فى الاقتصاديات أنواعًا من العقود والاتفاقيات المركزة على أسس صحيحة لم تكن معروفة من قبل.

ومادام الميزان الشرعى فى حل التعامل وحرمته قائمًا فى كتاب الله ﴿**والله يعلم المفسد من المصلح**﴾ ﴿**لا تظلمون ولا تظلمون**﴾، فما علينا إلا نحكمه، ونسير على مقتضاه.

ومن هنا يتبين أن الربح المذكور، ليس فائدة لدين حتى يكون ربا، ولا منفعة جرها قرض حتى يكون حرامًا على فرض صحة النهى عنه، وإنما هو -كما قلنا- تشجيع على التوفير والتعاون اللذين يستحبهما الشرع.

هذا ما كتبه فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت -رحمه الله- منذ ما يقرب من أربعين سنة، وهو -كما ترى- كلام جيد صادر من عالم فقيه، قوى الحجة، سليم التفكير، واسع الأفق، غيور على مصلحة أمته.

ولا التفات إلى قول من قال: إن فضيلته قد رجع عن هذه الفتوى فى أواخر حياته، فإنه قول ساقط لا دليل عليه؛ فقد سألت أنا شخصيًا الأستاذ أحمد نصار -صهر فضيلة الشيخ والمشرف على طبع مؤلفاته- عن هذه الإشاعة، فأجابنى سيادته بأن هذه الفتوى لم يرجع عنها فضيلة الشيخ شلتوت، بل هى رأيه إلى أن لقى ربه -عز وجل-.

وإنى فى النهاية أقول: إنى أقترح أن يكون اشتراك الطلاب والطالبات فى صناديق التوفير إجباريًا منذ التحاقهم بالمراحل الابتدائية إلى حين تخرجهم فى الجامعات- وأن يكون هذا الاشتراك بمبلغ شهرى أو سنوى معقول، حتى نعود أبناءنا وبناتنا على الادخار وعلى العطاء، وستعود إليهم هذه المبالغ التى اشتركوا بها فى يوم من الأيام ومعها أرباحها النافعة -إن شاء الله- فالأمم السعيدة هى التى تربى فى أبنائها وبناتها حب الاقتصاد والادخار والعمل لكى ينفعهم فى مستقبلهم.

* ما الحكم الشرعى فى التعامل مع البنوك عن طريق شهادات الاستثمار أو ما يشبهها من معاملات؟

** سبق لدار الإفتاء المصرية، أن أصدرت فى السادس من شهر سبتمبر سنة ١٩٨٩، فتوى مطولة بشأن الحكم الشرعى لشهادات الاستثمار وما يشبهها من معاملات، وانتهت فيها إلى أن التعامل فيها حلال، وأن الأرباح التى تأتى عن طريقها حلال. ولقيت هذه الفتوى ما لقيت من تأييد المؤيدين، ومن معارضة المعارضين.

وقد نشرت هذه الفتوى بمعظم الصحف المصرية، وأثبتها فى كتابى «معاملات البنوك وأحكامها الشرعية» الذى طبع حتى الآن ثلاث عشرة طبعة -والحمد لله-

والسؤال الذى أريد أن أسأله لكل عاقل:

هل مفتى مصر هو أول من قال بأن التعامل فى شهادات الاستثمار وما يشبهها من معاملات حلال؟ وإذا كان مفتى مصر ليس أول من قال بذلك، فلماذا هذه الحملة الضالة على دار الإفتاء المصرية وعلى مفتى مصر من جانب أناس منهم السفهاء ومنهم الجهلاء ومنهم أصحاب المنافع الخاصة الذين يريدون تفسير الأحكام الشرعية حسب أهوائهم، ومنهم الصم البكم الذين إن حفظوا شيئًا غابت عنهم أشياء؟

لقد قابلت دار الإفتاء المصرية ما وجه إليها من تهم كاذبة، ومن تطاول رخيص، ومن سوء أدب فى الحوار.. قابلت كل ذلك بالصبر الجميل، وبالمنطق القويم، وبالحجة الناصعة التى تزهق باطل السفهاء والجهلاء وأصحاب النوايا السيئة التى تدفعهم إليها مصالحهم الخاصة.

وأنا أريد هنا أن أسوق جانبًا من آراء العلماء الأعلام الذين سبقونى فى الكلام عن الحكم الشرعى للتعامل فى شهادات الاستثمار وما يشبهها من معاملات.

أولاً: رأى فضيلة الأستاذ الكبير المرحوم الشيخ على الخفيف -رئيس قسم الشريعة الأسبق بكلية الحقوق جامعة القاهرة- وعضو مجمع البحوث الإسلامية- كتب فضيلته بحثًا فقهيًا دقيقًا للمؤتمر السابع لمجمع البحوث الإسلامية، المنعقد فى شهر شعبان سنة ١٣٩٢هـ الموافق لشهر سبتمبر سنة ١٩٧٢م، وقد نشر هذا البحث فى كتاب «مجمع البحوث الإسلامية» تحت عنوان: «بحوث اقتصادية وتشريعية»

من ص١١٧ إلى ص١٤٥ وكان عنوان هذا البحث القيم: «حكم الشريعة على شهادات الاستثمار بأنواعها الثلاثة، تطبيقًا للقواعد الفقهية العامة والأصول الشرعية للمعاملات» وقد افتتح فضيلته -رحمه الله وطيب ثراه- هذا البحث بقوله: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى جاءنا بالحق المبين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فهذا بحث وضعته فيما انتهى إليه رأيى فى حكم شهادات الاستثمار التى يصدرها البنك الأهلي، نيابة عن الحكومة، من الوجهة الشرعية الفقهية، مهتديًا فى ذلك بما وضعه الفقهاء من قواعد، وسنُّوه من أصول.

وأبدأ هذا البحث بذكر الأصول التى اتخذتها أساسًا له، وسبيلاً إلى التعرف على الحكم الشرعى فيما يصدره البنك الأهلي نيابة عن الحكومة من شهادات الاستثمار. .

ثم قال فضيلته: الأصل الأول: للناس في مجالات المعاملات المالية التى تتوقف عليها معايشهم وتتوافر بها مصالحهم، أن يستحدثوا من العقود -فى حدود الشريعة وأصولها- ما تدعو إليه حاجاتهم، وتحملهم عليه مصالحهم، دون أن يلحقهم حرج بهذا الاستحداث، لأن العقود ما شرعت إلا لتكون وسيلة لسد الحاجات، وطريقًا لنيل المصالح. .

وبعد أن أفاض فضيلته فى الحديث عن الأصول الثانى والثالث والرابع، وعن تكييف شهادات الاستثمار وعن أقسامها، وعن وسائل الاستثمار، وعن عقد الاستثمار، بعد كل ذلك قال فضيلته: ومما تقدم بيانه يتضح أن ليس فى هذا العقد غرر فاحش بأحد طرفيه، فصاحب المال عالم بمآل ماله، وأن ماله سيرد إليه كاملاً عند طلب استرداده، كما أنه واثق مطمئن بما ابتغاه من ربح في ماله، وكذلك الحكومة، ما أقدمت على هذا النوع من التعامل إلا عن بينة وطمأنينة بنتائجها ومآلها. . وبناء علي ما ذكرت يكون هذا التعاقد -فيما وصل إليه نظرى واجتهادى- عقدًا جائزًا. ذلك رأيى وظنى فإن يكن صوابًا فمن الله، وإن يكن خطأ فما أسرع عدولى عنه، إذا ما تبين لى وجه الخطر، وأن نظرى فيه قد انحرف أو غفل أو ضل، والعصمة لله، والله الموفق للصواب.

هذا جانب مما قاله فضيلة الأستاذ الشيخ على الخفيف -رحمه الله- منذ أكثر من عشرين سنة بشأن الحكم الشرعي بالنسبة للتعامل فى شهادات الاستثمار، وقد انتهى فيه إلى جوازها وحلها.

ثانيًا: رأى فضيلة الأستاذ المرحوم الشيخ يس سويلم طه - الأستاذ السابق بكلية الشريعة وعضو لجنة الفتوى كتب فضيلته بحثًا صافيًا للمؤتمر السابع لمجمع البحوث الإسلامية المنعقد سنة ١٩٧٢م، في كتاب مجمع البحوث الإسلامية من ص٢٥٣ إلى ص٢٦٣، وكان عنوان البحث: «حكم الإسلام فى أرباح شهادات الاستثمار، وودائع صناديق الإدخار».

وقد انتهى فيه إلى حل التعامل بهاتين المعاملتين وإلي حل الأرباح الناتجة عنهما.

ثالثًا: رأى لجنة البحوث الفقهية بمجمع البحوث الإسلامية.

عقدت لجنة البحوث الفقهية ثلاثة اجتماعات موسعة، لبحث حكم شريعة الإسلام فى شهادات استثمار البنك الأهلى المصرى بأنواعها الثلاثة أ، ب، جـ، وكان أول هذه الاجتماعات بإدارة الأزهر بتاريخ ١٧/ ٣/ ١٩٧٦.

وكانت هذه اللجنة برئاسة فضيلة المرحوم الشيخ محمد فرج السنهورى -عضو مجمع البحوث الإسلامية-، وكانت تتكون من ثلاثة عشر عالمًا من خيرة العلماء، يمثلون المذاهب الأربعة:

خمسة منهم يمثلون المذهب الحنفي، وهم أصحاب الفضيلة الأساتذة: عبد الله المشد، ومحمد الحسينى شحاته، وعبد الحكيم رضوان، ومحمد سلام مدكور، وزكريا البري.

وأربعة منهم يمثلون المذهب المالكى، وهم أصحاب الفضيلة الأساتذة: عبد الجليل عيسى، ويس سويلم، والسيد خليل الجراحى، وسليمان رمضان.

وثلاثة يمثلون المذهب الشافعي، وهم أصحاب الفضيلة الأساتذة: محمد جيرة الله، وطنطاوى مصطفى، وجاد الرب وواحد يمثل المذهب الحنبلى، وهو: فضيلة الشيخ عبد العظيم بركة.

وقد قال ثمانية منهم بحل التعامل فى شهادات الاستثمار وأرباحها، وهم: أصحاب الفضيلة: عبد الجليل عيسى، ويس سويلم والسيد خليل الجراحى، وعبد العظيم بركة ومحمد سلام مدكور وعبد الله المشد، وعبد الحكيم رضوان، وزكريا البرى.

ومما قاله الأستاذ الدكتور محمد سلام مدكور: إن التعامل فى شهادات الاستثمار بأنواعها الثلاثة، معاملة مستحدثة، ولا تخضع لأى نوع من العقود المسماة، وهى معاملة نافعة للأفراد والمجتمع، وليس فيها استغلال من أحد طرفى التعامل للآخر، والأرباح التى يمنحها البنك الذى تشرف عليه الدولة ليست من قبيل الربا، لانتفاء جانب الاستغلال، وانتفاء احتمال الخسارة.

ومما قاله فضيلة الشيخ عبد العظيم بركة: إن الشهادة ذات الجوائز حرف «جـ» جائزة شرعا، لأن الجائزة فيها لمن تخرج له القرعة، وهى هبة لمن تخرج له.. وأما الشهادات أ، ب فالتعامل فيهما من باب المضاربة الصحيحة، لأن العائد فى كل منهما مشترك بين صاحب المال والعامل، والتعامل فيهما حلال وجائز شرعا، حيث إن المصالح فيه متحققة والمفسدة متوهمة، والأحكام لا تبنى على الأوهام. هذا ومحضر هذه اللجنة، قد أثبته بكامله فى كتابى «معاملات البنوك وأحكامها الشرعية» من ص٢٢٥ إلى ص٢٣١ الطبعة الثالثة عشرة- بمكتبة المجلد العربى بالأزهر.

رابعا: هناك عدد من الفقهاء كتبوا رأيهم فى التعامل فى شهادات الاستثمار، وقرروا أن التعامل فيها جائز شرعا، وكذلك الأرباح التى تترتب عليها، ومنهم:

* فضيلة الدكتور محمد الشحات الجندى- رئيس قسم الشريعة ووكيل كلية الحقوق بطنطا - فقد كتب بحثا مطولا عن «شهادات الاستثمار» فى كتابه «فقه التعامل المالى والمصرفى الحديث» من ص٤٧ إلى ص٨٩- الناشر دار النهضة العربية، وقد قال فضيلته فى نهاية وتأسيسا على ذلك فإننا نعتقد أن شهادات الاستثمار عقد جائز فى الشرع، لعدم خروجه على القواعد المعروفة فى المعاملات الشرع لعدم خروجه على القواعد المعروفة فى المعاملات الشرعية، ففيه التراضى، وفيه النفع للمتعاقدين، ولا يتضمن استغلالا ولا غبنا ولا أكلا للمال بالباطل،

وأنه يختلف عن الصور المعروفة للعقود الفقهية، والأولى اعتباره عقدا غير مسمى اقتضته المعاملات الحديثة».

* السيد المستشار محمد بدر المنياوى- النائب العام السابق- كتب سيادته بحثا فى اثنتين وثلاثين صفحة عن حكم شهادات الاستثمار الصادرة عن البنك الأهلى المصرى، تحدث فيه عن: التعريف بهذه الشهادات وخصائصها الاقتصادية، ثم عن التكييف القانونى لهذه الشهادات، ثم عن التخريج الفقهى لشهادات الاستثمار، ثم عن الحكم الشرعى لشهادات الاستثمار.

* فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد شلبى - الأستاذ بكلية دار العلوم- له بحوث قيمة فى كتابه: «الاقتصاد فى الفكر الإسلامى»، فقد قال فى ص١٠٨ وما بعدها عن شهادات الاستثمار: «هذه المعاملة لا تحارب التجارة والصناعة، بل على العكس، تستغل حصيلتها لتنشيط التجارة والصناعة والعمران الذى تقوم به الدولة، فتحصل على الأرباح المباشرة من هذه المشروعات، وغير المباشرة من الضرائب التى تجمعها نتيجة النشاط الاقتصادى. وعلى هذا فشهادات الاستثمار، وإيداع الناس أموالهم بالبنوك ليس قرضا، وبالتالى ليس ربا، وإنما هو من أنواع من المعاملات المباحة».

فضيلة الأستاذ الدكتور عبد المنعم النمر- رحمه الله- له بحث مستفيض فى كتابه «الاجتهاد» ٣٢٧ وما بعدها عن «شهادات الاستثمار» وقد انتهى فيه إلى جواز التعامل فى شهادات الاستثمار التى لها عائد وربح معين تدفعه الدولة كمنحة وحافز».

هذه جملة من الآراء والبحوث التى كتبها العلماء الثقات، والفقهاء المحققون، الذين منهم من هو من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية، ومنهم الأساتذة بالجامعات الذين على أيديهم تخرج الآلاف من طلبة العلم.

وقد أجمعوا على أن شهادات الاستثمار وما يشبهها من معاملات حلال، وكذلك الأرباح التى تترتب على التعامل فيها.

ورأيى أنا بعد كل ذلك أن كل معاملة تتم بالتراضى المشروع بين الطرفين، وخالية من الغش والكذب والخداع والاستغلال ومن كل ما حرمه الله- تعالى- فهى حلال وكذلك الأرباح التى تترتب عليها.

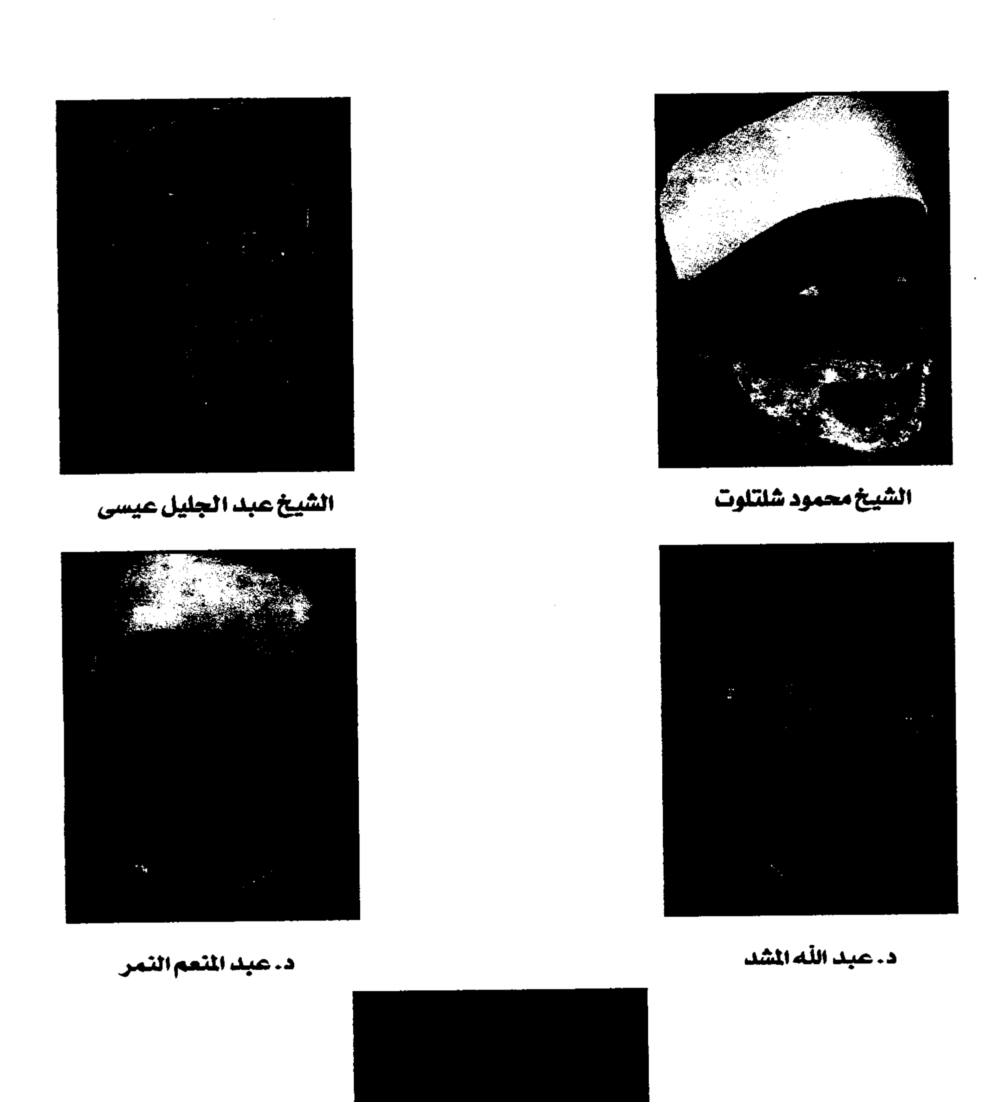
وأن كل ما يقدمه أى إنسان من أموال لأى بنك من البنوك، ونيته وقصده أن يكون البنك وكيلا عنه وكاله مطلقة فى استثماره لأمواله، وأنه راض كل الرضا بما يعطيه له البنك من أرباح سواء أحددها له البنك مقدما أم لم يحددها فهذه المعاملة حلال، والأرباح التى تترتب عليها حلال، وسواء أكانت هذه المعاملة عن طريق شهادات الاستثمار، أم عن طريق غيرها كالشهادات ذات الأرباح الشهرية أم السنوية أم غيرهما.

وأن تسمية أمثال هذه المعاملات بأنها قروض أو ديون، تسمية خاطئة من الناحيتين اللغوية والشرعية، والتسمية الصحيحة لها: استثمار عن طريق الوكالة المطلقة، وقبل ذلك وبعد ذلك فالأمر -كما جاء فى الحديث الصحيح: «إنما الأعمال بالنبات وإنما لكل امرئ ما نوى».

** هذا، وقبل أن اختم كلامى فى هذا الموضوع، أحب أن أقول إنى من أجل التأكد من معاملات البنوك وضعت مبالغ متواضعة فى البنك الأهلى وفى بنك مصر فرع المعاملات الإسلامية، وفى بنك فيصل الإسلامى، وفى بنك القاهرة، وفى صناديق التوفير- بنية ويقصد أن تكون هذه البنوك وكيلة عنى فى استثمارها لهذه المبالغ. . وبالتجربة لم أجد فرقا بينها جميعا إلا فى الأسلوب، فهذا بنك يحدد الأرباح وهذا لا يحدد وهذا يعطى الربح كل شهر، وهذا كل ثلاثة شهور، وهذا كل سنة، والأرباح التى تعطى متقاربة من الجميع. .

وعندما انتقلنا إلى دار الافتاء الجديدة، وجدت أن صيانة المبنى يحتاج إلى أموال قد تكون أحيانا قليلة، ولكى أريح الدولة من هذه الأموال التى تحتاج إليها الصيانة المحدودة، وضعت مبلغ مائة وخمسين ألف جنيه فى البنك الأهلى فرع العباسية، بنية ويقصد أن يكون وكيلا عنى وكالة مطلقة فى استثمارها لى وحدد لى ربحا شهريا لهذا المبلغ، وقد أوقفت هذا المبلغ وربحه على مطالب مبنى دار الإفتاء والعاملين فيه- ومرة أخرى أردد الحديث النبوى الصحيح «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى» والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم[1].

(١) مجلة أكتوبر – العدد ٩٦٨- الأحد ١٤ مايو «آيار» ١٩٩٥م فى صفحات ١٩، ٢٠، ٢١.



الشيخ محمود شلتوت

الشيخ عبد الجليل عيسى

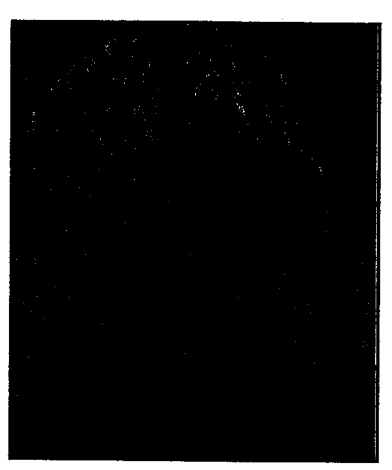
د. عبد الله المشد

د. عبد المنعم النمر

د. أحمد شلبى

هؤلاء الأعلام هم الذين اشتركوا فى الحوار حول الاستثمار والادخار فى البنوك وصناديق التوفيق، فى الحوار السابق مع السابق شيخ الأزهر بمجلة أكتوبر العدد ١٩٦٨ مايو ١٩٩٥ ص ١٩ - ٢١.

وفاة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر



بعد أن شارك فى تكريم الفائزين فى جائزة الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود للسنة النبوية والدراسات الإسلامية بمدينة الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية، فقد وافته المنية قبل صعوده الطائرة عائدًا إلى مصر، وذلك فى صباح يوم الأربعاء ٢٤ من ربيع الأول عام ١٤٣١هـ الموافق ١٠ من مارس عام ٢٠١٠ رحمه الله تعالى رحمة واسعة وقد لبت السعودية طلب ابنه ليدفن فى البقيع بالمدينة المنورة، وكان الرئيس مبارك يعالج فى ألمانيا وكان لوفاته صدى عالميًا، فقد نعاه العالم الإسلامى كله فنعاه الدكتور فتحى سرور رئيس مجلس الشعب قائلاً: «كان فضيلة الإمام الأكبر صديقًا عزيزًا، كما افتقدنا بوفاته سعة العلم وصدق الأمانة ودماثة الخلق، وعرفته عالمًا كبيرًا وفقيهًا عظيمًا وإمامًا رفيع الشأن».

ونعاه السيد صفوت الشريف رئيس مجلس الشورى فأصدر المجلس بيانًا جاء فيه ينعى مجلس الشورى إلى الشعب المصرى وشعوبنا العربية والإسلامية فقيد مصر فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الذى فاضت روحه الطاهرة إلى بارئها بعد حياة حافلة بالعطاء لدينه ووطنه وأمته كان فيها الإمام الجليل رمزًا فريدًا من رموز الإسلام وحملة لوائه علمًا وخلقًا وتواضعًا على هدى سيد الأنبياء وخاتم المرسلين عاش حياته زاهدًا ومدافعًا عن الإسلام ورسوله ومقدساته بغير تعصب أو تزيد، وسطيًا فى فكره معتدلاً فى منهجه، ميسرًا فى أحكامه بانيًا جسورًا من التواصل والمودة مع سائر العقائد.

ونعاه الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف فقال: «ووزارة الأوقاف إذ تنعى فضيلته فإنها تؤكد أن افتقاده يمثل خسارة كبيرة لمصر وللعالم الإسلامى، وعزاؤنا أنه أدى رسالته حتى اللحظة الأخيرة على خير وجه، فقد عاش طوال حياته يعمل جاهدًا على نشر قيم الإسلام الرفيعة كالاعتدال والوسطية والتسامح، وقدم للإسلام خدمات جليلة لا تنسى كما ترك آثارًا علمية باقية تتعلم منها الأجيال.

ونعاه رئيس جامعة الأزهر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب الذى عينه رئيس الجمهورية شيخًا للأزهر خلفًا له قال: لا شك أن مؤسسة الأزهر الشريف فقدت ركنًا من أهم أركانها ورائدًا من روادها وهو فضيلة الإمام الشيخ الذى لا يعوض تميز الفقيد عليه رحمة الله أنه كان رجلاً شديد التواضع، وكان زاهدًا فى الدنيا.. وكان من أكبر علماء المسلمين فى التفسير وعلوم القرآن ومن صفاته العلمية أنه كان شجاعًا فى الحق وكان مؤهلاً لقيادة الفكر الإسلامى وتصدى لقضايا خطيرة وثبت على موقفه ودافع عنها باقتدار وكان رحيمًا حيث قام بطبع كتب التراث على نفقة الأزهر وقام بتوزيعها مجانًا على الطلاب، وكان نموذجًا ليسر الإسلام ورائدًا للتصالح والتسامح.

ونعاه مفتى الديار المصرية الأستاذ الدكتور على جمعة: لقد فقدت الأمة الإسلامية الدكتور الشيخ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر المفسر اللغوى والفقيه الكبير، علما من أعلامها وكوكبًا من كواكب الهداية فى سمائها ورمزًا شامخًا من رموزها العظام، فقدت رجلاً عاش عمره فى خدمة العلم وخدمة القرآن الكريم وخدمة الإسلام والأزهر.. ويعتبر الشيخ المغفور له من أحد أبرز دعاة العالم الإسلامى وعاش حياته داعيًا إلى الله عز وجل حاملاً هم تبليغ رسالة الإسلام وعالميته إلى شعوب الأرض وقدر الله تعالى أن يتوفاه وهو يخدم الإسلام والمسلمين فى أرض الحرمين الشريفين.

وقال الشيخ محمد الخزرجى الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر: وقد اكتسبنا منه الجدية والإخلاص فى العمل وخدمة الدين وآرائه الفقهية المستنيرة التى أفاض

بها على جميع أنحاء المؤتمرات التى تعقد فى جميع أنحاء العالم الإسلامى..
وأذكر لفضيلته أحد مآثره على الأزهر الشريف وهى اهتمامه البالغ بالمعاهد الأزهرية التى كان عددها عندما تولى مشيخة الأزهر لا يزيد على الألف معهد لكن فى عهده زادت إلى أكثر من ثمانية آلاف معهد.

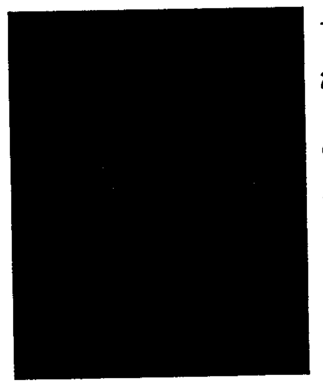
وقال الدكتور أحمد شوقى إبراهيم رئيس المجمع العلمى لبحوث القرآن والسنة: سيظل علمًا من أعلام الأمة الإسلامية وإمامًا من أشهر أئمة الأزهر الشريف فى تاريخه الطويل، وكان على خلق كريم وعلم غزير وفضل كبير يتحلى بوقار العلماء وهيبة الأئمة ثابت اليقين، وكان قلبه عامرًا بالإيمان والتقوى[1].

فرحم الله الإمام وأسكنه فسيح جناته. آمين.

❁❁❁

(١) صوت الأزهر: عدد ٥٤٦ الجمعة ٢٦ من ربيع الأول ١٤٣١هـ الموافق ١٢ مارس ٢٠١٠م.

الدكتور سليمان خميس
أستاذ الفلسفة الإسلامية



فى مركز إدكو بمحافظة البحيرة، مدينة النجوم - شبه الجزيرة فى حضن البحر الأبيض المتوسط وبحيرة إدكو المشهورة وفرع النيل العظيم الذى يصب فى رشيد، يفصلها عن أبى قير والمعمورة، والإسكندرية بوغاز المعدية، حين تتعانق مياه البحر المالح بمياه بحيرة ادكو العذبة، وبين أشجار النخيل التى تجاوزت مليونى نخلة وأشجار الأعناب على الرمال الذهبية، فى هذه الطبيعة الجميلة الساحرة ولد العلامة الفيلسوف الإسلامى الشيخ سليمان سليمان خميس عام ١٩١٣م فحفظ القرآن الكريم فى مكاتب ادكو ومدارسها. ليلتحق بعد ذلك بمعهد الإسكندرية الدينى، فيقضى المرحلتين الابتدائية والثانوية الأزهرية بتفوق، ليحصل على الثانوية عام ١٩٣٦م، ثم التحق بكلية أصول الدين، متفوقًا فى سنوات الدراسة بين زملائه الأستاذ الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار الإمام الأكبر شيخ الأزهر والأستاذ الدكتور عوض الله حجازى وكيل الأزهر ورئيس جامعته، فكان ترتيبه الثالث على دفعته التى بلغت حينذاك أربعة عشر ومائة طالب عام ١٩٤٠، ثم واصل الدراسات العليا، حتى حصل على درجة العالمية والأستاذية «الدكتوراه» من كلية أصول الدين عام ١٩٤٧م، وكان موضوع رسالته فلسفة الجاحظ، واشترك فى مناقشتها الأستاذ الدكتور محمد البهى، وحصل عليها بتقدير ممتاز ثم عين بعد ذلك مدرسًا في كلية أصول الدين ثم أستاذًا مساعدًا ثم أستاذًا، وتولى رئاسة قسم التوحيد والفلسفة الإسلامية عام ١٩٧١، حتى تغمده الله تعالى برحمته ورضوانه فكانت وفاته فى ٧/ ٧/ ١٩٧٤، ودفن بمدينة إدكو التى عاش فيها عمره متنقلاً بينها وبين الإسكندرية والقاهرة حيث مقر عمله.

رائد مدرسة فى إدكو:

يعد الدكتور سليمان خميس أول أستاذ جامعى فى جامعة الأزهر من أبناء إدكو، فكان قدوة لأبنائها اللذين تطلعوا أن يسيروا على نهجه، ليكونوا علي مثاله، فغرس فى نفوسهم روح المنافسة والتفوق، فتسابقوا إلي كراسى الجامعة فى الأزهر والجامعات الأخرى، فكان أول أستاذ فى جامعة الأزهر الدكتور على صبح، أستاذ الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بالقاهرة ورئيس قسم الأدب والنقد فيها وعميدها أكثر من مرة، وكذلك الدكتور محمد شتا زيتون أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية ورئيس القسم فى كلية اللغة العربية، والدكتور أحمد شحاتة الجمال الحاصل على الدكتوراة فى اللغويات، والدكتور على حبيبه أستاذ التاريخ فى دار العلوم جامعة القاهرة، والدكتور محمد سعد فشوان وكيل كلية اللغة العربية بإيتاى البارود، ورئيس قسم الأدب والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بالإسكندرية، والدكتور مصطفى أحمد حباله، أستاذ اللغويات بكلية اللغة العربية بالقاهرة، والدكتور حسن ذكرى حسن مدره رئيس قسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بالقاهرة، والدكتور حمدى طه أستاذ الصحافة والإعلام بكلية اللغة العربية بالقاهرة والدكتور رمضان القسطاوى أستاذ اللغويات بكلية اللغة العربية بالمنصورة، والدكتور محمد المرشدى عبد النبى الأستاذ بكلية التربية جامعة الأزهر، والشيخ محمد حبيب أبو الفضل المدير العام فى مديرية التعليم الأزهرية بمحافظة البحيرة والشيخ مسعد أبو ستة وكيل الوزارة بالتعليم الأزهرى بكفر الشيخ والشيخ محمد حسن الشيخ وكيل الوزارة فى مديرية التعليم الأزهرى بالإسكندرية، والشيخ محمد سالم حبيبه وكيل الوزارة فى مديرية التعليم بالبحيرة، والشيخ محمد حسين قشيوط وكيل التعليم الأزهرى فى البحيرة، والأستاذ عبد السلام حراز صهره بمديرية التعليم فى إدكو. والشيخ على على توتو مدير التعليم الأزهرى فى الإسكندرية، وجمهرة كبيرة من خريجى الأزهر، أدوا رسالتهم فى المعاهد الأزهرية وفى وزارة التربية والتعليم، وفى الدعوة والوعظ والإرشاد، وفى مقدمتهم الشيخ عبد الحليم قطيط، والشيخ حمادة هلال، والشيخ كامل حسين ماضى، والشيخ هليل محمد عسل والأستاذ إبراهيم عبد النبى والأستاذ السيد سنهورى والشيخ محمد وأخيه حسن عبد الله زيتون، وكان من تلاميذه أيضًا أساتذة جامعيين تفرقوا فى الجامعات الأخرى فى

القاهرة وطنطا والمنوفية والقناة، وأكثرهم عددًا أساتذة فى كليات جامعة الإسكندرية لقربها من مدينة ادكو ووصل بعضهم إلى رئيس قسم وإلى وظيفة عميد فى كلياتها المختلفة، وقد حصل واحد منهم على جائزة عالمية من لندن فى طب التجميل وهو الأستاذ الدكتور محمد الشيخ «زكريا» وهو أول رئيس لقسم التجميل فى طب الإسكندرية الذى أنشأه فيها، وغيرهم وغيرهم كثيرون ممن تتلمذوا على شيخهم الدكتور سليمان خميس وأما تلاميذه الكثيرون من أبناء ادكو وعامتهم، الذين كانوا يلازمونه فى دروسه بمساجد ادكو وعلى طريقته المتميزة، فكان يحرص أشد الحرص على ألا يقوموا من الدرس إلا بعد أن يستمع منهم إلى ما ألقاه عليهم من الحديث الشريف والآيات القرآنية فيختبرهم حتى يتأكد من حفظهم وتحصيلهم، وصاروا من بعده يلقون الدروس فى المساجد ويخطبون فى الجمع والمناسبات، وهم كثيرون، أذكر منهم الشيخ شحاته زيتون، والشيخ إبراهيم عبد الرحمن زيتون والشيخ محمد طقيشم، والشيخ محمد المدخوم، والشيخ حسن شيشى وغيرهم كثيرون.

مؤلفاته العلمية: منها:

١- نحو عقيدة قرآنية.

٢- السمعيات.

٣- نهاية الفلسفة فى المشرق وبدايتها في المغرب.

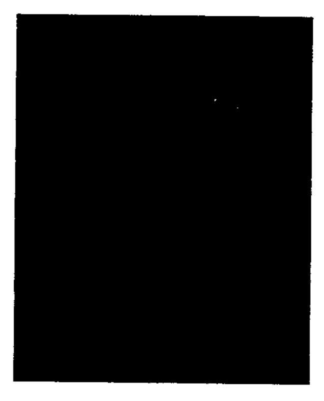
٤- شرح العقائد النسفية.

٥- شرح المقولات العشر فى الفلسفة.

٦- الإلهيات فى شرح السيد شريف الجارجانى على المواقف.

٧- تحفة المحبين فى أدلة نجاة أبوى خاتم المرسلين وغيرها من المؤلفات المنشورة، وترك عدة مخطوطات يحاول أبناوه أن ينشروها في دور النشر. وقد بارك فى أبنائه فكان منهم المستشار حميد سليمان خميس والأطباء والصيادلة والمدرسين أمد الله تعالى فى عمرهم وأعانهم على نشر مؤلفاته المخطوطة الكثيرة، رحمه الله تعالى وبعثه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

الأستاذ الدكتور محمد شتا زيتون
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية



على شاطئ البحر الأبيض المتوسط سجلت منذ فجر التاريخ صفحاتُ أمواجه العتقة الحضارات القديمة والعريقة فى سجلات الإسكندرية وإدكو ورشيد، فأصبحت هذه المدن الثلاث وعاءً لهذه الحضارات، حضارة الإغريق والرومان وحضارة الإسلام فى الإسكندرية، وحضارة الفراعنة والإغريق وحضارة الإسلام فى مدينة إدكو مدينة النجوم، وحضارة الفراعنة والإغريق والحضارة الإسلامية فى مدينة رشيد ولازالت آثار هذه الحضارات شاخصة فى متاحفها الكثيرة، ولعل أبرز حدث تاريخى عالمى أثار العالم، وأحيا تاريخ هذه الحضارات، ألا وهو حجر رشيد، الذى حملت رموزه ولغته هذه الحضارات القديمة، ولولا حجر رشيد الذى اكتشف في هذه المنطقة، لما عرف العالم هذه الحضارات، وفى السنوات الأخيرة بعثت مكتبة الإسكندرية ذات التاريخ القديم فى العلم، وعادت إليها الحياة العلمية، بعد أن اندثرت، لكن بصورة حضارية راقية اشتركت فى بناء هذا الصرح للحضارات الكبيرة بعض دول العالم مع مصر، فصارت من أعظم مكتبات العالم، وعلى أحسن طراز فقد بنيت على أحدث النظم العالمية وأرقاها، فى صرح شامخ أنيق.

فى هذه المدن الثلاث الحافلة بأرقى الحضارات القديمة، والتى عززتها حضارة الإسلام، وعادت إليها الحياة والمجد فى ظلالها، فقد اكتشف حجر رشيد فى ظلال الحضارة الإسلامية، وقد أعيد بناء مكتبة الإسكندرية على أحدث طراز فى ظلال الحضارة الإسلامية فى مصر، وفي أفريقيا، فحضارة الإسلام هذه فى مصر وفى دول أفريقيا هى التى أحيت هذه الحضارات، وهى التى صانتها وطورتها، ومكنت العالم كله منها، وزودته بمعارفها وعلومها وأطوارها التاريخية، ولا يستطيع أحد أن ينكر أن حجر رشيد ظهر إلى العالم فى ظلال حضارة الإسلام، ولا يستطيع أحد

أن ينكر أن مكتبة الإسكندرية الحديثة، ذلك الصرح العلمى الشامخ أقامته الحضارة الإسلامية، التى تعمل على ازدهارها حكومتها الرشيدة وعلماؤها المخلصون.

وفى ظلال هذه الحضارات العريقة تقلب بين ربوعهـا وارتشف من رحقيها ابنها البار محمد شتا زيتـون، ابن هذه المدن الثلاث برشيد وإدكو والإسكندرية فقد ولد فى ادكو التابعـة آنذاك لمركز رشيد، وتعلم فيـها وفى مدارسها ومكاتبهـا القرآنية، متنقلاً بينها وبين معهـد الإسكندرية الدينى فقد قضى فى هذا المعهد الأزهرى تسع سنوات، أربع سنوات فى المرحلة الابتدائيـة، وخمس سنوات فى المرحلة الثانوية، فهو ينتسب إلى عائلة كبيـرة فى مدينة ادكو، وهي عائلة زيتون، تولى أحد أبنائها رياستـها وإدارتهـا، فكان عمـدة إدكو منهم، اشـتهر بكـرمه وحكمتـه في الحكم والإدارة، وكـان فى عائلتـه العلماء والأطبـاء والمهندسـون، ومن بينهم ابن عمـه الأستاذ محمد محمـود زيتون العالم والمؤرخ والشاعر المشهور، الذى تولى وظائف كثيرة فى الإسكندرية حتى صار مدير الثقـافة، وتولى مناصب مرموقة فى محافظة الإسكندرية وأجيـزت فى شعره ومسـرحه الشعرى عدة رسـائل علمية فى جـامعة القاهرة وجـامعة الأزهر، وكتـبتُ عنه بحثًا منشورًا فى حـولية كلية اللغة العـربية بعنوان المذهب الشعرى لمحمد محمود زيتون، كما صاهر الدكتور محمد شتا زيتون أسرة علمية تفـوقت فى علوم الطب وممارسته، فتزوج أخت الأستاذ الدكـتور عبد المحسن أمين نمير المشهور فى جامعة الإسكندرية وفى أمريكا.

مع هذه المؤثرات، التى أثرت فى شخـصية الدكتـور محمد شتـا زيتون، والتى كان لها الأثر الكبير فى تكوين شخصيـته العلمية والعالمية، والتى صنعت منه عالمًا وداعية ومؤرخًا وأديبًا وباحثًا.

أما كـونه عالمًا وداعيـة، فقـد كان رسول الأزهر إلى المسلمين فـى الفلبين عام ١٩٦٢ حيث كان يجيد لغاتهم ليعلمهم، ويحمل أمانة الدعوة الإسلامية في مدينة «هراوى» وكـذلك فى مدينة «هولو»، ثم سـافـر فى بعثـة الأزهر إلى ليبـيا عـام ١٩٧٢م، ليكون داعـية بالوعظ والإرشاد، ثم كـان أستـاذًا فى التاريخ والحـضارة الإسلامية في كلية اللغة العربية، حتى صار رئيسًا لهذا القسم ومقررًا ورئيسًا للجنة العلمية لترقية الأساتذة.

وأما كـونه مؤرخًا وباحـثًا فقد حـصل على درجتى الماجسـتير والدكـتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية وكان يعمل فى مجمع البحوث الإسلامية وأصبحت له بحوث منشـورة ومؤلفات كـثيرة فى هذا التـخصص، وله دور كبـير فى المؤتمرات الدولية التـى اهتمت بعلوم التـاريخ والحضارة الإسـلامية، حـتى صعـدت روحه الطاهرة إلى بارئهـا أثناء مشـاركتـه فى مـؤتمر المؤرخين العرب بالقـاهرة، فى ٢٦ نوفمبر عام ١٩٩٤م.

وأما كونه أديبًـا مبدعًا فى عرضه لحـقائق التاريخ والسيرة النبوية عـرضًا أدبيًا، يجعل الـباحث والقارئ مـتمـتعًا بـالقراءة والتحـصيل لأسلوبه العلـمى المتأدب، فأسلـوبه علمى أدبى فى الكتابة والتـأليف وهو اتجاه جـديد لفن الكتابة والتـأليف يطلق عليه «فن الكتابة والتأليف».

وهو فن فنون الأدب الحـديثة، وقـد أشتـهر فى هذا الفن والاتجـاه الذى أتقنه الدكتور محمد شـتا زيتون، واشتهر فيه فى العصر الحديـث الدكتور محمد الطيب النجار، والدكتور إبراهيم شعوط وغيرهم من علمـاء التاريخ والدكتور محمد عبد الله دراز والشيخ محمد الـغزالى السقا، والشيخ محمد متـولى الشعراوى والشيخ أحمد حسن الباقورى، والإمام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى والإمام الأكبر الشيخ محمد الخضـر حسين والدكتور محمد عبد المنعم خـفاجى، والدكتور أحمد الشـرباضى وغـيرهم من الـعلماء والمفـكرين والدعاة المـعاصـرين، وفن الكتـابة والتأليف، فن نشـأ حديثًا فى النـقد المعاصر بـعد «فن السيـرة» الذى نشأ على يد الدكتور محـمد حسين هيكل والدكتور طه حسين ومن عـاصرهم من المهتمين بفن السـيرة الأدبـى، وأنا أول من أشار إلى فـن الكتابة والـتأليف فى كـتـابى الأدب الإسلامى بين النظرية والتأليف عام ١٩٨٧م، وابتكرت هذا الفن الأدبى الحديث.

واشتهر الأستاذ الدكـتور محمد شتا زيتون فى محيط عـمله فى مجمع البحوث الإسلامية وفى جـامعة الأزهر فى كلية اللغة العربية، وفى المؤتمرات اشـتهر بالحزم والدقة والعدالة وإحقاق الحق، ولا يـخشى فى ذلك أحدًا إلا الله عز وجل، وكان رحمـه الله تعالى جريئًـا يقول الحق ولو كان مـرًا، ولو أدى ذلك إلى ضياع حـقه ومواقف كثيـرة يحفظها له زملاؤه فى القسم وتلامذته، وإليك سـيرته الذاتية التى تكونت منها شخصيته العلمية والعالمية فيما تناولناه فى هذا التقديم عن حياته الثرية والحافلة بالمآثر المجيدة. وهذه صورة لمشاركته فى أحد المؤتمرات الدولية:



أ د. محمد شتا زيتون الثانى من اليسار فى أحد المؤتمرات الدولية

السيرة الذاتية للدكتور محمد محمد زيتون

- ولد عام ١٩٣١م بمدينة إدكو بمحافظة البحيرة - جمهورية مصر العربية.
- أتم حفظ القرآن الكريم والتحق بمعهد الإسكندرية الأزهرى ١٩٤٦م.
- حصل على الشهادة الثانوية من معهد الإسكندرية الأزهرى سنة ١٩٥٥م.
- حصل على الليسانس فى التاريخ والحضارة من كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر سنة ١٩٥٩م.
- عمل مدرسًا للثانوى الأزهرى بمعهد جرجا فى الوجه القبلى.
- سافر إلى الفلبين سنة ١٩٦٢م ليعمل مدرسًا للعلوم الدينية بمدينة «هراوى فى Camellol Eslamic university.
- انتقل إلى مدينة «هولو» ليعمل مدرسًا للعلوم الدينية.
- ثم عمل بمجمع البعوث الإسلامية سنة ١٩٦٥م وحصل على الماجستير فى التاريخ والحضارة الإسلاية سنة ١٩٦٧م.
- سافر إلى ليبيا سنة ١٩٦٩م ليعمل بإدارة الوعظ والإرشاد الدينى.
- حصل على الدكتوراة فى التاريخ والحضارة من كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر سنة ١٩٧٢م مع مرتبة الشرف الأولى وعين مدرسًا بالجامعة سنة ١٩٧٣م.
- سافر إلى جامعة الإمام محمد بن سعود بالمملكة العربية السعودية بالرياض سنة ١٩٧٦ ليعمل بها مدرسًا للتاريخ والحضارة الإسلامية.
- عمل أستاذًا زائرًا بجامعة أم القرى سنة ١٩٨٣م وحضر مؤتمر شبه الجزيرة العربية بالرياض.
- عين رئيسًا لقسم التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة الأزهر سنة ١٩٩١م.
- مقرر اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة فى التاريخ بجامعة الأزهر.
- عضو باتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة.

- عضو بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- له أكثر من خمسين مؤلفًا ما بين كتب منشورة وبحوث مقدمة إلي مؤتمرات علمية فى مصر وبعض الدول العربية والإسلامية.

منها على سبيل المثال:

* أضواء من سيرة محمد ﷺ عام ١٩٧٥م.
* السيرة النبوية عام ١٩٧٥م.
* الخلفاء الراشدون.
* المسلمون فى المغرب والأندلس عام ١٩٨٣م.
* المسلمون فى الفلبين جهادهم ومشكلاتهم عام ١٩٨٣م.
* المسلمون فى الشرق الأقصى - الفلبين- أندونيسيا- ماليزيا ١٩٨٥م.
* القيروان ودروها فى الحضارة الإسلامية عام ١٩٨٨ .
* السراج المنير فى سيرة سيد المرسلين ١٩٩٤م.
* مصر الإسلامية.
* دراسات عن الأندلس.

- وله كثير من المقالات بمجلة العربى التى تصدر فى الكويت وكذلك العديد من المقالات فى مجلة الحج التى تصدر بالمملكة العربية السعودية.
- وتوفى وهو يؤدى واجبه أثناء حضوره مؤتمر المؤرخين العرب بالقاهرة فى ٢٦ نوفمبر ١٩٩٤م.

وهذه صورة له فى مناقشة رسالة دكتوراه.



على اليسار د. محمد شتا زيتون، د. محمد الطيب النجار، د. عبد المقصود نصار في مناقشة رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي

الفهرس

❁❁❁